

منارة مبنية باللين شيدها السلجوقيون في فارس في
مطلع القرن السادس الهجري الثاني عشر المسيحي

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الثاني والثمانين

٥ ذي القعدة سنة ١٣٥١

١ مارس سنة ١٩٣٣

الازمة الاقتصادية العالمية^(١)

واشتباك المصالح الدولية

مقدمة

بلغت بلدان العالم في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ أعلى مستوى بلغته من النشاط الاقتصادي. فزاد الانتاج الصناعي والزراعي وارتفع مستوى المعيشة. ولكن مع ذلك ظل جانب لا بأس به من قوى الانتاج معطلا. ففي مختلف البلدان ملايين من العمال عاطلين وكثير من المعامل التي وقف فيها دولاب العمل ومخترعات كثيرة لم تطبق في المصانع. فلم يكن ثمة ما يمنع ان يدوم الرواج ويتسع نطاقه ويقل العمال عاطلون ويرتفع مستوى المعيشة. وكان الشعور السائد في كل الدوائر الصناعية والاقتصادية شعور تفاؤل وثقة بالمستقبل، اذ ظن الناس انهم واقفون عند حد فاصل بين عهديْن - عهد سادت فيه المشكلات الاقتصادية الناشئة عن الحرب الكبرى وعهد جديد وقفوا على عتبه وهو عصر رخاء شامل ويسر عام. ولكن الحالة انقلبت اي منقلب في خلال سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠. فالانهباء المالي الذي وقع في وول ستريت بمدينة نيويورك في خريف سنة ١٩٢٩ كان الانذار الاول بانقضاء عهد اليسر القصير. ومن الولايات المتحدة الاميركية امتدت الازمة من بلاد الى بلاد، وهي تزداد استحكاماً كلما اتسع نطاقها. واذا شهِبنا هذه الازمة بموجة طاغية، فالارجح اننا ما زلنا في حضيتها او ما بعيد الحضيض. بل اننا قد تعودناها الآن، فزال أثر الصدمة التي

(١) من محاضرة القاها رئيس تحرير هذه المجلة في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة

شعرنا بها في بدء الازمة لما رأينا كل آمالنا القائمة على الثقة باليسر العام والرواج الشامل ، قد أصبحت موطىء القدم . ولكننا وقد انقضت ثلاث سنوات على تلك الصدمة الاولى نستطيع الآن ، ان نقف من المسألة كلها موقفاً يمكننا من تبين اسبابها والبواعث عليها

كلنا نعلم ان الازمة عالمية . ولكن الصعوبة كل الصعوبة ان يجري اولو الحل والربط على ان علاجها يجب ان يكون عالمياً . لان الامور التي اضطرب حلها ، امور لا تستطيع بلاد ان تصلح شأنها من دون ان تتعاون مع الامم الاخرى . انظروا في مظاهرها الاساسية . من المتعذر ان تجدوا مظهراً واحداً من المظاهر التي يمكن حصرها في بلاد دون اخرى . فهبوط اسعار العروض عالمي . ومشكلتنا العيار الذهبي وسقوط اسعار الفضة . لا تختصان بانكثرا والهند دون غيرها . ثم هنالك مسائل التعويضات وديون الحرب ، ان اكبر الامم مقاماً في العالم اليوم مشتبكة في شؤونها المعقدة . ثم هنالك من وراء كل هذا النظام المالي الدقيق الاحساس الذي يربط بلدان العالم ربطاً محكماً ، وينزل منها منزل الجهاز العصبي في الجسم الانساني . ثم ان رفع الجمارك على الواردات لحصرها ، ورقية الصناعات في الشرق الاقصى لمزاحة الصناعات الاوربية في تلك البلاد ، والديون التي للبلدان الصناعية الغنية في البلدان الاخرى - كل هذه المسائل وجوه من المشكلة الاساسية ، وكلها دولي في معناها واثرها وهي مرتبطة بالمعاهدات الدولية التي بموجبها ختمت حروب وعينت حدود وقسمت بلدان . بل هي مرتبطة ارتباطاً واسعاً بانوار الحرب الكبرى ومخلفاتها ، بالشيوعية في روسيا ، وزيادة الرب في صلاح النظام الديمقراطي ونشوء الدكتاتوريات في ايطاليا واسبانيا وغيرها ، ونمو الشعور القومي في شعوب الشرق ، وزوال الثقة من النفوس ، لان الناس يحسسون انهم دائماً مهددون بالحرب ثم ان اقتصرنا على مجرد ذكر الحوادث الكبرى في الازمة العالمية ، كاف لبيان صفها الدولية . انها تفتتح باقبال عام في السوق المالية بالولايات المتحدة الاميركية يتبعه هبوط ذريع فيمتد هذا الهبوط الى البلدان الزراعية الكبيرة في شمال اميركا وجنوبها . ثم يتصل هذا الذعر بالمانيا واوروبا المتوسطة اذ يسترد المثمر الاميركي ماله منها فينتهي الى افلاس بنك الانستالت في النمسا وبنك الدانات في المانيا . ثم تحدث ازمة ثقة في النفوس ، فتضطرب انكثرا وطائفة من البلدان التي تجري مجراها ان تخرج عن قاعدة الذهب في معاملاتها ، بعد ما تضطرب اميركا الى اعلان مورانوريوم في الديون الدولية ، وتعتمد انكثرا من جهة اخرى الى التخلي عن سياستها التقليدية سياسة حرية التجارة ، وحينئذ لا تتورع امة من الامم عن تقييد حركة البضائع وحركة المال باي قيد تراه ، فكانت النتيجة هذا الشلل البادي في كل نواحي العمل ، وهذا البؤس الباسط رواقه فوق كل البلدان

الازمة في اميركا

كان الرخاء في اميركا في خلال سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ رخاءً مزيفاً . فارتفع الاسعار كان محصوراً في اثمان الاسهم والسندات والاراضي والمباني . ولكن اجور العمال لم تصب نصيباً من هذا الارتفاع ولا زاد عدد العمال ولا اتسع نطاق مطالب المستهلكين . لم يُعبرُ الاميركيون ادنى التقات هذه الهوة بين ارتفاع اسعار الاسهم والاطيان والمباني في جهة وبقاء حالة العمال ومطالب المستهلكين على حالها من جهة اخرى . وظلوا حتى اليوم الذي وقع فيه الانهيار العظيم في شارع المال متفائلين واثقين من دوام الاقبال واتسع نطاقه . كان كل اصحاب الصناعات تقريباً ينجون ارباحاً كبيرة ، لذلك كثر المال المطروح في السوق المالية للتمير في هذه الصناعات . ولذلك عمد اصحاب هذه الصناعات الى هدم المباني القديمة وتشييد المباني الجديدة وتوسيع نطاقها . وعمدت الشركات الى بناء المباني الفخمة للايجار بيوتاً ومكاتب ، ولما كان الناس كلهم يتوقعون دوام الاقبال واتساعه ، اصبحت الاراضي التي تصلح للاستغلال تنتقل من يد الى يد انتقالاً سريعاً يبعث على الدهشة وباسعار متدرجة صعوداً ، اذا ذكرت الآن نكاد لا نجد فيها . وعلى ذلك حلت اسعار الاسهم الصناعية تحليلاً لا يتسق والارباح التي تحبى منها . فاصحاب الاموال كانوا يشعرون اموالهم مقامرین على المستقبل لتقتهم بما سوف يسفر عنه الغد . اما المضاربون المحترفون المضاربة ، فاغتنموا الفرصة السانحة . فرصة اقبال الجمهور على الشراء من غير تدبّر ، فصاروا يرفعون الاسعار و ينجون الارباح . وهكذا انهار المال من جميع طبقات الاميركيين ، بل ومن غير الاميركيين كذلك ، للتمير في الاسهم والسندات الاميركية ، رغبة في جني الارباح العظيمة . واتسع نطاق الكردية (فتح الاعتمادات) لثقة اصحاب البنوك بالربح ولكنهم عجزوا عن صد اصحابها (اموال الكردية) عن المضاربة بها وفي ذلك الاثناء بدأ تيسار الذهب يتجه الى اميركا من جميع البلدان

ففي خلال خمس سنوات من سنة ١٩٢٤ الى ١٩٢٩ ، ارتفع متوسط سعر الاسهم الصناعية في اميركا نحو ٢٠٠ في المائة مع ان الارتفاع في سعر الاسهم الصناعية في انكلترا لم يزد اكثر من ٢٥ في المائة في خلال المدة نفسها

هذا التضخم في اسعار الاسهم لم يكن له ما يؤيده من اعمال الشركات — صاحبات الاسهم — وارباحها . ولكنها كانت مضاربة ، لا بدّ ان تسفر عاجلاً او آجلاً ، عن خسارة طائفة من طوائف الناس الذين انساقوا في دُرْدُورها . والمضارب الذي دخل المعركة لجني الربح ، كان يستطيع ، مازال التضخم في الاسعار قائماً ان يفاخر ويربح ويصفي اعماله ويخرج بالربح الذي حققه . ولكن كان محتوماً ان يجيء يوم يصحو فيه الناس من غفلتهم فيتحققون ان اسعار الاسهم تفوق قيمتها الحقيقية . واذا جاء ذلك اليوم ، لا بدّ ان يكون ثمة اناس يملكون الاسهم

ابتاعوها بأسعار عالية املاً في ارتفاع الاسعار، فاذا هي في ايديهم تندرج ومعها كل ما يملكون. ومع ذلك ظلت سنة ١٩٢٩ سنة ارتفاع متواصل في اسعار الاسهم، وطفى الجنون على صوت العقل فلم يصنع اليه احد. فضت البنوك تمتع لزبائنها الاعتمادات الواسعة بضمانة أسهم قدرت اسعارها بأسعار السوق الجارية — وهي اسعار مزيفة كما بينا. ومضى المضاربون يضاربون بدلاً من ان يصفوا اعمالهم ويخرجوا بالارباح التي جنوها. وعلى ذلك مضت الاسعار في تحليقها رغماً عن دلائل الانهيار التي كانت ظاهرة لو كان ثمة من له عينان للبصر فيبصر ذلك ان اميركا بلاد زراعية كبيرة كما هي بلاد صناعية كبيرة. والاقبال الذي كان بادياً في الصناعات المختلفة وحركة السوق المالية، لم ير له اي أثر في حياة الفلاح. فنفقات المعيشة في اميركا لم تكن في سنة ١٩٢٩ اقل مما كانت في سنة ١٩٢٧ مع ان نفقات المعيشة في غير اميركا من البلدان الصناعية كانت آخذة في النزول تدريجاً. ومع ذلك فان اسعار الحاصلات الزراعية الاميركية كانت آخذة في النزول وفقاً لاسعار السوق العالمية. فنشأت من ذلك هوة بين ما يربحه الفلاح وبين ما يتحتم عليه انفاقه ليعيش، وافضى ذلك الى حركة، هي من قبيل الهجرة، الهجرة من الريف الى المدن والمراكز الصناعية. هجرة الشاب الفلاح من المزرعة التي لا تقوم باودم الى المراكز الصناعية حيث يظهر النشاط وتبدو دلائل الاقبال. فكثر بذلك عدد العاطلين من العمال، لان ارباب الصناعة، رغماً عن الاقبال في الاعمال الصناعية كانوا قد عمدوا الى كل الاسباب الحديثة — كالاستغناء بالآلات عن العمال، والاندماج — لتوفير النفقات، فبدت في الحياة الاقتصادية الاميركية ظاهرة من اغرب الظواهر وهي ان زيادة العاطلين من العمال صحت اعظم نشاط صناعي شهد في اميركا يضاف الى ذلك ان العمال الذين ظلوا يعملون في المصانع لم يجنوا اي ربح من هذا الرخاء المزيّف، لان الارباح كانت من نصيب المقامرين والمضاربين الذين عندهم مال للتشهير. ويؤخذ من الاحصاءات الدقيقة ان اجور الفلاح لم تكن في سنة ١٩٢٩ اكثر مما كانت في سنة ١٩٢٦ وهذا الاختلاف افضى الى اضطراب في حياة اميركا الاقتصادية. ذلك ان استغلال مصادر الثروة الطبيعية والصناعية لا يمكن ان يزداد، الا اذا اتسع نطاق الطلب اتساعاً يتفق مع زيادة العروض. وكان الاميركيون قد اخترعوا طريقة البيع بالتقسيم، فكثر الطلب في البدء، كثرة ظاهرة اكثر منها حقيقية، فظن اصحاب المصانع ان الطلب على عروضهم قد زاد حقيقة وانه سيمضي في هذه الزيادة

ولكن... ولكن الشعب الاميركي بوجه عام، فضل كما ذكرنا، ان ينفق معظم ماله في المضاربة بدلاً من ان ينفق جانباً وافياً منه على جماعات المستهلكين ليكنهم من ثمره العروض التي يقدمونها له. فلما مضى زمن كاف على هذا التضارب، افضى التضارب الى انهيار

الازمة في اوربا

اما وقد بيننا نشأة الازمة في اميركا فلنحاول ان نتتبع آثارها في اوربا
لما اخذت اسعار الاسهم الصناعية في اميركا في الارتفاع ، امسك الاميريكيون اموالهم
القائضة عن استثمارها في اوربا. بل اخذ تيار المال الاوربي يتجه الى اميركا لتثمينه فيها ، لجنى
الارباح العظيمة التي تحبى من ابتياع الاسهم المذكورة . ولكن الاوربيين كانوا مدينين لاميركا
ببالغ كبيرة من المال استدانوا بعضها في اثناء الحرب ، وبعضها بعد الحرب فافضى ذلك الى
رفع سعر القطع في البنوك الاوربية ، وتضييق نطاق الكردية على التجار . اي ان النقود
زادت قيمتها ، فهبطت اسعار العروض وكان من نتيجة ذلك زيادة العمال العاطلين . ثم ان
الذهب الذي كان قد ارسل من اميركا قبل ذلك لتثمينه في اوربا وغيرها من البلدان بدأ
يتسرب من جديد عائداً الى اميركا فاصبحت بذلك اوربا المتوسطة ومقدار الذهب في خزائنها
قليل لا يكفي لتغطية اوراق النقد والاعتمادات الكثيرة . وادعى من ذلك انه رغم سقوط
ثمن العروض في اوربا ارتفعت نفقات الانتاج لقلة المقادير التي تصنع ، ولارتفاع الفائدة على المال
هذا بوجه عام . فلنلق الآن نظرة على المانيا

كانت المانيا بعد اعادة تنظيم ماليها — على اثر سقوطها ذلك السقوط الذريع — ووضع
برنامج يونغ لتسوية مال التعويض ، قد عنيت باقامة صناعتها على اساس آلي حديث ، وهذا
اقتضى اتفاق رؤوس اموال طائلة . ولما كانت المانيا قد خسرت معظم رأس المال الذي تملكه
في دور التضخم النقدي ، لم يكن في استطاعتها أن تنفق على بناء صناعتها بناءً جديداً وعلى
تسديد اموال التعويض لمدينينها ، الا بقروض تعقدتها في الخارج . وفي خلال اربع سنوات
بين ١٩٢٤ و ١٩٢٨ اقترضت المانيا في الخارج — ومعظم ما اقترضته كان من اميركا —
مبالغ كبيرة تفوق المال الذي دفعته تسديداً للمطلوب منها من مال التعويض . فقد بلغ
ما اقترضته المانيا في خلال هذه المدة نحو ٧٥٠ مليون جنيه ذهب . وهو ضعف ما دفعته
من مال التعويض في خلال المدة نفسها . ويقدر ما اقترضته من اميركا بنحو ٤٠٠ مليون
جنيه ذهب . ولولا هذه القروض لما استطاعت المانيا أن تسدد ما عليها من مال التعويض ولا
أن ترم صناعاتها وتبنيها بناءً جديداً

كان هذا قبل سنة ١٩٢٩ . فلما بلغت حركة الاقبال في الاسواق المالية الاميركية اعلى
ذراها في سنة ١٩٢٩ امسك الاميريكيون ايديهم عن اقراض المانيا ، فواجهت المانيا الخراب
الاقتصادي ، الا اذا امكنها ان تجد مصدراً آخر تستدين منه المال . وكان معظم المال الذي اقترضته
الالمان من الاميريكيين ديوناً طويلة الآجال انفق اكثره في بناء الصناعات وغيرها من المرافق
العامة . فلما امسك الاميريكيون ايديهم تعذر على الالمان ان يعقدوا قروضاً طويلة الآجال ،

فاضطروا ان يعقدوا قروضا قصيرة الآجال بواسطة البنوك الالمانية . فأقبل اصحاب البنوك في انكلترا وهولندا وسويسرا وغيرها على تقديم هذه القروض القصيرة الآجال للألمان بفائدة عالية، ليمكنوهم من اجتناب الانهيار الذي كان يهددهم

على ان الالمان اضطروا كذلك الى اتخاذ ما يلزم اخذهم من الوسائل لكي يقللوا وارداتهم تخفيفاً لديونهم التجارية — وزيادة صادراتهم ليسدوا بالفرق بين الصادرات والواردات جانباً من هذه الديون — فأفضى كل ذلك الى زيادة العاطلين في المانيا وخفض مستوى المعيشة. ولكن الضربة القاتلة كانت ان حياة المانيا الاقتصادية في تلك الفترة كانت متوقفة على اموال اقترضت لآجال قصيرة، وهي عرضة لعدم التجديد، مع انهم كانوا يستعملونها في اغراض لا تؤتي ربحاً الا بعد زمن طويل

فلما انقضت فترة الرخاء في اميركا وانهارت الاسعار، اصبحت الحال في المانيا على شفا الجرف . فأحجم الاميركيون عن ادانة المال في الخارج لشدة الصدمة التي اصابوا بها، ولعدم ثقتهم في تطور الحالة في الغد . زد على ذلك، ان طائفة من البنوك الاميركية نفسها كانت في موقف حرج جدًّا، لانها كانت قد ادانت عملاءها اموالاً بضمانة اسهم ذات اسعار متضخمة. وهذه البنوك كانت ميسّلة الى استرجاع مالها من الاموال في الخارج في اول فرصة ممكنة

هذا الموقف الذي وقفته اميركا بعد الانهيار المالي، أثر في المانيا مباشرة لانها اصبحت لا تستطيع ان تعقد قروضا في اميركا بل لا تستطيع ان تحتفظ بكل ما كانت استدانته منها من قبل . وأثر كذلك في المانيا أثراً غير مباشر . ذلك ان الاميركيين لما شرعوا يستردون اموالهم شرعوا يستردونها من كل البلدان على السواء، فأصبحت هذه البلدان لا تستطيع ان تعقد لالمانيا قروضا ما، لتتخطى بها الازمة

كذلك نرى ان الحالة الاقتصادية في المانيا، كانت تزداد حرجاً في سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣١ رغم ما اتخذته الحكومة من الوسائل الشديدة لانقاص الواردات وزيادة الصادرات على حساب خفض مستوى المعيشة . ولكي يزيد الصانع الالمانى صادراته خفض اسعاره تخفيضاً كبيراً — فأغضب هذا الدول المزاحمة لالمانيا — ثم حاول ان يسترد ما يخسره في هذا التخفيض، بزيادة اسعاره في كل ما يبيعه في المانيا نفسها، فارتفعت بذلك نفقات المعيشة في المانيا وهبط مستواها . وكان الالمان قد اعدوا بناء صناعاتهم لاعتقادهم بأن السوق العالمية آخذة في الاتساع، والربح لا يجنى في الصناعات الجديدة التي تقتضي نفقات طائلة، الا اذا كان مقدار ما تصنعه من البضائع كبيراً، فلما وقعت الواقعة في السوق المالية الاميركية، انكسبت السوق العالمية، وأصبحت الصناعات الالمانية المنظمة ابدع تنظيم، لا تدر من الربح الا اليسير، اذا درت ربحاً على الإطلاق

فلما زادت البطالة في المانيا زيادة كبيرة في بدء سنة ١٩٣١ للأسباب التي تقدم ذكرها ، زادت نفقات الحكومة الالمانية على العمال العاطلين قياماً بأودهم الضروري ، ففقدت الميزانية موازنها ، وبدأت الاموال تتسرب من المانيا ، فهددت بالافلاس . ولولا موراتوريوم هوفر ، لكانت افاق بموجبه على وقف دفع التعويضات وديون الحرب سنة كاملة ، ولولا الاتفاق الذي تلاه ، وبموجبه اتفق اصحاب البنوك على امهال المانيا ستة اشهر تتجدد ، في دفع ديونها التجارية القصيرة الآجال لافلست المانيا وانهار نظامها الاقتصادي

ولكن موراتوريوم هوفر ، والاتفاق الخاص بالديون التجارية كانا وسيلتين مؤقتتين لعلاج الحالة ، مع ان الاسباب التي افضت الى هذه الحالة الحرجة كانت تمتد الى اصول عميقة في النظام الاقتصادي الذي تلا الحرب العامة ، ولا يمكن ان تزال بعلاج مؤقت على الاطلاق . انفس الى ذلك ان القلق ظل يخامر النفوس ، لأن احداً لم يكن يدري ما تستقر عليه الحال بعد انقضاء أمد هذين الاتفاقين . ثم ان موراتوريوم هوفر ضاع جانب من اثره بالعراقيل التي وضعت في طريقه . وعلى ذلك ظلت الحالة في المانيا حرجة كل الحرج ، فاتخذت الحكومة انفسها ما يمكن اتخاذه من الوسائل للاحتفاظ بموازنة الميزانية ، فأقلق كل هذا نفوس الشعوب الالمانية ، ونشأ عن هذا القلق امتداد نفوذ الحركتين الشيوعية والهلترية في المانيا

الازمة في بريطانيا

في خلال المدة التي وقفت فيها المانيا على شفا الافلاس ولم تنج منه الا باعلان موراتوريوم هوفر والاتفاق الخاص بالديون القصيرة الآجال ، امتدت الازمة الى انكلترا واخذتها بالخنق وكان النظام الاقتصادي الانكليزي معرضاً للخطر ، لان لندن كانت ذات مقام ممتاز في عالم المعاملات المالية . كانت بنوك انكلترا قد ادانت الاموال في كل انحاء الارض ، وكانت المانيا في مقدمة البلدان التي استندت من انكلترا ، رغم ما بدا في افق الحياة الاقتصادية الالمانية من نذر الانهيار . ولكن المالىين البريطانيين لم يسلفوا هذه المبالغ الطائلة من ماله الخاص ، لان قلص التجارة البريطانية ونقص الارباح التي يجنيها الممولون البريطانيون من اموالهم المثمرة في اربعة اقطار المعمورة ، تركهم من دون اموال كافية يدينونها لالمانيا وغيرهم . لذلك عمد بنك انكلترا الى جذب الاموال الى انكلترا ، برفع سعر القسط ، فكان معظم المال الذي ورد على لندن بهذه الطريق ودائع قصيرة الآجال ، ومن هذه الودائع اخذت بنوك انكلترا تسلف المانيا . ولكن هذه الودائع القصيرة الآجال ، كانت عرضة للاسترداد ، بعد انذار قصير الاجل وهنا موطن الخطر

ذلك انه لما اخذت الازمة العالمية تستفحل ، ترددت اصداغ استفحالها في سوق لندن المالية . ففي الناحية الواحدة كان متعذراً على البريطانيين ان يستردوا ديونهم القصيرة الآجال

من المانيا ، كما أنه كان يصعب عليهم أن يستردوا ديونهم القصيرة الآجال من استراليا وجمهورية اميركا الجنوبية ، لضيق نطاق التجارة وهبوط أسعار العروض . وفي الناحية الأخرى هرع الذين كانوا قد أودعوا أموالهم في لندن ودائع قصيرة الآجال الى استردادها وفقاً لحاجتهم اليها . كذلك سحب الاميريكيون جانباً كبيراً من ودائعهم في لندن ، على أثر الانهيار المالي في بلادهم ، واقتنى أثرهم الفرنسيون ، فانهم شرعوا يستردون أموالاً كانوا قد أودعوها في لندن قبل تثبيت سعر الفرنك

صدم الانكليز بهذا السحب المتوالى ، لانهم لم يستطيعوا أن يقابلوه بسحب أموالهم في البلدان الأخرى ، لسد الثغرة في مقام لندن المالي . وما لبثت الحال أن خلقت في أذهان المفكرين في كل انحاء العالم شكوكاً في سلامة النظام المالي البريطاني ، وريباً في امكان بريطانيا البقاء على قاعدة الذهب التي عادت اليها سنة ١٩٢٥

ازاء هذه الحالة الباعثة على القلق عين البرلمان لجنة ماي فاخرجت تقريرها وعزت فيه العجز في الميزانية البريطانية ، الى هبوط دخل الحكومة لهبوط دخل الشعب البريطاني ، وإلى زيادة الاتفاق على العمال العاطلين ، وكلاهما من آثار الازمة العالمية . والظاهر أن الغرض من هذا التقرير كان حمل حكومة العمال الثانية — وكانت في دست الحكم حينئذ — على اتخاذ التدابير اللازمة للاقتصاد . فرأى فيه المراقبون لبريطانيا من الخارج ما يبعث على القلق ، فنجم عن ذلك التمادي في سحب المال من لندن

فلما واجه بنك انكلترا ، هذه الحالة المفاجئة . أدرك مديروه أنه اذا مضى أصحاب الودائع في سحب ودائعهم من انكلترا ، لم يكف كل ما في خزائنه من الذهب لذلك ، فعمد الى عقد قروض في بنك فرنسا وبنك الفدرال رزرف في نيويورك . فاستدان في يوليو سنة ١٩٣١ خمسين مليوناً من الجنيهات — تدفع ذهباً — ولكن لم يلبث أن أنفق هذا المبلغ العظيم في بضعة أسابيع . هنا أنبا القائمون على ادارة بنك انكلترا حكومة العمال بموقف البنك الحرج وقالوا لها أماناً طريقان ، اما الخروج عن قاعدة الذهب أو المضي في الاستدانة ، لتسديد ما يطلب سحبه من المال من لندن . وان الاستدانة لا تتم إلا اذا ضمنت الحكومة البريطانية المبالغ التي يستدينها البنك

ونحن نرى الآن أن الحال كانت تقتضي — من وجهة النظر البريطانية — أن تخرج انكلترا عن قاعدة الذهب لما بدأ أصحاب الودائع يسحبون ودائعهم لتصد سحب الأموال من لندن ، بما يتعرض له الساحبون من الخسارة ، وهي الفرق بين الذهب وبين ما ينخفض اليه سعر الجنيه الاسترليني . ولكن وزير المالية في حكومة العمال ، المستر سنودن — وهو الآن الفيكونت سنودن — كان من المتمسكين بقاعدة الذهب ، تمسكاً يكاد يكون أعشى . وبما

له من النفوذ، قرّرت حكومة العمال، بعد ما اطلعت على حالة بنك انكلترا، أن تمضي في استدانة الأموال في باريس ولندن، وكانت محاولة يائس

ولكن أصحاب البنوك في فرنسا ونيويورك صرّحوا للحكومة البريطانية، أنه رغمًا عن صلبها للأموال التي تستدان، لا يسلمون بتقديم المبالغ المطبوبة إلا اذا اتخذت الحكومة ما يلزم لموازنة الميزانية، وعينوا في شرطهم تقص المال الذي تنفقه الحكومة على العاطلين من العمال. وقد أنكر بعضهم بعد ذلك أن هذا الشرط كان من الشروط التي ذكرت. ولكن الواضح على ما يقوله المستر كول في كتابه^(١).... ان الشرط صحيح، لأن المستر مكدونلد أقرّ بذلك في الاجابة عن سؤال طرح عليه في مجلس النواب البريطاني

ومحاولة وضع هذا الشرط على الحكومة، كان سبباً لا تقسيم حكومة العمال، لأن معظم أعضائها رفضوا أن يعتمد الى توفير المال من هذه الناحية، لموازنة الميزانية، مع أنهم كانوا مستعدين لمحاولة موازنتها بطرق أخرى. والغريب، أن حكومة العمال لم تنظر قط، في المسلك الآخر الذي كان يمكنها أن تسلكه وهو الخروج عن قاعدة الذهب ولعل ذلك عائد الى مكانة المستر سنودن وآرائه من نفوس زملائه

فلما وجد المستر مكدونلد أنه على خلاف مع معظم زملائه في الوزارة، قرّر أن يتخلص منهم فقدم استقالة الحكومة الى الملك جورج، فطلب اليه الملك أن يؤلف وزارة ائتلاف أو وزارة قومية فاشترك فيها المحافظون وبعض الاحرار ومشايعو المستر مكدونلد من العمال أما الوزارة القومية فلم تعتمد في الحال الى الخروج عن قاعدة الذهب، بل بدأت تفاوض البنوك في باريس ونيويورك لاقتراض مبلغ ٨٠ مليوناً من الجنيهات، تدفع ذهباً عند الاستحقاق ولكن تتابع الحوادث كان قد اتى الذعر في النفوس، فزاد المسحوب من الودائع المالية في لندن، وصحب ذلك أن بعض الانكيز نفسهم بدأوا يخرجون من بلادهم جانباً من أموالهم الخاصة. ولذلك ما كادت الحكومة القومية، تتسلم زمام الأمور، حتى وجدت نفسها مرغمة على الخروج عن قاعدة الذهب وهي خطوة كان يجب أن تتخذ — من وجهة النظر الانكيزية — قبل ذلك ببضعة شهور

وكان لخروج بريطانيا عن قاعدة الذهب، أثر كبير في جميع بلدان العالم. ذلك أن بلداناً كثيرة تبعها وخرجت عن قاعدة الذهب فلم يبق في العالم في آخر سنة ١٩٣١ إلا الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا وهولانده وسويسرا جارية عليها. وكان من أثر خروج هذه البلدان عن قاعدة الذهب، أن رخصت أسعار صادراتها في البلدان التي ما زالت محتفظة بها. فكتاب يطبع في انكلترا وثمنه أربع شلنات كان يباع في أميركا

(١) An Intelligent Man's Guide to World Chaos وقد كان جل معتمدا عليه في اعداد هذا الفصل

قبل خروج انكلترا عن قاعدة الذهب بما يقابل الاربع شلنات وهو ريال . أما بعد خروجها فصار ثمن الكتاب في اميركا بالريالات أقل مما كان . أضف الى ذلك أن البلدان التي خرجت عن قاعدة الذهب أصبحت تفضل أن تشتري من البلدان المماثلة لها ، لان الشراء من البلدان المحتفظة بقاعدة الذهب ، أغلى بنسبة سقوط الجنيه الاسترليني عن الجنيه الذهب . فكتاب ثمنه في انكلترا ٤ شلنات ندفع ثمنه هنا ٢٠ قرشاً صاغاً مثلاً . ولكن كتاباً ثمنه في اميركا ريال ، وهو معادل اسماً لاربعة شلنات ، لا نستطيع أن نبتاعه الآن بأقل من ثلاثين قرشاً وكانت نتيجة ذلك أن زادت الازمة استحكاماً في اميركا ، لتعذر مزاحمتها للبلدان الخارجة عن قاعدة الذهب في ميدان تجارة الصادرات

وكانت انكلترا تؤمل أن تفوز بمركز ممتاز في تجارة الصادرات بعد خروجها عن قاعدة الذهب وفعلاً انتعشت هذه التجارة بعض الانتعاش ولكن لما كثر خروج البلدان التجارية مثلها عنه لم يبلغ الانتعاش المبلغ الذي كان منتظراً له

وكان من أثر خروج انكلترا عن قاعدة الذهب ، ان الحالة في المانيا ازدادت حرجاً . ذلك ان المانيا كانت مقيدة بدفع مال التعويض ومال الديون التجارية ، ذهباً ، فلذلك كان لا بد لها من بقاءها على قاعدة الذهب . ولكن هذا البقاء قيّد تجارتها صادراتها بقيود ثقيلة . ومع ذلك فليس لالمانيا طريقة لتسديد ديونها الا بالفرق بين صادراتها ووارداتها . ولكنها لم تستطع ان تفعل ذلك ، الا برمي بضائعها في اسواق العالم الضعيفة بأسعار رخيصة ، ولتعويض هذا الرخص رفعت الاسعار في السوق الالمانية ، فزادت نفقات المعيشة زيادة فاحشة ، واقتصد الناس جهدهم ، فقلّ ما تنتجه المصانع ، ونتج عن ذلك زيادة العمال العاطلين

وما حدث في المانيا ، حدث في اوسترايا والارجنتين والبرازيل وبلاد شيلي ، مع ان هذه البلدان لم يكن عليها اموال تعويض تدفعها . ولكنها كانت مدينة بمبالغ كبيرة من المال فوائد على ديون وأرباحاً على اسهم . ولما كانت هذه البلدان تعتمد على اصدار المواد الخام والمواد الغذائية ، ولما كانت اسعار هذه المواد قد هبطت هبوطاً أكثر من هبوط اسعار البضائع المصنوعة ، وجدت هذه البلدان ان ديونها قد زادت زيادة فاحشة لما حاولت ان تسدها بالحصالات التي تصدرها . ولكي تسدد ديونها ، عمدت الى تحديد وارداتها باقامة الحواجز الجمركية ، وبعضها عمد الى منع استيراد اصناف معينة من البضائع ، او منع خروج المال من بلادها كما فعلت البرازيل . وهكذا اقيمت في وجه التجارة بين البلدان المختلفة حواجز منيعة ، زادت الازمة تفاقماً واستحكاماً

يضاف الى كل هذه الويلات ويل سقوط ثمن الفضة ، فزلت مقدرة الصين الشرائية الى النصف . ثم ان الحرب الاهلية في الصين والمقاطعة في الصين والهند لبضائع البلدان الصناعية

كانت عاملاً آخر في انقاص مقدرة العالم على الشراء ، ومن اكبر البلدان التي اصبحت بهذا العامل الاخير بريطانيا واليابان

ديون الحرب ومال التعويض

كان المتوقع ان نجد في خلال هذه المدة التي امتدت فيها الازمة فوق كل بلدان العالم وبسطت فوقه رواق العطل عن العمل والفقر والجوع ، ان نجد سعياً جديداً حكيماً لحل مشكلاتي الديون والتعويضات حلاً معقولاً . فمن البلدان الخمسة التي لها في هاتين المشكلتين اكبر نصيب - اي انكلترا وفرنسا وإيطاليا والمانيا والولايات المتحدة - رأينا ان المانيا اشرفت على الافلاس ولم تنج منه الا بعلاج مؤقت ، وباتخاذ اسد الوسائل للاحتفاظ بموازنة ميزانيتها ، وانها دائماً تحت رحمة دائنيها ، فلم يكن في وسعها ان تخطو خطوة ما نحو الحل المنشود . والواقع انه لم يكن في وسع المانيا الا انكار كل ديونها والتزاماتها الخارجية ، ولكن هذا العمل من شأنه ان يفضي الى ازمة عالمية فينهار النظام الاقتصادي الالمانى وقد يصحبه في الراجح ثورة في المانيا اما بريطانيا ، التي صرحت انها موافقة على الغاء الديون والتعويضات بحجة قلم واحدة ، فلم تستطع ان تجازف بذلك من جديد ، فراراً من غضب فرنسا واجتناباً لازمة مالية جديدة اما فرنسا فظلت في مطلع الازمة غير متأثرة بها ، والواقع انها لم تشعر بفعلها الا في بدء سنة ١٩٣٢ ، ولذلك رأيناها معرضة عن اجابة مطالب الالماني ، بل انها لم تقبل تخفيض التعويضات ، الا اذا رضيت الولايات المتحدة الاميركية ان تتنازل عمّا لها من ديون الحرب على ان الازمة في اميركا كانت لا تزال آخذة بخناق الامة ، فكان الرأي العام الاميركي غير راض عن اية محاولة الغرض منها الغاء ديون الحكومات الاوربية او نقصها . ومع ان الحكومة الفدرالية في واشنطن كانت واقفة على حرج الموقف العالمي لم تجرؤ على القيام باى عمل من هذه الناحية خوفاً من الفشل الذريع في انتخابات الرئاسة التي تمت في ٨ نوفمبر الماضي فلما اعلن موراتوريوم هوفر وعقد الاتفاق الخاص بديون المانيا التجارية القصيرة الاجال تنفس الناس الصعداء قليلاً لاجتناب الانهيار الاقتصادي الذي بدت نذره في الافق . ولكن الحكومات القائمة لم تغتنم هذه الفرصة للسعي الى حل مشكلة التعويضات الالمانية حلاً موفقاً مع انه كان يتعذر ان تجد حينئذ من يعتقد ان في امكان المانيا ان تستأنف دفع مال التعويض بعد اقتضاء موراتوريوم هوفر في سنة ١٩٣٢ ، وانه اذا لم تستأنف المانيا دفع مال التعويض فالراجح ان تعجز دول الحلفاء عن تسديد اقساط دينها المستحقة للولايات المتحدة الاميركية ومع رسوخ هذا الاقتناع العام ، ظلت المسألة معلقة ، يؤجل النظر فيها شهراً بعد شهر ، حتى طلبت المانيا في آخر سنة ١٩٣١ ، بموجب مشروع يونغ ، الى الحلفاء ان يعيدوا النظر في

قدرتها على الدفع فعميت لجنة من خبراء الحلفاء للبحث في الموضوع ، فأيدت اللجنة دعوى ألمانيا بأنها عاجزة عن الدفع إلا بعد اعادة النظر في المشكلة بمخذاً غيرها . وعلى أثر هذا التقرير جدد الاتفاق الخاص بالديون التجارية القصيرة الأجل ، وهو اتفاق بين البنوك . ولكن حكومات الحلفاء عجزت عن الوصول الى اتفاق في الموضوع . وعلى ذلك تأجل مؤتمر لوزان الذي ، دعي لمعالجة المسألة

وكان موقف الانكليز أولاً الدعوة الى الغاء عام يتناول التعويضات والديون . ولكن الفرنسيين — ونصيبهم من التعويضات اكبر من الاقساط التي عليهم ان يسدّوها لانكلترا واميركا — لم يسلّموا بطلب الانكليز . واشتدّ الضغط الداخلي على الحكومة الألمانية فاعلن فون بان باسمها انها لن تستطيع ان تستأنف دفع التعويضات في سنة ١٩٣٢ ولا في اي وقت بعدها وكان الاميركيون من عهد الرئيس ولسن ، يثبتون ويؤكدون ان لا علاقة بين مال التعويض وديون الحرب . ولكن مورatorium هو فر جعل هذه العلاقة موجودة وجوداً عملياً وان انكرها الاميركيون من الناحية النظرية . ثم ان الرئيس هو فر اشار في حديثه مع رئيس وزراء فرنسا — الميسو لافال — الى انه اذا اتفقت دول اوربا على حل مشكلة التعويضات ، فعندئذ يتخذ الكونغرس الاميركي ما يجب للاشتراك في حل مشكلة التعويضات والديون في سبيل عودة الرخاء الاقتصادي . ففهم ذلك في اوربا على انه اذا حلت مشكلة التعويضات كانت اميركا مستعدة لنقص المطلوب لها من ديون الحرب ، وعلى ذلك اجتمع مؤتمر لوزان في اوائل الصيف الماضي (يونيو) ووصل بعد اخذ وردّ طويلين الى الغاء التعويضات وجعل المطلوب من ألمانيا مبلغاً معيناً قدره ٢٠٠ مليون جنيه ولكنه جعل ابرام هذا الاتفاق متعلقاً بنتيجة المفاوضات مع اميركا في مسألة ديون الحرب . فالمسألة في آخر ١٩٣٢ كانت كما يلي :

ليس ثمة اي امل في ان تستأنف ألمانيا دفع مال التعويض اذا لم يبرم اتفاق لوزان وليس ثمة امل ، في ان تلغي اميركا المطلوب لها من الديون بحجة قلم واحدة^(١) وليس ثمة امل في ان تلغي الدول الاوربية التعويضات في حين ان ديونها لاميركا لا تزال هي هي . وقد رأينا كيف امتنعت فرنسا في ديسمبر الماضي وسقطت وزارة هريو ولعل المؤتمر الاقتصادي العالمي المنتظر عقده قريباً يعالج هذه المسائل الخطيرة

(١) بعد كتابة هذه المقالة وردت الانباء من اميركا تفيد ان المستر روزفلت الرئيس المنتخب طلب الى المستر ستيمسون وزير خارجية الرئيس هو فر ان يدعو حكومة بريطانيا الى ايفاد مندوبين للمباحثة معه في مسألة الدين البريطاني الاميركي بعيد تقلده زمام الرأسة في ٤ مارس سنة ١٩٣٣

الحب والزواج والتعليم

والعلم والاقتصاد والمواصفات
لطائفة من اكبر الكتاب والمفكرين والعالمين

للدكتور الفرد ادلر السيكولوجي
الجنسوي المشهور

الجب

بدل ما نشهده من كثرة حوادث الطلاق في بلدان العالم وشيوع قضايه ، وما نعاينه في
الحب من الالم ، ان الزواج عمل لا بد ان يقوم به اثنان . ولا مندوحة للانسانية عن ان تتعلم هذا
الدرس رغبة في تقويم شؤون الحب والزواج في المستقبل

ولا ريب في ان الذين تمرنوا من صغرهم على التعاون مع الناس ، اسهل عليهم ان يحلوا
مشكلات الحب . فالموقف الصحيح نحو الحب يبدو لنا في مقدرة كل انسان على عقد او اصر
الصداقة مع الاخوان والاحتفاظ بها ، والتزام عمله (لان كل عمل يقتضي تعاوناً) والمواظبة
عليه ، وان يكون اكثر اهتماماً بمصلحة المحبوب منه بمصلحة نفسه

لقد اصبح الناس في هذا العصر اعلم ادراكاً لحقيقة اجتماعية اساسية هي ان نجاح
كل انسان وسعادته ، متوقفان على ارتقاء الانسانية قاطبة . فبلوغ مستوى عال من الحياة
يقضي ان ننظر الى كل مشكلة من مشكلاتنا الشخصية على انها مشكلة النوع البشري بأسره . واذن
فيصح ان نقول ان مصير الانسانية في يدي كل رجل وامرأة . فالحب ليس علاقة خاصة
وشعوراً بالسعادة لا يتعدى الحبيين ، بل هو عمل غرضه رفع مستوى الحياة ، ولذلك فهو
عمل يقوم به اثنان معاً . وهذا العمل ، لا يمكن ان يقضى على وجهه الصحيح الا اذا اتفق
منه من البدء كل ربية لاحد الزوجين في الآخر ، وكل احتجاج لاحدهما على الآخر وعلى
مقتضيات الحب . ولا مندوحة فيه عن الولاء المتبادل والثقة والمصلحة

والحب في ايامنا سوف يصبح مشكلة كثيرة التعقيد لانه يواجهنا بمطالب آخذة في
الازدياد من ناحية واحدة ، ولاننا من الناحية الاخرى ، اذا وضعنا الحب على مستوى اعلى

من مستواه السابق ونفحنه بشعور اسمي ، أصبح عملاً يقتضي استعداداً للقيام به فيما صحیحاً اعظم من الاستعداد الذي كان يقتضيه في الزمن القديم . ولعل سبباً من الاسباب الكثيرة الباعثة على ذلك ، ان ولادة الاولاد فقدت في بعض البلدان ، جانباً كبيراً من ارها كعامل يبعث على الزواج ، ولان تدبير شؤون البيت أصبح لا يحسب عمل المرأة المحتوم جاء زمن كانت فيه كثرة الولد لا ندحة عنها لفوز الانسان في معترك الحياة . ثم ان متوسط طول الحياة الانسانية كان نحو ثلاثين سنة او اقل من ذلك . وكان معدل الوفيات بين الاطفال طالياً جداً . فاتجاه الحب والزواج كان الى اخلاف النسل الكثير للقيام باعباء الاعمال الشاقة التي تقتضيها الحياة الاجتماعية في جرها . وما اتسع للمرأة من الوقت بعد الحمل والولادة والرضاعة والتربية كانت تنفقه في تدبير شؤون المنزل . فالتعاون في الزواج كان لا يفسح الا مجالاً ضيقاً كل الضيق للاعراب عن الحب وخبايا النفس ، وأما الباقي من الوقت فكان ينفق في العمل . ولا ريب في ان المجال لم ينفسح في تلك الازمنة لانماء عواطف الحب

على ان المرأة في عصرنا قد اخذت تتحرر من العمل الشاق في المنزل . ثم ان ارتقاء الطب والصحة العامة قد جعل متوسط طول الحياة الفردية في البلدان المتقدمة نحو خمسين سنة . ومعدل المواليد فيها يفوق معدل الوفيات . فالانسانية لا تشعر الآن بما كانت تشعر به حينئذ من ضرورة التناسل غير المحدود . ثم ان ارتقاء الصناعة جعل تدبير شؤون المنزل امر سهلاً لا يحتاج الى اتفاق وقت طويل . فتحرر المرأة من تدبير شؤون المنزل بارتقاء الصناعة ، جعل للمرأة مقاماً جديداً ازاء مشكلة الحب . انها والرجل يواجهان السؤال الآتي : هل نطلب في حياتنا الزوجية مزيداً من الترف او مزيداً من الصداقة . فاذا كان استعداد الزوجين للاستجابة عن هذا السؤال استعداداً صالحاً كان الجواب الهادي لهما سبيل الحياة : الصداقة والمساواة العادلة ان فهم الحياة الانسانية ومعناها ، وادراك مغزى السعادة في الحياة الاجتماعية ، يمكننا من فهم السعادة المطلقة . فالتوسع نطاق المعرفة وزيادة الشعور بالتبعية الاجتماعية ، سوف يُفرضان علينا فرضاً لشدة الحاجة اليهما . اما اولئك الذين يهبطون بمستوى الحب ، ويجربون التجارب به ، ويحسبون انه الهية ، فمقتضى عليهم بالخيبة . ان رغباتهم هذه ناشئة عن شعورهم بضعفهم ونقصهم . فالحب في المستقبل سوف يكون مبنياً على الشعور بالتبعية الاجتماعية ، والمساواة ، والولاء المتبادل ، واتخاذ قرار لا انفصام له

الاقتصاد

لستيوارت تشايس . الكاتب الاقتصادي
الاميركي . مؤلف « الانسان والا لان

إما ان يكون الاوربي والاميركي عائشاً في سنة ٢٠٣٣ كما كان اسلافهما يعيشون في القرن السابع عشر ، او يكونان قد اصبحا لا يعرفان الهم في ما يرتبط بمشكلاتهما الاقتصادية . ولو

وجدتُ من يراهنني لراهننت على تحقيق الشق الثاني
 انني لا ارى انه في وسع العالم ان يمضي متخططاً ، تخطيطه الحالي ، في الهوة التي تفصل
 بين المقدرة على الانتاج والمقدرة على الشراء . فلما ان تروم الهوة سريعاً وتجتنب الشرور
 ناشئة عنها واما ان نعود الى الحياة التي كانت فيها القرية تكفي ذاتها بذاتها
 وعندي ان الهوة سوف تروم قبل فوات الوقت . فيحلُّ الشبان يفيضون نشاطاً وحماسة
 محلّ الشيوخ انهكتهم الاعمال . فتلغى الديون او تسوى وينطلق تيسار الشراء ليعرف الحدود ،
 ويربط بين التوسع في الانتاج والتوسع في الاستهلاك ، وتمهد الطريق لاقتصاد الوفرة والسعة .
 انني لا استطيع ان اعين الزمن الذي يستغرقه هذا الانتقال ، ولا الآلام التي يقتضيها ، وانما
 احس اننا على عتبة عصر ينتهي فيه التقلب العاصف الى استقرار وازان
 وأهم ما تتصف به سنة ٢٠٣٣ انها لن تعاني مشكلة اقتصادية من الطبقة الاولى . لأن
 البشريكون قد نبذوا في سلة المهملات الفقر ، وسوء التغذية ، والاحياء القذرة ، والنزاع بين
 العامل والمستأجر ، والعطل من العمل ، وزيادة المنتج عن المستهلك ، والتناحر على الاسواق ،
 والمضاربة في الاقوات والمواد الضرورية ، والخوف من التقلقل الاقتصادي
 اما النظام الاقتصادي الذي انتفت منه المساوىء المتقدمة فيكفل مستوى عالياً للعيش
 سوف يقوم على القوة الكهربائية ، تولد في بضع محطات مركزية قريبة من مناجم الفحم ومساقط
 المياه والشواطىء حيث يكثر المد والجزر ، وتوزع منها في شباك من الاسلاك تغطي وجه الارض
 ثم لا بد من انشاء مجلس تنظيمي عالمي ، له فروع محلية ، فيتعاون مع قوة لها سلطة
 اقتصادية مالية ، تعاوناً من شأنه الاحتفاظ بمصادر الثروة الطبيعية من التبيد ، من دون
 ان تمنع عن المصانع المواد اللازمة لانتاجها . اما التزامم الاقتصادي فقد يسمح به في مناطق
 محدودة . اما مصادر المواد الرئيسية فلا يسمح بطرحها في حلبة المزاحمة بل يسلم زمامها للمهندسين
 منعاً لتدميرها في مصلحة فرد معين او جماعة معينة . لذلك نرى ان هم الانسان العادي في سنة
 ٢٠٣٣ لن يكون منصرفاً الى العناية بالمشكلات الاقتصادية لانها تكون قد حلت حلاً شاملاً
 اما الطاقة الكهربائية فسوف تكون رخيصة كل الرخص . فيتعين على السلطة الاقتصادية
 العالمية ان تنقص ساعات العمل كلما استنبطت آلة تغني المعمل عن العمال . فيجتنب بذلك العطل
 من العمل . ثم ان المعمل الكبير سوف يزول فتحل محله معامل ريفية صغيرة يختص كل
 منها بصنع جزء من آلة معينة وترسل هذه الاجزاء كلها الى مصنع خاص لجمعها وبناء الآلة
 الخاصة منها . وبذلك يقضى على جانب كبير من مساوىء الصناعة الحديثة كالضجة المزعجة ،
 والهواء المثلث بالهباب ، والنور الضئيل
 اما ماذا نصنع بأنفسنا ، متى تولت الكهربائية عمل كل ما نحتاج اليه ، فسوف يكون

السؤال الخطير الذي يواجهه الناس سنة ٢٠٣٣ ، بل ان هذه المشكلة لن تكون المشكلة الفردية التي يعانونها. فثمة مشكلات معقدة تتناول التعليم والاجتماع والنفس والجنس. وهذه مسائل أجدر بالناس ان ينفقوا وقتهم في درسها وعلاجها من النزاع على الخبز . فمشكلة الاقتصاد اليوم هي القضاء على مشكلة الاقتصاد في الغد. فاذا تحرر الناس من مقتضيات النزاع على العيش استطاعوا ان يتفرغوا للنظر في المسائل الاخرى . وتقدم العلم والصناعة يجعل هذا الهدف في متناولنا

لاميليا ارهت . الطائرة الاميركية والمرأة
الاولى التي طارت وحدها من اميركا الى اوربا

المواصلات

ما هي الوسائل التي يستعملها الانسان في سنة ٢٠٣٣ للنقل والانتقال ؟

لو سئل هذا السؤال من مائة سنة لكان الجواب ينطوي على التنبوء بأن اسباب المواصلات سوف تكون سريعة . ففي تلك الايام كانت سرعة اسباب المواصلات تقاس بسرعة الجراد التي تجر العربات . ولو قال احد حينئذ ان العربات في المستقبل سوف تسير بسرعة ٢٥ ميلا في الساعة سيرا متواصلًا لوُجد كثيرون يرتابون في سلامة عقله

اما وقد استنبط المحرك الداخلي ورأينا الطائرات البحرية تفوق في سرعتها ٤٠٠ ميل في الساعة والسيارات تبلغ نحو ٣٥٠ ميلا في الساعة. فالتنبوء بما قد يتحقق على ايدي المستنبيين من السرعة الفائقة يلقي آذانًا صاغية . ولعل القول الآن بأن سرعتنا في المستقبل قد تبلغ الف ميل في الساعة اقرب الى العقل من قولهم في القرن الماضي ان السرعة قد تبلغ مائة ميل في الساعة. فمن المتعذر ان نرسم الآن صورة احداة لاسباب المواصلات كما قد تكون بعد مائة سنة . ولا اعني بذلك ان القطارات والسيارات والسفن سوف تبقى على ما هي عليه الآن من دون تعديل او تبديل ، اذ لا بد للمستنبيين والمكتشفين من اتقان الحركات واستنباط اصناف جديدة من الوقود وابداع اشكال جديدة من السيارات، مما يجعل جميع اسباب النقل والانتقال اصلح للقيام بما صنعت له من نواحي السرعة والسلامة والراحة

ولكنني اتوقع تعديلا اساسيا يتناول استعمال اسباب المواصلات المختلفة ، على اساس من التعاون المنتظم بينها . تصور محطة من محطات المواصلات الكبرى في سنة ٢٠٣٣ تنفرع منها كل اسباب المواصلات . فثمة القطارات والسيارات ومركبات النقل — نقل الركاب ونقل البضائع — والطائرات وقطارات الانفاق يستعمل كل انسان منها ما يفي بحاجته

ومع ان عنايتي بشؤون الطيران تفوق عنايتي بأية وسيلة اخرى من وسائل المواصلات ، لا ارى ان مشكلة المواصلات في المستقبل سوف تحل بجعل الجو طريقنا السلطاني. اذ لا بد من القطارات لنقل البضائع الثقيلة الوزن وجماعات كبيرة من الركاب ، وسفن لنقل المشحونات الضخمة ، وسيارات نقل لتكون سواعد لخطوط الطائرات والقطارات تنقل الى المستهلكين

في عقد دارهم ما ينقل على الخطوط العامة بين المراكز الصناعية والزراعية الكبيرة. ثم ان الطائرات المثقولة في سرعتها سوف تكون الوسيلة الغالبة للانتقال في السفر البعيد المدى ولنقل الاشياء التي يسرع تسرب الفساد اليها اذا طال عليها الوقت بين المنتج والمستهلك

ولا بد أن يكون الطيران في متناول كل أحد ولكن سرعة الطائرات على ارتفاع بضعة آلاف قدم لن تزيد على ٦٠٠ ميل في الساعة واما الطيران في الطبقة الطخورية (متراتوسفير) أي على علو ٥٠ ألف قدم — وهو العلو الذي بلغه الاستاذ بيكار ببلونه — فتبلغ سرعته نحو ألف ميل في الساعة. لكن الطيران في الطبقة الطخورية بالسرعة المشار اليه يقتصر على الرحلات الطويلة المدى، لما يضيّع من الوقت في التحليق الى الارتفاع المقصود والهبوط الى الارض. ولما كان الهواء على هذا الارتفاع لطيفاً جداً لا يصلح للتنفس، تجعل الطائرات صناديق محكمة الغلق ويتنفس الركاب هواء معداً لذلك خاصة ومحفوظاً في اسطوانات داخل الطائرة

ولاشك في انتظام السفر الجوي بين اميركا واوروبا في مطلع القرن المقبل، فتصبح باريس على بضع ساعات من نيويورك ولا بد لذلك من صنع الجزائر على طريقة ارمسترانغ — أو مايلابها — تنثر في المحيط بين القارتين، في سبيل الطائرات. ثم ان التوسّع في جمع الحقائق عن الأحوال الجوية واستنباط الادوات اللازمة للطيار، يجعلان التعرض للخطر في السفر الجوي اقل منه في السفر البري الآن

ولا يبعد ان تستنبط آلة للسفر تجمع بين طائرة الاوتوجيرو والسيارة. فاذا حطت الطائرة على الأرض طويت اضلاع دولابها وسارت على عجلاتها كسائر السيارات اما السيارة فلا بد أن يطراً على شكلها تغيير كبير حتى تصبح أقل مقاومة للهواء منها الآن، ولا يبعد أن يصبح شكلها مثل ثمرة الكمثرى، وسرعتها لا تحدّد إلا بالطرق التي تعدّ لسيورها ولضرورات حركة المرور. والمرجح ان تكون المحركات في مؤخر السيارة فنخفّ ضجيجها المزعجة في آذان الركاب، ويقلّ اهتزاز المقاعد التي يجلسون عليها. ولا بد أن نخصص الطرق لسيارات نقل البضائع واخرى لسيارات الافراد والركاب. ولا يبعد ان تكون السرعة العادية على طرق السيارات الخاصة مائة ميل في الساعة على الأقل

ولكن ماذا نقول عن السكك الحديدية؟ إنني ارى أن عملها أساسي ولا يمكن الاستغناء عنها للقيام بأعمال خاصة كنقل البضائع الثقيلة الوزن. ولكنها قد تكهرب وتردم الأرض حول الخطوط الحديدية فتصبح طرقاً عامة وتسير القطارات على عجلات لها اطارات من مطاط والراجح ان السفن التي تمخر البحار قد بلغت أقصى ما يمكن بلوغه من التقدم من حيث الجمع بين السعة والسرعة والاقتصاد. وهذا يجعل السفن غير صالحة في المستقبل الا لنقل المشحونات الضخمة التي لا يمكن نقلها بالطائرات. أما المسافرين فيفضلون السفر الجوي

الأسرة

لبرتراند رسل. الفيلسوف الانكليزي
ومؤلف : « الزواج والآداب »

أصاب الأسرة في المائة والخمسين سنة الأخيرة ، سلسلة من العوامل بعثت فيها الضعف والوهن ولا تزال هذه العوامل ماضية في فعلها الى الآن . فلست تجد بين أشد غلاة المحافظين من يرغب في الرجوع الى عصر اجدادهم إذ كان الرجل يزوج ابناؤه ، فيعيشون تحت سقفه وتعرض نساؤهم لاستبداد حماهن . فالقضاء على هذا الطراز من الأسرة ، كان مرهوناً بالتقدم في بناء البيوت . ذلك أنه اذا وجب على كل ابن يتزوج ان يأوي هو وزوجته واولاده الى بيت الأسرة وجب ان يكون البيت كبيراً يتسع لهم . وفي هذا خسارة اقتصادية كبيرة لان البيت الذي يتسع لرجل وأبنائه وزوجاتهم وأولادهم لابد ان يكون بيتاً يفيض في سعته على الحاجة متى كان الابناء اطفالاً . ثم ان الاطفال في شقة صغيرة مجلبة ضيق للكبار لذلك رأينا الوالدين يدعون الى انشاء مدارس خاصة تحتضن الاطفال وتعلمهم والراجح ان الميل الى أن يقضي الاطفال نهارهم خارج البيت آخذين في الازدياد ، وازدياده تضعف الأسرة . وليس الباعث عليه الاسباب الاقتصادية التي ذكرناها فقط ، بل الدعوة الحديثة الى اصلاح تعليم الاطفال وهذا اصلاح يقتضي جواً خاصاً يتفق ونوازعهم العقلية والنفسية ومن المتعذر خلق هذا الجو في البيت لان ما يوافق الكبار لا يوافق الصغار على ان أقوى البواعث على اضعاف الأسرة هو ادعاء النساء مساواتهن للرجال . فالمرأة التي تكسب رزقها بعملها تخلص الى حد بعيد من السيطرة التي كانت للزوج على المرأة في العهود السابقة . فاذا غادرت بيتها لكي تزاوّل عملها تركت ، بحكم الطبع ، العناية بولادها لغيرها ، وعلى ذلك تصبح الأشياء التي تسترعي عنايتها غير محصورة في البيت دون غيره ومما اوهن الأسرة تقدم اسباب المواصلات الحديثة . ففي الزمن السابق للقطار والسيارة ، كان يتحتم على افراد الأسرة المقيمة في الريف ، ان يدبروا حياتهم بالتي هي احسن اذا قطعت عليهم الثلوج صلتهم بالعالم الخارجي ، اذ لا مفر لهم من المعيشة معاً . اما والقطارات والسيارات تمكنهم من الخروج من دائرة الأسرة الضيقة لقضاء عطلة يومية السبت والاحد في مكان آخر وفي رفقة اناس آخرين ، فانهم يجدون في ذلك ما يروح عن صدورهم . وعلى ذلك فصلتهم باسرتهم ليست الصلة الوثيقة التي كان يقتضيها العصر الماضي كل هذا يجعل الزواج صلة اقل توثقاً مما كانت قبلاً . ولست ارى أي سبب يمنع هذا الوهن المتطرق الى الأسرة او يخففه . بل على الضد من ذلك ارى ان آثار هذه العوامل سوف تكون اقوى واجلى في المستقبل منها الآن . والراجح ان العناية بالاطفال سوف تصبح في المستقبل ، تدريجاً محل عناية من أصحاب السلطة العامة

وعندي أنه يصحُّ التنبؤ بان هذا التحوُّل لن يبلغ في الولايات المتحدة الاميركية مداهُ في اوربا ، وان الاسرة في اميركا بعد خمسين سنة سوف تكون اقوى عضداً منها في اوربا لقد تكلمتُ في ما تقدّم عمّا اتوقع لا عمّا اريد ، لانني قد بلغت من السن مبلغاً علمي اني لا استطيع ان ابني العالم على المثال الذي اهواهُ . والمرجّح عندي ان انقلابات خطيرة سوف تقع في اوربا ، بعضها طيب ، وبعضها سيء ، ولكنني اتوقع ان ارى اميركا ملجأ للتقاليد والاوزاع الاجتماعية القديمة ، وبينها نظام الاسرة ، ولو اصابه فيها بعض الوهن

للاستاذ جوليان هكسلي العالم البيولوجي
واحد مؤلفي : « علم الحياة »

العلم

قد نجد العلم بعد خمسين سنة ، سالكاً أحد سبيلين . فاما ان يغزو حياة الانسان السياسية والاجتماعية او يبقى خادماً لقوى السياسة والتجارة ، فلا تسمَح له بالتدخل حيث لايزيده ان يمدّ اصبعه . والاحتمال الثاني ممكن كل الامكان . فقد يتقدم العلم تقدماً سريعاً في ناحية معينة من الصناعة . فيرى اصحاب تلك الصناعة ان تقدّم العلم يقتضي منهم نبذ الآلات التي يستعملونها وصنع غيرها مما هو اشد منها الطبقاً على تقدّم العلم . فيشترون امتياز المستنبطات الحديثة ويطوونها لكي لا يضطروا الى نبذ الآلات التي تمثل في دفاقرهم قدراً كبيراً من المال . او قد يكشف اصحاب علم الحياة عن طريقة لا تحتل الخطأ تستعمل لضبط النسل فنمنع الحكومات التي يهملها هذا الامر انتشار هذه الطريقة او اذاعة الكلام عنها فاذا سيطرت هذه النظرة على تقدم العلم ، اصبح العلم عبداً لاصحاب المصالح المتربعين في دست الحكم . ففي هذه الحال ، قد يتاح لبنائنا ان يطيروا اسرع مما نظير ، وان يقتنوا سيارات تفوق سياراتنا وبأثمان ارخص من اثمانها ، وملاهي اشد فتنة للعين والنفس ، واطعمة وبضائع اكثر تنوعاً . على ان حياتهم لن تختلف في شيء اساسي عن حياتنا نحن . ولكن اذا تغلغل روح العلم الى المراكز المسيطرة على الهيئة الاجتماعية ، تغير بناء الاجتماع من اساسه خذ في الجهة الواحدة الذين يعتقدون ان الناس يستطيعون ان يمضوا في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية بالاساليب الفردية التي كانت تصلح في عصر سابق لما كانت الحياة اقل تعقيداً والبلدان اقل سكاناً . وفي الجهة الاخرى اولئك الذين يقولون بوجوب انشاء مركز عالمي لتنظيم الاعمال الاقتصادية والاجتماعية ، اذا اردنا للحضارة البقاء دع عنك مضيتها في سبيل التقدم . فاذا كان الفريق الثاني في جانب الصواب ، اصبحت السياسة لا تصلح ميداناً لكل مغامر من رجال الاحزاب ، بل وجب ان تصبح مهنة علمية ، ولا بد ان يقتضي الاجتماع حينئذ من الرجال الذين يرومون الاشتغال بالسياسة ، ان يستعدوا لعملهم ادق استعداد واتمه فوق ما

فالتعليم
الارتباك وال
في الحياة ،
وسوف
التعليم انما
يشتمل التعليم
البراعة وتقص
على ان
وهو لا يست
يشتمل على
على القراءة
فائدة والتفك
ان تفهم ش
نفساً في
وعلا
والصدق وا
هو أهم نوا
في آداب الس
الفرد ان يح
وعلى

يطلبونه الآن من الطبيب والمهندس

ثم ان معظم الناس لا يعيشون بمقتضى الاحكام الصحية التي اقرها البحث والامتحان . فبعضهم يأكل أكثر مما يجب ان يأكل ، وبعضهم يدخن أكثر مما يجب ان يدخن ، وبعضهم يجمل طرق العناية بنفسه او يهمل طلب المعونة من الطبيب في الوقت اللازم ، وبعضهم يعتمد جهلاً على الادوية الصناعية المركبة ، او يعيش عيشة تناسلية غير صحية ، او ينهكهم الهم والغم — وبكلمة واحدة نجد ان كل انسان يمارس ما ينزل به عن مستوى النشاط الكامل والسعادة التامة . وهذا رغماً عن ان في علم النفس وعلوم الطب على تنوعها ، ما يكفي لعلاج اغلب هذه الحالات . وسبب ذلك ان العادات والتقاليد والمصالح تقضي بما يجب وبما لا يجب ، او بما يصح او بما لا يصح . ولكن دولة تشرّبت روح العلم واقامتة حاكماً ودليلاً ، تدرك ان صحة السكان العقلية والجسدية يجب ان تكون في المقام الاول من عناية الامة ، فوق قيمة الصادرات والواردات او اي اعتبار مادي آخر

وتغلغل الروح العلمية في تنظيم الحكومة والاجتماع ، هو اكبر خطوة يمكن ان يخطوها العلم في خمسين سنة او خمس وسبعين سنة من اليوم . عندئذ نكون قد تغلبنا على القول بان العلم مسيطر فقط على الجامد في الطبيعة ، وان من شأنه ان يوفر لنا اسباب الرفاهة المادية فقط . عندئذ يبدأ العلم دوراً جديداً من ادوار حياته وهو الدور الذي يمكننا من السيطرة على البناء الاقتصادي في المجتمع الانساني وما يحيط به من الآراء والنزعات ، سيطرة تمكن الناس الذين يقيمون في ذلك البناء ويتنشقون ذلك الجو ، من ان تكون « لهم حياة وافرة »

للكاتب والروائي الانكليزي
ولر : مؤلف « موجز التاريخ »

التعليم

على أي وجه نتوقع ان يكون التعليم بعد خمسين سنة ؟ من المحتمل أن يكون التعليم قد قضى عليه بعد جيل او جيلين . فالسعي وراء كسب الثروة بآية طريقة ممكنة ، والوطنية الجاحدة ، طغيا على النفوس وناء بكل كاهما حتى نرى النظام الاجتماعي ينهار بين سمعنا وبصرنا . فالعطل من العمل ، والاجرام آخذان في الازدياد ، والحرب تهدد الحضارة بدكها من الاساس . وثمة طائفة يسيرة من الناس تكافح كفاح الابطال لتنجية الحضارة ، ولكن احتمال نجاحهم ضئيل جداً . على ان التاريخ يشهد لنا بان الرجال كثيراً ما فازوا حيث كان الانخزال مقدراً لهم ، فلنفترض ان النظام الاجتماعي قد نجح من الانهيار واعيد تنظيمه على الاساس الوحيد الممكن وهو اساس السيطرة العالمية والنقود العالمية واستبدال المشروعات التي يقصد منها الربح الخاص بالمشروعات المشتركة التي يقصد منها النفع العام

فالتعليم في هذه الحال يكون مختلفاً كل الاختلاف عن التعليم الآن الذي يسوده الارتباك والتشويش في تلقين النشء . ومهنة التعليم حينئذ تكون اشرف وانبل وادق مهنة في الحياة ، تتصل من الناحية الواحدة بالحكومة ومن ناحية اخرى بالطب والعلم وسوف يكون كل انسان متعلماً حينئذ . والجماعة تكون جماعة متعاملة . ويكون غرض التعليم اتمام كل ما ينطوي عليه الجسم والعقل من القوى والمواهب الخاصة . واذن فلا بد ان يشمل التعليم على الرقص وكل وسيلة من الوسائل التي تزيد جمال الجسم ، والتمرينات التي تعلم البراعة وتصون الصحة ، والتدريب على التفكير المستقل والمهارة اليدوية

على ان حياة الانسان الخاصة ليست الا نصف الحياة . فالانسان وجد ليشارك مع اخوانه وهو لا يستطيع ان يفعل ذلك الا اذا كان قادراً على التفاهم العقلي . وعليه فالتعليم يجب ان يشمل على التمكن من فن التعبير او الاعراب عن الذات والاتصال بالغير — وهو يشمل على القراءة وفهم العبارات الرياضية وتعلم اساليب التصوير والموسيقى والتمتع بآثارها الرائعة . فالغة والتفكير لا يمكن ان ينفصل احدهما عن الآخر من الناحية العملية . ثم انك لا تستطيع ان تفهم شكل الاشياء الا بمعرفة التصوير والرياضيات . ثم انه لا ريب في ان للموسيقى اثرأ نشألاً في الحياة النفسية . فالتربية الفردية والتربية الاجتماعية يجب ان تسيرا جنباً الى جنب وعلاوة على ذلك يجب على التعليم ان يشمل على تدريب السلوك . فاحترام الغير والصدق واللباقة والادب صفات لا تتخلق في الانسان ، ولعل تكون العادات الخاصة بالسلوك هو اثم نواحي التعليم . ذلك انك لا تستطيع ان تبني حضارة من افراد لا يعرفون الا الفوضى في آداب السلوك . واذن فيجب ان تدرب كل فرد على ان الاجتماع اساسه الخدمة ، وان على الفرد ان يجد لذة في القيام بما يجب عليه نحو المجموع

وعلى كل انسان ان يعرف مقامه من الكون في الزمان والمكان . وكيف نشأت الحياة الاجتماعية وتطورت وبلغت ما هي عليه الآن . فلا مندوحة عن تعليم التاريخ وعلوم الاجتماع والاقتصاد والمال . ثم يجب ان نوفر للناس سبيل المضي في التعليم بعد بلوغهم الرجولة او الكهولة . فتبنى لهذا الغرض معاهد خاصة متنوعة . فيستطيع أكبر عدد من الناس ممارسة التقدم في العلوم والفنون ، والعمل في سبيل الخير العام ، بدلا من الانقطاع لجمع الثروة يستطيع الباحث ان يرى هذا المستقبل الزاهر من خلال الغيوم المتلبدة . وكأن الانسان اليوم يتردى في حمأة مع ان المدينة الكاملة في متناول ذلك لان في تعليمه نقصاً وفي حياته العقلية ضعفاً ، ولو وجهت العناية اليهما ، لكان في علاجهما الصائب ، سبيل الخلاص

جون غالزوردي

John Galsworthy

الفائز بجائزة نوبل الادبية في ديسمبر سنة ١٩٣٢

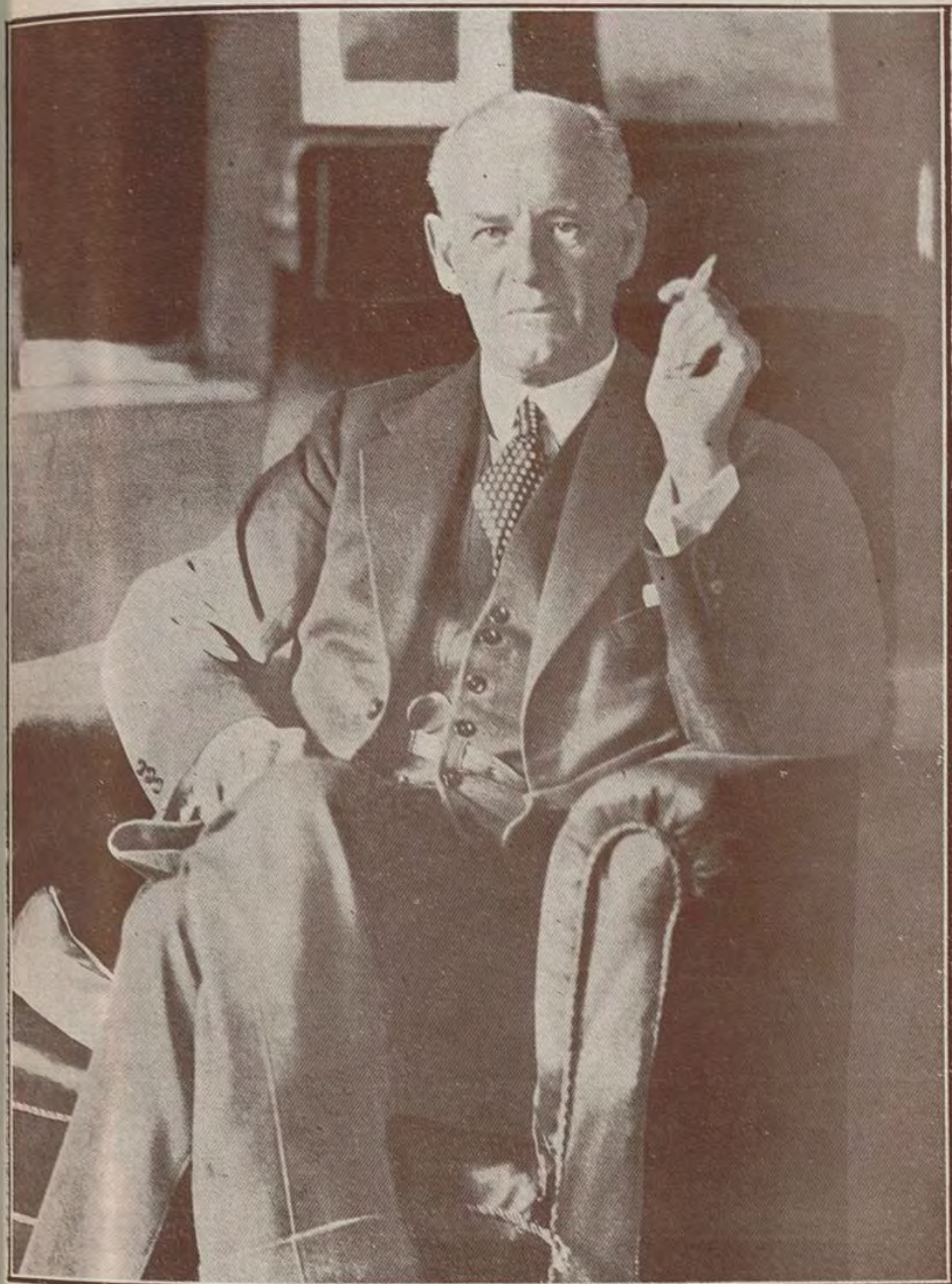
والتوفي في اول فبراير سنة ١٩٣٣

للمستر غالزوردي مقام خاص في ادب العصر الحديث . انه يختلف عن المستر ولز والمستر برنارد شو في انه لا يحسب ان فكرة معينة يمكن ان تكون لباب الحياة فيحشد قوى خياله وبلاغته للدعوة لها . ويختلف عن المستر ارنولد بنت في انه لا يستطيع ان يحلل نفسه كل شخص يتصل به او يخلقه في قصصه . وانما تقوم مكانته الادبية على نفوذ بصره الى شعور طبقة خاصة من طبقات الشعب الانكليزي هي الطبقة الوسطى المتقفة . لذلك تحسب رواياته التي يجمعها اسم « فورسيت ساغا » وثيقة خطيرة في التاريخ البريطاني الاجتماعي . فخير ما انشاه غالزوردي مطوي ومنشور في صفحاتها . دع رجلاً يملك عقاراً وغالزوردي اربع من يرسم صورة حياته النفسية . في تلك الصورة نجد معنى الرجل وآماله ومخاوفه فتراه يبحث عما يضمن سلامته وتطلع على آرائه في شؤون الحياة واحتقاره للمتقن ورييته في صلاح المعنى بالشؤون العقلية فقط لزعامة الامم — كل هذه الصفات يصورها لك غالزوردي فلا يباريه في روعة تصويرها وصدق احده

في هذه الحدود لم يتفوق احده من معاصري غالزوردي عليه فاذا خرج عن هذه الطبقة المعينة فقد رسوخه وثباته . فالعمال الذين يصفهم قاما تجمدهم رجالاً ونساءً من لحم ودم . بل هم في الغالب هياكل دب فيها شيء من العاطفة . ذلك انه يراهم من الخارج ولا يستطيع النفوذ الى مكان نفوسهم . بل تحس انه لم يكلف نفسه يوماً ما عناء اللبث معهم والتحدث اليهم ، فكان ما يعرفه عنهم انتهى اليه من مطالعة الصحف . فهم في كتيبه ليسوا اشخاصاً بروحون وبحيئون ، بل اجساماً تحركها الانفعالات التي يراها من صفات الارستقراطيين

ولكي يفهم غالزوردي على صحته يجب ان نذكر انه ليس من الكتّاب الذين يهيمون بالافكار ولكنهم من اولئك الذين يستسلمون للشعور . فهو يمتق القسوة والظلم والغضب والالم . ويحس بالعطف والرفق والمحبة . وشعوره هذا لا يتحول مبادئ يندفع في الدعوة اليها . فعلاجه لما يراه في المجتمع من تجمع الثروة في ايدي افراد واسر قلائل هو الكرم في منحها لا الاشتراكية . وعلاجه للفقر هو احترام الذات ورفع الاجور لا دكتاتورية العمال . فهو يرى

من خلال نف
الجودة . ف
لاستطيع
كان ز
مستعداً ل
الرياضية الد
لأنه كان ي
فرائه على
علل تصرف
الصحف ،
وفي ك
طارئة على
التميلية .
وتقليد اج
الألية و
كتابة المؤ
والفض
بخلص العا
زديد هذ
آداب السلو
الكتاب
ما تنطوي
الاقتصادي
على هذا
مقدرة الب
فنبيل
كريماً في
وانسانية
بلدان مخت



جون غالزوردي

John Galsworthy

الروائي الانكليزي المتوفي حديثاً ونائلاً جائزة نوبل الادبية سنة ١٩٣٢

امام صفحة ٢٧٣

مقتطف مارس ١٩٣٣

من خلال نظارته تضارب العواطف الشخصية في المجتمع . ولكنه لا يرى تصادم الانظمة المجردة . فانت اذ تقرأ كتابه تحس انه قد يميل الى تحليل نفسية كارل ماركس ، ولكنه لا يستطيع ان تقنعه بدرس المذهب الماركسي

كان زهرة من ازهار المذهب الحر الذي تدين به الطبقة المتوسطة الانكليزية . كان مستعداً لبذل ما يستطيع بذله لاصلاح نظام السجون . متحفظاً للاحتجاج على الالاعاب الرياضية الدموية وما يتخللها من قسوة ووحشية . ولم يرض في حياته ان يرمي الخطأ بمحجر لانه كان يفهم مأساة الخطيئة ووقعها الاليم في النفس . وقد كان في مؤلفاته قادراً على حمل قوائمه على الشعور بما يشعر به في هذه الاحوال ، ولكنه كان عاجزاً عن حملهم على التفكير في علل تصرفهم وآثاره ، لانه كان لا ينظر الى الناس هذه النظرة ، فقد كانت حياته سلسلة من المحبات ، دون اكثرها بما عرف عنه من حسن فني مرهف

وفي كتابته شعر اكثره الى الغنائي دون الفلسفي . وكان يفضل ان يرسم حالة نفسية طارئة على ان يعلن مبدعاً فلسفياً او عقيدة راسخة . وهذا اجلي ما يكون في رواياته التنبؤية . فعظم هذه الروايات يدور على موقف خاص ينطوي على اصطدام بين شخص وتقليد اجتماعي معين . فانت ترى في رواية غارزوردي قسوة هذا الاصطدام وآثاره الاليمية وتحس ان هذا الاصطدام يجب الا يكون . ولكنه قلماً تجد لذلك علاجاً ، في كتابة المؤلف او في خلال سطورهِ

والفضيلة في رايه هي احترام شعور الغير . وكأنه يقول هاتوا لنا من هذه الفضائل فيها بجلوس العالم . لا ريب اننا في حاجة الى هذه الفضائل . ولا شك في اننا لا نبالغ مهما تنمادى في زبد هذه الدعوة . ولكننا نشك في اننا نستطيع ان نعيد بناء الاجتماع البناء الامثل بتربية آداب السلوك التي يمتاز بها الاوستقراطيون الانكليز . ولعل المستر غارزوردي كان اشد الكتاب المعاصرين نفوراً من آلام الحرب ومقتاً لويلاتها . ولكنه في الراجع لم يربصيرته ما تنطوي عليه من جنون مطبق . وكان شديد الثورة على مساوئ الحياة في النظام الاقتصادي القائم على الرأسمالية . ولكن ذلك لم يحمله قط على البحث في وجوب الابقاء على هذا النظام او محقه . فقد كان دقيق الحس بنتائج الانظمة والافعال ولكن كانت تعوزه مقدرة البحث في اسبابها

فنبال الخلق ودقة الشعور ورقة الطبع كانت صفاته البارزة في حياته وكتاباته . فقد كان كريماً في حق كل انسان . وثمة كثير من الجمعيات التي ترمي الى تحقيق اغراض اجتماعية والسانية شريفة — كحفظ الريف من تدنيس الصناعة وانماء الشعور الدولي بين رجال القلم من بلدان مختلفة واصلاح نظام السجون وحظر التأديب بالفلق — كل هذه الجمعيات الانسانية

اشترك فيها غازوردي وايدھا بمقامه وماله ونفوذہ وهو قد فعل ذلك لان كل هذه المعاني لها مكانة خاصة في نفسه . على انه قلنا وفق اذ حاول ان يعالج الحركات الاجتماعية القائمة على اساس عقلي . ففي روايته التمثيلية التي عنوانها « كوميديا حديثة » يرسم صورة للاضراب العام الذي وقع في انكلترا سنة ١٩٢٦ انما لا يرى في هذا الاضراب الا انفعال اشخاص الرواية به وكيف هبوا الى العمل مكان المضرين . فالاضراب العام في نظرهم حدث اجتماعي يهدد سلامتهم الاقتصادية وكان المستر غازوردي نفسه لا ينظر الى الاضراب العام نظرة اوسع من نظرة اشخاصه . بيد انه اذا كانت العلاقة التي يرد رسمها علاقة شخصية فدقة شعوره بها لن تحجب وقد كان غازوردي في حياته اليومية ما تتبينه منه في كتبه . كان يلاقي الحياة بسكينة ومشكلاتها بفهم وعطف . كان رجلاً كريماً يهمله ان يفعل ما يراه حقاً وصالحاً وان يجنب ما يؤلم الغير ، شديد الاحترام لشعور الناس ، يبدو عليه شيء من الترفع . وكانت الحياة لا تستثيره كما تستثير المستر ولز . ولا كان مندفعاً بشهوة عنيفة الى تعرف اصولها واركانها كالمستر برنارد شو . لم ينزل الى ميدان الطبقات الفقيرة فلم ينفذ الى دخيلة نفوسها بل كان ينظر الى العالم من مرتفع منزو عن الناس ، فلا يندفع للاختلاط بتيارها كالمستر ولز « ولا يقيم حمائم على قارعة الطريق كالمستر شو »

ولد في كومب سنة ١٨٦٧ وتلقى علومه في جامعة اكسفورد ثم درس الحقوق وانتظم في سلك المحاماة ولكنه مال الى الكتابة والتأليف فظهرت روايته الاولى « جوسلين » سنة ١٨٩٨ فلما اصدر روايته الثالثة « مالك العقار » سنة ١٩٠٦ استرعى انتباه النقاد . وكانت هذه الرواية الاولى من سلسلة تعرف بـ « فورسيت ساغا » وصف فيها حالة الطبقة الوسطى والاسيا العالية منها في عهد الملكة فكتوريا والملك ادورد ومطلع عهد الملك جورج الخامس . فلما دكت الحرب العظمى معالم المجتمع القديم وقف غازوردي حائراً ، ثم انشأ ثلاث روايات حاول ان يصف فيها المجتمع الانكليزي الذي تلا الحرب الكبرى على ما فعل في « فورسيت ساغا » في المجتمع السابق لها . فاصدر « القرد الابيض » و « الملعقة الفضية » و « نشيد الاوزة » ولكنه تتبين في خلالها ان غازوردي كان مأخوذاً بتغير المشاهد ، فلم يعد فيها وصف التحول وصفاً خالياً من تأمله الصادق في اصول الحياة البشرية . وله قصص قصيرة ^(١) ورسائل في موضوعات انسانية عامة وروايات تمثيلية نحا فيها نحواً جديداً في جعل الحوار بين اشخاص الرواية طبيعياً خالياً من كل المحسنات البلاغية . فتحتاج هذه الروايات الى ان يمثلها ممثلون مجيدون لكي تبدو حسناتها فاذا اكتفى القارئ بقراءتها وجدها خالية من الرواء والبلاغة التي يعثر عليها في كل صفحة من برنارد شو

(١) سوف ننشر ترجمة احدها في العدد التالي وتطلب كل مؤلفاته من المكتبة المصرية الانكليزية بشارع قصر النيل بمصر

أيتها السباع!!

للشاعر علي محمود طه

« هي ذكريات قديمة يصور الشاعر فزعه من طروقها ذات
ليلة . فيحاول انكارها وبجاهل امرها وهي لا تصدق دعواه
فتصر على موقفها منه ويمضي الشاعر في محاولته ليردها عنه في
مناجاة مخزنة وضراعة مؤثرة »

لم أقبلت في الظلام اليّ ولماذا طرقت بابي ليلاً
لات حين المزار أيتها الأشد سباح : فامضي : فاعرفتك قبلاً !

أتركيني في وحشتي ودعيني في مكاني بوحدي مستقلاً
لست من تقصدين في ذلك الوا دي . فعذراً إن لم أقل لك أهلاً !

لا تطيلي الوقوف تحت سياحي لن تري فيه للشواء محلاً
ضل مسراك في الظلام فعودي واحذري فيه ثانياً أن يضل !

ذاك مأواي في تخوم الفيافي طلل واجم عليك أطلا
قد تخلّيت عن زماني فيه وهو بي عن زمانه قد تخلّى !

لن تري من خلاله غير خفا ق شعاع يكاد في الليل يبلى
وخيال مستغرق في ذهول بات يرعى دُباله المضمحلاً !

إرحني بهوه الكئيب فما فيه له لعينيك بهجة تتجلى
قد نزلت العشي فيه على قف سر جفته الحياة ماء وظلا !

كان هذا المكان روضاً نضيراً جرّ فيه الربيع بالامس ذبلاً
كان فيه زهر فعاد هسيماً كان فيه طير ولكن تولّى !

فلسامي من شقائه ودعيه وحده يصحب السكون المملأ
واطرقني غير بابيه إن روحي أحكت دونه رتاجاً وقفلاً !

أوقوفاً الى الصباح ببابي ؟ شدّ ما جفّته غباء وجهلاً !
ابعدي من وراء نافذتي الآ ن ! ورفقاً إذا انثيت ومهلاً !

إن من تحتها هزاراً صريعاً سامه البرد في العشية قتلاً
وأزاهير حولها ذابلات مزقتها الرياح في الليل شملاً

كان لي في حياتها خير سلوى فدعيني بموتها اتسلى
فهي ببقيا صباية ودموع جنباً عندها شعاعاً وطلاً !

إن عيني بها أحق من الموت وقلبي بها من القبر أولى
جنّ قلبي فاستضحكته المنايا حيث أبكتني الحقيقة عقلاً

لا تطيلي الوقوف أيتها الاشباح فامضي فما رأيتك قبلاً
أو لم تسمعي ؟ جهلتك من انت ! افعودي ! فما كذبتك قولاً !

يصعد
الانطباع
اجلاً على
نشأت بف
الاساس
كبير في و
في حالتها
ما سمعته ال
على عملية
اولى تس
واربعة
على
تعاونت
التطور
و «دارو
هذا الس
انت من
يؤمنون
منه عند
وهنا
تئين طر
(١)
هذه المقام

كيف نفهم التطور

للاستاذ السر ارثر طمسن^(١)

يصعب ان نحدد كلمة « تطور » الواسعة المعنى تحديداً ينطبق على مفهومها العلمي تمام الانطباق فانها قد تعني عملية «تحول» او «صيورة» (Becoming) ولكننا اذا اطلقناها اجمالاً على ما نسميه بالتطور العضوي عنينا بها ان جميع ما يحيط بنا من نباتات وحيوانات قد نشأت بفعل تحول طبيعي مستمر من اسلاف ايسر في التركيب واعم في الصفات . وعلى هذا الاساس فهي تعني ان الحاضر هو طفل الماضي وابو المستقبل ، وقد كان لهذه الكلمة شأن كبير في وصفها الطريق الذي سارت عليه جميع الكائنات الحية في نشوئها حتى اصبحت كما هي في حالتها الحاضرة . وقد اتفق علماء البيولوجيا ان يطلقوا كلمة «نشوء» (Development) على ماصها العلامة هارفي (Harvey) «تكون الفرخ من البيضة» ، وكلمة «تطور» (Evolution) على عملية تسلسل نسل الطيور من سلف يمتد الى الزحافات المنقرضة لا يعرف عنه الا القليل او على تسلسل الخيول الحديثة ذوات الحافر الواحد في كل من قوائمها من جد اصلي ذي ثلاثة واربعه حوافر نائمة في كل قائمة ، كان يطأ بها الارض

على ان فكرة التطور وحدها لا تصل الى اي نظرية خاصة تفسر لنا العوامل التي تعاونت على تحقيق ذلك التحول التدريجي من شكل الى آخر . حتى ان المؤمنين بنظرية التطور انفسهم لا يميلون الى قبول النظريات على علاقتها كنظريتي «لا مارك» (Lamarck) و«داروين» في تفسير حدوث التحولات الطبيعية . فديسأل شخص في اثناء المحادثات الاعتيادية هذا السؤال ، «هل تسلم بالنظرية الدارونية ؟» ويكون القصد من ذلك السؤال «هل انت من المؤمنين بالتطور ؟» لاشك انه سيجيب «نعم» لان جميع بيولوجي العصر الحاضر يؤمنون بالتطور كحقيقة ثابتة . ولكن اذا وجه السؤال نفسه الى طائفة من علماء البيولوجيا فيقصد منه عندئذ «هل انت مقتنع بكفاية نظرية داروين لتفسير جميع التنوعات التي كونتها الطبيعة ؟» وهنا تختلف الاجوبة فيجيب البعض «نعم» والبعض الآخر «لا» وغيرهم «الى حد ما» (الصورة التي رسمها لوقريطس) لا يوجد في الوقت الحاضر سوى صورة علمية واحدة تبين طريقة نشوء الكائنات الحية وبلوغها الحالة التي هي عليها الآن — وهي الصورة التطورية

(١) وردت الانباء الرقية بوفاة الاستاذ السر جون ارثر طمسن العالم البيولوجي الانكليزي فرأينا نشر هذه المقالة من آثاره البارعة وقد نقلها الى العربية بشير الياس اللومي أحد ادباء الموصل بالعراق

فلا يقرُّ العلم صورة أخرى ولا يعترف بغير التطور لتفسير جميع المظاهر العضوية . على أن هذه الفكرة لم تكن معروفة قديماً ، فإن الشاعر الروماني « لوقريطس Lucretius » (٩٩ - ٥٥ ق . م .) الذي كان مولعاً بالمسائل العلمية هو أول من وضع أساس مانسميه بنظرية التولد الذاتي « Theory of Spontaneous Generation » في كتابه الموسوم بـ « مملكة الطبيعة » يقول « أن النباتات والأشجار تنشأ من الأرض مباشرة كما ينبت الريش والشعر من أجسام الحيوانات ، وأن الكائنات الحية لم تهبط من السماء ، ولم تخرج الحيوانات البرية من البحر كما ظنَّ أناكساغوراس « Anaxagoras » فكما أن بعض الحيوانات الصغيرة تنشأ الآن من الأرض بعامل المطر وحرارة الشمس ، كذلك نشأت قديماً جميع الحيوانات نشوءاً ذاتياً بعامل القوى المولدة التي كانت في الأرض في عهد شبابها . على هذه الصورة تولدت الطيور أولاً من دفء الربيع ، ثم نشأت الحيوانات الأخرى من رحم الأرض »

قد تظهر لنا هذه الصورة على شيء كثير من الوهم والخيال ، غير أنها في الحقيقة ليست طارية عن الجمال . فهي أبداع صورة « لا تطورية » رسمت : كيف نشأت من الأرض القصيلة بعد الفصيلة من الأعشاب المخضرة ، والقبيلة تلو القبيلة من الكائنات الشاعرة ، وهل يعقل أن يحصل كل ذلك الأمر العجيب « بتأثير الأمطار وحرارة الشمس ؟ » . على أن الأرض ما زالت تعرف عند الكثيرين « بالام الرؤوم » ولكن حتى الذين يتمسكون بالاوهام لا يسمعون الاعتقاد بأن الحيوانات نشأت أول أمرها من صلب الأرض . فالحيوانات الصغيرة التي تقع تحت أنظارنا على الدوام أن هي إلا متطورة ، ولم يقذف بها جاهزة من باطن الأرض

﴿ الصورة التي رسمها ملتون ﴾ لقد عاشت الصورة التي رسمها لوقريطس في اثنا عشر حيوانات من الأرض عدة قرون ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن مذهب التولد الذاتي في الحيوانات الدنيا ظلَّ حياً حتى زمن « باستور » فإذا صح أن ينشأ مخلوق صغير من التراب من دون أن تسبقه حياة ما ، أفلا يعقل أن تنشأ الحيوانات الأخرى من رحم الأرض ؟ على أن كلتي الفكرتين بعيدة عن الحقيقة . أما فكرة « ملتون » فتختلف عن فكرة لوقريطس بإدخاله عقيدة الخلقة أو الخلق المستقل . لقد فكر لوقريطس في التولد الذاتي بصورة طبيعية ، لأنه كان يرى بأم عينه أن الحشرات والديدان تتولد من باطن الأرض ، وعلى ذلك الأساس حاول أن يرجع نشوء الحيوانات الأخرى قديماً إلى الأرض أيضاً ، ولكن فكرة ملتون كانت تتطلب الاعتقاد بشيء لا يفهمه العلم ، إذ قال أن الحيوانات والنباتات قد خلقها الإله من راب الأرض . على أن العلم يفتش دائماً عن وصف طبيعي مادي ، وهو يعتني أبداً بالنتائج المستقاة من عوامل ومؤثرات قابلة للقياس . ففكرة ملتون ليست علمية بهذا الاعتبار

﴿ الخلقة والتطور ﴾ يقتضي العلم أن نجتنب النظر إلى المشكلات الخطيرة بطريقة وعرة

ملتوية . ف
ملتون قد
دينية كهذه
يبحث فق
ول

كانت عند
الحية انبث
لا ينطبق
المتدين
«لقد ام
شيئا ف
»

لم تستط
الخلقات
فيظن ان
والوحا
(ssio)

بطريقة
توزع
الرقى
العامة
تنجلي
ما يتق

llace

في ف
لبعض
ومر
في



الفردرسل ولس

ملتوية . فقد تنطوي عميقة الخلقة على شيء كثير من الحميقة ولو ان الصورة التي رسمها ملتون قد لا يأخذها العالم الطبيعي بنظر الاعتبار ولكن ما زالت فكرة الخلقة تعبر عن عقيدة دينية كهذه فليس للعلم ان يقول كلمته فيها لان العلم لا شأن له بالتفسيرات الدينية وانما هو يبحث فقط في الاوصاف التي تقع تحت الحس والمشاهدة

ولكن اذا استمر الذين يعتقدون ان في كلام انجيل يوحنا (في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله . . . الخ) حقيقة بانه لا تقبل النقص والتبديل ، اجل اذا قالوا « ان الكائنات الحية انبثقت من الارض على الشكل الذي تراه الآن » اجاب العالم الطبيعي مؤكدا « ان هذا لا ينطبق في شيء على الحقائق التي اوضحتها لنا سجلات الصخور (المتحجرات) » او اذا قال المتدين « انا مقتنع بان الكائنات الحية نشأت بطريقة خاصة لا تقبل التحليل العلمي » اجابه : « لقد اسرعت في الحكم يا هذا ، فان السبيل الذي سلكته الكائنات العضوية آخذ في الوضوح شيئاً فشيئاً ويوماً بعد يوم . وليس للانسان ان يتحلل من واجبه في البحث العلمي »

﴿ تتابع الخلقة ﴾ في مبدأ نشوب الجدل بين فكري التطور والخلقة قامت فئة لم تستطع تفهم دقائق النظرية الدارونية ، واعلنت فكرة جديدة دعيت نظرية « تتابع الخلقات » (Successive Creations) القائلة بان كل عصر جيولوجي كان مسرحاً لخلقة خاصة فيظن ان البرمائيات الاولى خلقت في العصر الرمي الاحمر القديم (Old Red Sandstone Period) والزحافات الاولى في العصر البرمي (Permian) والطيور الاولى في العصر اليوراسي (Jurassic) وهكذا . على انه اذا لم يكن في الجأز ان نسلم بنشوء الاصل بطريقة الخلقة التي لا تأتلف والمقتضيات العلمية فكيف يجوز لنا قبول فكرة توزيع خلقة الكائنات الحية خلال العصور المتتابعة ؟ وفضلاً عن ذلك ان تدرج الانواع في الرقي هو اكثر انطباقاً على الحقائق العلمية ، بينما « الخلقة » هي فكرة دينية لا تلتئم والاساليب العلمية . اما مزج الفكرتين فمشوش للعقل . وعند ما يدعي المؤمن بالخلقة ان قوة الاله الحي تجلي وراء جميع الاشياء يكون بعيداً عن نطاق العلم وخارجاً عن اسلوبه النقدي ، ولكنه عند ما يتقدم الى البحث المادي وينكر او يميز فكرة معينة يكون كالمطفل المتعدي حدود اختصاصه

﴿ طالما ﴾ الفرد رسل ولس ﴿ كان العالم الطبيعي ﴾ الفرد رسل ولس Alfred Russell Wallace (١٨٢٢ - ١٩١٣) ا كبر شخصية ظهرت بين اصحاب التطور ، فقد شارك دارون

في فضل ابداء فكرة الانتخاب الطبيعي واشتهر بالسياحات الواسعة النطاق التي قام بها تحقيقاً لبعض الآراء العلمية عن الحياة الحيوانية ، وكان من المتوفرين على درس التوزيع الجغرافي ، ومن المشتغلين بالمشكلات البيولوجية العامة ، اصف الى ذلك فكره الوقاد ونبوغه الذي جعله في مصاف المصلحين الاجتماعيين والعلماء الطبيعيين . وكان ولس ، على شيء كثير من

دماثة الاخلاق وسمو المكارم ، فإنه لم يكتب بالاعتراف بسبق دارون له في نشر فكرة الانتخاب الطبيعي التي اشترك في درسها فحسب ، بل ألف كتاباً في هذا الموضوع سماه « الدارونية » او المذهب الداروني Darwinism

﴿ الفكرة الروحية في التطور ﴾ لقد كان « الفرد ولس » تطورياً بالمعنى الصحيح ، وكانت جميع مباحثه في ارتقاء الانسان والكائنات الحية الاخرى مطبوعة بطابع التطور . وهو الذي وقف بجانب دارون في معركة التطور ومهد لنا معرفة العوامل في نشوء المخلوقات الحية . ولكنه عند ما فكر في نشوء الكائنات العضوية من الكائنات اللاعضوية ، وفي نشوء الكائنات ذات الشعور والوجدان وبرز الصفات الانسانية الاخرى ، استنتج ان خطوات الارتقاء هذه مدينة الى تأثير عالم غير منظور هو « عالم الروح الذي لا يدانيه عالم المادة في شيء » سلم « ولس » بجميع العوامل التطبيقية في نشوء الانواع بعضها من بعض ولكنه قال بوجود قوة خفية تعمل وراءها ولا سيما في نشوء الانسان والكائنات الشاعرة الاخرى اذ قال في كتابه « عالم الحياة » الذي نشره عام ١٩١٠ « ان التعقيد الكائن في الاجسام الحية يستلزم وجود قوة خالقة وعقل مدبر وغاية خلقت لاجلها الاحياء »

﴿ هل كان « ولس » مصيباً ﴾ ان فكرة ولس تظهر معقولة جداً عند كثيرين فكل ما ذهب اليه هو : ان نظرية التطور لا تكون تامة ما لم تدلنا على العوامل التي تعاونت على احداث عملية النشوء العظيمة . على ان العالم التطوري لا يستطيع ان يوضح العوامل التي ادت الى نشوء العضويات الحية والكائنات الشاعرة ، فان تلك كانت خطوات واسعة فهل نستطيع تحليلها ؟ يجيب العالم التطوري بصراحة ان العلم لا يستطيع في الوقت الحاضر ان يلقي ضوءاً كافياً على هذه الخطوات الكبيرة ، لذلك كان امام « ولس » ان يفترض وجود قوة روحية كان لها اثر في احداث عملية التطور الطبيعية . وهكذا أدخل « ولس » عاملاً جديداً يساعد المادة والحياة على مقاومة ما يعترضهما من الصعاب

﴿ لماذا لا نستطيع قبول الفكرة الروحية ﴾ ان قبول نظرية « ولس » على علاقتها بفضي بنا الى مشاكل ومصاعب خطيرة وذلك (١) لانها تسرعت في الحكم بقصور العلم عن تفسير خطوات التطور الكبيرة كظهور العضويات والاحياء الشاعرة والكائنات البشرية و (٢) لان نظرية ولس تقتضي حتماً القول بان الخليقة الاصلية لم تكن تامة : وكان من الضروري لها ان تستعين بقوة خفية خاصة لتكوين العالم المتطور و (٣) لانها تستدعي الايمان بوجود الكائنات منذ الازل (٤) واخيراً ان ولس انحرف قليلاً عن الفكرة العلمية الصحيحة بوضعه امام العوامل التي يمكن التحقق منها علمياً - وهي المادة والطاقة والبروتون والعقل - عوامل روحية لا تأتلف والعلم الوضعي . ولكن رغماً عن كل ذلك ، فقد كان ولس يصّر على ضرورة التسلسل

والاستمرار في التطورات الطبيعية التي تسيطر على جميع الكائنات
 « الصورة التي رسمها » تشارلز كنفزلي « من السخف ان نزن ان مجرد لفظ كلمة
 « تطور » يوصلنا الى فهم نشوء اصل الكائنات الحية اذ لا يستطيع احدنا ان يعكس تتابع المشاهد
 لكونية ليري كيف ظهرت الطيور الاولى من صلب زحافات « الدينوسور » Dinosaurs
 المفترضة ، فاننا رغم عجزنا عن اثبات هذه التحولات اثباتاً جازماً ، لا نستطيع الا ان نسلم
 بصحتها كما نسلم بصحة الحوادث التي جرت قبل التاريخ . فاننا عند ما نقول : « ان الطيور نشأت
 من الزحافات » لا نعني بذلك اننا علمنا كيف حصل ذلك النشوء ، وليس ذلك بغريب ، فاننا
 لا نستطيع مثلاً ان نوضح كيف نشأت الدجاجة الفضية من الدجاجة الوحشية قاطنة الهند في
 مدة قصيرة . فكيف نستطيع تحليل الخطوات الكبيرة كنشوء الطيور الاولى . على اننا في جميع
 هذه الحالات يجب ان نتذرع بالصبر ونغضي في سبر غور العوامل التي عملت ولا تزال تعمل
 في احداث التغيرات التطورية . فعوضاً عن ان نقول « ان نشوء الطيور او الانسان امر عجيب
 ينطوي على قوة روحية لا يستطيع العلم معرفة كنه حقيقتها » يجب ان نقول « ان هذه
 المشكلة تستدعي التفكير والاحاطة بها احاطة تامة تبعداً عن التسرع في الحكم فيها » اذن
 ففكرة « ولس » تظهر كمن يحاول ان يمنع العمليات الطبيعية هبات روحية
 وفي كتاب « تشارلز كنفزلي » الخالد المسمى « اطفال الماء » وردت عبارة جميلة لا بأس من
 درجتها هنا . يقول المؤلف : عند ما اتى الطفل اخيراً الى احضان امه الطبيعة ، مؤملاً ان
 يجدها منصرفة الى اعمالها الكثيرة ، رآها ساكنة مكتوفة الايدي ، فاستغرب حالتها هذه .
 عندئذ اجابته بحكمة قائلاً « انظر يا بني ! انني اجعل الموجودات ان تكون نفسها بنفسها » . ومن
 هنا نستطيع ان نقف على ما ذهب اليه « كنفزلي » في هذه الصورة الخيالية لتفسير اعمال التطور
 بين لابلاس و نابليون « كانت النظرية السديمية للرياضي الفرنسي لابلاس Laplace
 مقدمة للنظرية الحديثة في تولد نظامنا الشمسي . فقد اظهر لابلاس عام ١٧٩٦ ان الادلة متوافرة
 على ان الشمس والسيارات ترجع الى اصل واحد مؤلف من كرة غازية مشتعلة تدور حول مركزها
 وتدعى بالسديم ، وهذا هو الراي الشائع الذي اذاعه الفيلسوف « كانت » Kant عام ١٧٥٥ .
 والراي العام متفق في الوقت الحاضر على الاصل السديمي لنظامنا الشمسي وغيره من الانظمة
 الكونية المشابهة . على ان الذي يهمننا الآن هو ليس النظرية السديمية ، بل مقابلة لابلاس
 لنابليون . وملخص الحكاية ان الامبراطور سأل العالم الفلكي عن الغرفة او المكان الذي
 يسكنه الله في « ميكانيكيته السماوية » فاجابه لابلاس ان لاقية لمثل هذا الفرض ، الا ان هذا
 الجواب اسمي فهمه كثيراً ، وذلك لاننا اولاً لا نستطيع ان نتصور ان لابلاس لم يكن رزيناً
 في موقف لا يجوز فيه الثرثرة وبوجه خاص امام شخص كنابليون ، وثانياً يمكننا ان نتأكد ان
 لابلاس لم يحاول ان يظهر بمظهر الملحد ، وكل ما قصده العالم هو انه لا يمكن ان نتكلم عن الله

وعن الجاذبية في وقت واحد . فاذا سلمنا بنشوء النظام الشمسي من الاصل السديمي بصورة طبيعية ، عندئذ لا يبتى شأن لفرض شيء آخر غير ذلك . وكان يرمي لا پلاس من هذا القول الى ان فكرة الآلة الجلية القدر هي غريبة في نطاق الكون بالنسبة للعالم الفلكي ، وان المشكلات الصعبة في العلم لا يمكن انارتها باي ضوء ديني

ومع ذلك اذا اعتبر الفلكي بصفه فلكيًّا ان نظام النجوم مستقل وقائم بذاته ، لا يكون قد طعن بالله بل بالعكس دآل على حكمته وقدرته في تحويل الاجرام السماوية ذلك النظام البديع المحكم . اذن فليس ثمة من تناقض في قبول الفلكي النظرية السديمية من جهة وفي مشاركته المتدين في تمجيد الله من جهة اخرى . والمهم في الامر ان لا پلاس اراد ان يقول ، انه ليس من حرج على العالم التطوري الحديث الذي يرفض مزج الافكار اللاهوتية بالافكار المقتبسة من الاختبار والتجربة في ان يكون متدينًا ومتحمسًا لدينه كالاستاذ «لويد مورغن»

Prof. Lloyd Morgan

﴿ العلم والفلسفة ﴾ يدور البحث العلمي على المشاهدات الدقيقة التي تتكرر مراراً ، وعلى التبصر والتفكير للوصول الى النتائج المنطقية المترتبة على المشاهدات فهو لا يعنى بالفلسفات الاخرى التي لا تقوم على اساس محسوس قابل للقياس ، والفرق بينه وبين الفلسفة هو ان نظرة العلم الى الاشياء تبدأ من التجارب المادية بينما نظرة الفلسفة عامة شاملة . ويمكننا ان نقول ان الفلسفة هي التفكير الاستنتاجي لمجموع المبادئ التي تقررها تجاربنا واختبارنا ومن واجب الفلسفة الحديثة ان تعنى بكل النتائج التي تصل اليها التحقيقات العلمية واذن فيجب ان نتقبل كل طريقة تفسيرية وافية كالنتائج العلمية لنظرية التطور او الوراثة ، وعلى هذا يبدأ عمل الفلسفة في الواقع حين تقف التجارب والملاحظات العلمية

﴿ ما هي الحقيقة ﴾ اذا قلنا ان العلم ينقل الينا ما هو مضبوط ومدقق ويؤدي بنا الى اكتشاف الحقيقة نكون قد اقتربنا من الهدف الاصلي . ويمكننا ان نشبه البحث العلمي بالصيد بشبكة نظمت عيونها بحيث لا تستبقي الا صفوفاً معينة من الحقائق ، وللعلم اساليب في البحث خاصة فهو لا يكون تاماً ما لم يحافظ على السير ضمن نطاقها ، ومع ذلك اذا مذهب الفسيولوجي يبحث في حياة الحيوانات في غابة ما ثم عاد ينبئنا بعدم عثوره على أثر من العقل في بحثه ، عندئذ يجدر بنا ان نتذكر ان العقل لا يمكن اكتشافه بالوسائل الفسيولوجية . فالعقل هو نوع من السمك الذي لا تستطيع شبكة الفسيولوجي القبض عليه

﴿ هل هناك تأثير متبادل بين العلم والدين ؟ ﴾ ان الموقف الذي وقفناه والذي لا زال ندافع عنه هو انه اذا كان كل من العلم والدين مخلصاً لغاياته الخاصة فلا يترتب على ذلك وجود اي تناقض بينهما في نظرهما الى الاسس الجوهرية ، لان العلم يحاول ان يصف ما حدث وما قد يحدث بتعبير « الدال المشترك الادنى » Lowest Common Denominator كالالكترونات

والبروتونات والاشعة والبروتوبلازم والعقل في حين ان الدين يحاول ان يكتشف ويفسر الطبيعة ومركز الانسان فيها بتعبير «المقياس المشترك الاعظم» Greatest Common Measure وهو الله ولكن اذا اردنا ان نعطي للعالم ما هو علمي ، وللدين ما هو ديني — المشاهدات للاول والتفسيرات اللاهوتية للثاني — فهل ثمة اي تأثير لاحدهما في الآخر ؟ لهذا السؤال اربعة اجوبة :

- (١) ان النتائج العلمية يجب ان تدخل في تضاعيف الدين لتزيده رونقاً وفعلاً في النفس
 - (٢) يجب ان لا يتجاهل العلم الحقائق التي يتوصل اليها الدين بالاختبار
 - (٣) يجب ان يتجنب الدين التعرض للحقائق العلمية المستقراة من الملاحظة والاختبار
 - (٤) يجب تمحيص الاستنتاجات العلمية وتطهيرها من العناصر التي لا تمت الى العلم بصلة
- الفكرة العامة للتطور العضوي* ان الفكرة العامة للتطور العضوي معناها ان الحاضر وليد الماضي وابو المستقبل . فنظام الطبيعة الحية يظهر لنا كسلسلة متتابعة من التحولات

تقدمت فيها الحياة وارتقت وظهر على اثرها ضروب جديدة في عالمي الحيوان والنبات فسر هذه الفكرة العلامة «اراسموس دارون» عام ١٧٩٦ ، في كلامه عن «هيوم» Hume يقول : «استنتج (اي هيوم) ان العالم تولد اكثر من ان يكون قد خلق ، وانه قد نشأ بالتدريج من عناصر اولية صغيرة جداً فيها نشاط ذاتي كامن ، اما انه (اي العالم) قد «تطور» فجأة بقوة الارادة الالهية فأمر لانستطيع الوثوق منه او الركون اليه . ان كلمة «تطور» الواردة في القسم الاخير من هذه العبارة قصد بها «الخلقة» وليس «التطور» اذ انها استعملت عوضاً عن كلمة «تطور» بمعناها العلمي المعروف . ويفهم من الجملة عامة ان جد دارون كان يرمي الى تشبيهه النشوء العضوي للفرد من جرثومة (كالفرخ من البيضة) بنشوء العالم وما عليه من كائنات ابتدائية صغيرة جداً . فالفرشة تنشأ من دودة وهذه من بيضة . والضفدعة تنشأ من الدموص وهذا من بيضة ايضاً . ان كل هذه العمليات تشبه التطورات السلاية Racial evolution في استمرارها وتحولها التدريجي . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لا تشبه التطورات السلاية من حيث ان الجرثومة ليست بداية بسيطة جداً ولكنها نتيجة الاحقاب وغنية بميزات ورثتها عن العصور السحيقة في القدم

* تعريف التطور العضوي* التطور هو عملية تكون تدريجي وهي فكرة واسعة يصعب تحديدها . وقد نرى في المستقبل ان في استطاعتنا تمييز ثلاثة انواع من التطور : لا عضوي وعضوي واجتماعي . ونحن بهمنافي الوقت الحاضر البحث في نشوء وارتقاء وظهور واختفاء النباتات والحيوانات والانسان بصفته جسم حي . ويمكننا ان نعرف التطور العضوي بأنه انتقال سلاي في جهة معينة تنشأ في خلاله انواع جديدة تشق لنفسها طريق الحياة ، وقد تحل محل الانواع التي نشأت منها او تسير جنباً لجنب معها . وكل ذلك يحصل بتحولات مستمرة اثبتتها البحث العلمي

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للشيخ محمد عبد الرحمن شهبندر

معرض المذاهب السياسية

— ٣ —

العظامية الانكليزية في القرن الثامن عشر : كتبنا هذا الفصل عن العظامية الانكليزية لانه يفسر الى مدى بعيد العظامية في الامم الاخرى — ومنها الامة العربية — في اكثر الاعصر التاريخية . والنظام العظمي الارستوقراطي هو نظام متأصل في الانكليز وقد مثل دوراً من اهم ادوار حياتهم السياسية والاجتماعية . ولا يتلكا العظاميون منهم ان ينسبوا كل المحامد التي تتغنى بها اممهم الى هذه الشكيمة العريقة في دماهم والى ما بني عليها من نظام محافظ . وتتجلى القواعد التي قامت عليها هذه العظامية في رد الفعل الذي حدث في انكلترة من جراء الثورة الفرنسية الكبرى التي حدثت في سنة ١٧٨٩ فالارستوقراطيون الانكليز استخدموا انواع الشدة في ابان تلك الثورة وعقبها لاجتثاث كل حركة حرة من اصولها واستعصروا ادمعتهم لكي يؤلفوا فلسفة ترتكز عليها دعاويهم الطويلة العريضة في حق الحكم ، ومعلوم ان قواعد الثورة الفرنسية قامت على استصراخ الادراك الانساني من اعماقه والاستناد الى مقتضيات الفهم السليم . بيد ان الارستوقراطية الانكليزية لم تنزل الى مقارعة الثورة على هذا الاساس ولا الى مجادلتها في هذه القواعد بل قالت بلسان (ادمند برك) خطيبها وكتبتها السياسي انها تأبى على الادراك الانساني ان يكون الاساس الصحيح للسياسة وعلى المنطق ان يكون المركز الذي ترتكز عليه فلسفتها ، واظهرت بكل ما اوتيت من عارضة وبلاغة شأن الوضع السياسي التقليدي المعنن الذي تمثل في الاختبارات والتجارب المجموعة في قبضة طبقة من الحكام الوراثيين هم الطبقة الارستوقراطية او هم « اهل الحل والعقد » كما في تاريخ الاسلام . فهذه الفلسفة التي قال بها (ادمند برك) يومئذ هي سر الحكمة الاساسية التي يبنى عليها العظاميون المحافظون حججهم في انكلترة الى يوم الناس هذا بل هي التي اشار اليها افلاطون في « الجمهورية » في القرن الرابع قبل المسيح ولا مراء ان هنالك فرقاً واضحاً بين عظامية الانكليز اللينة هذه وبين عظامية الفرنسيين

القامية التي كانت سبباً مباشراً للثورة . فالحقارى يذكر ان شكل الحكم في فرنسا يومئذ كان ملكياً من دونه طبقة اريستوقراطية تمتعت بالشيء الكثير من الامتيازات والمنافع من غير ان يكون لها سلطة سياسية ، وكانت ابواب هذه العظامية موصدة في وجه جميع الطامحين المستجدين ولو جمعوا ثروة طائلة في التجارة او الصرافة ، وكانت الاسلاب التي خولتهم امتيازاتهم ان يسلبوها من الناس ويتمتعوا بها عبثاً ثقيلاً اناخ على صدور الفلاحين بكامله وانقل كاهلهم ، وكانت الضرائب فادحة تبذل بسخاء على الجيش لتأييد السلطة الوطنية والدفاع عن نفوذها ، وادى اعفاء الطبقة العظامية من الضرائب الى اثقال عاتق الصناعة والتجارة وزاد في اغناء الدهماء من الشعب . لذلك لم يندمج الرجال النابهون في الطبقة الحاكمة بل بقوا خارجها لبشركوا في الثورة مع الفلاحين الجائعين المنهكين ومع العمال البائسين المستائين اما في انكثرت فكان للعظامية سلطة سياسية نافذة عدا الامتيازات التي تمتعت بها ، ولكنها اظهرت من الحكمة والكياسة انها لم تعف نفسها من الضرائب بتاتاً ولا اوصدت ابوابها دون الطامحين المستجدين من الرجال الصالحين سواء من صاهر منهم العظاميين فاتصل بهم او من فال حق الانتقال الى العظامية برخصة رسمية حصل عليها لمال جم جمعه في التجارة او الصناعة او الصرافة ، فهذا الموقف اعترف بشيء من الحق يكتسبه العامة بالثروة والمصاهرة او الجاه فيصبحون من اهل الحسب . وفوق ذلك فالعظامية الانكليزية لم تقف في البلاد وقفة سلبية اذانية بل اشتركت في ترقيتها الاقتصادية مهمة ونشاط . وهذا جميعه مما حال دون اجتماع العناصر المدائية عليها كما حدث لفرنسا يومئذ فأدى الى ثورتها في حين احتفظت العظامية في انكلترا بينينها وخرجت من جميع تلك العواصف الاوربية المزعزعة سليمة بمجرد اصلاح برلماني يسمى اصلاح سنة ١٨٣٢ ثم انتقلت الحكومة بالتدريج من سلطة نيابية عظامية كانت انكلترا اسبق الدول الى استئنائها الى سلطة عصامية ديموقراطية اصبحت شكل الحكم المطلوب في الدول الناشئة في القرن الثامن عشر . اما هذا الاصلاح البرلماني الذي حدث في سنة ١٨٣٢ فقد وسع حق الانتخاب حتى شمل الطبقات المتوسطة فقط فكان على طبقة العمال ان تنتظر حقها في الانتخاب الى ان قرره البرلمان في سنتي ١٨٦٧ و ١٨٨٤ ولكن انكلترا ام الوضع النيابي لم تصر ديموقراطية حقاً تتمتع جميع طبقاتها بالانتخاب الا يوم نال النساء هذا الحق بقرار برلماني في سنة ١٩١٨ بيد ان الاسعاف جاء متأخراً جداً فاصول « الترياق من العراق » الا والطريقة الديمقراطية النيابية معبودة الرئيس ودررو ولسن وحجة الدول الغالبة على المغلوبة في الحرب العالمية — قد اقتحمها طرائق اخرى ادعت الافضلية عليها وبارزتها في الميدان براز الندد لند ، وزاد في الطين بلة ان اشراك النساء في الشؤون السياسية لم يحقق حلم الذين عقدوا عليه الآمال الكبار

وغني عن البيان ان الدين الذي اظهرته الادارة الانكليزية على ذاك العهد حال دون وقوع
الكارثة ، ويذهب بعض الاجتماعيين الى ان هذا التكيف في الانكليز او القابلية التي تتحني
من غير ان تنكسر هي الخلقة القومية التي حالت دون الثورات العظيمة في بلادهم في حين ان
من طبيعة الفرنسيين التصلب التام وان يحاولوا التمسك بكل شيء الى ان يرغموا على ترك كل
شيء ، هذا شأنهم في حربهم وسلمهم واحتلالهم وجلائهم وكل شأن من شؤون ادارتهم ،
وقد نجلى في ايامنا هذه في مواقفهم العنيدة في المطالبة بالديون التي لهم كاملة وابتلاعهم
الديون التي عليهم كاملة ، والاصرار على ان يبقوا مكتسبين بالسلاح الى قمة الرأس وان يعرفوا
خصوصهم منه الى اخصر القدم ، بل ان هذه الخلقة فيهم ظهرت بثوبها القشيب في عصبة الامم في
جلساتها الاخيرة عند ما قدم مندوب فرنسا تقريره عن سورية فاتيح لاعضاء العصبة ان
يقابلوه بالتقارير التي قدمت عن العراق وانتهت في اكتوبر الماضي بانتظامه عضواً فيها ،
وان يتبينوا الاسباب التي ادت الى تراجع سورية تحت ارشاد الفرنسيين . وان كانت هي
السابقة على العهد العثماني . فما عجب هذا الارشاد الذي يحاول عبثاً ان يسوق شعباً راقباً
الى الضلال والاضمحلال

وعلى كل حال فالعبرة البليغة المستخلصة من الثورة الفرنسية ومن تلك الطبقة الفرنسية
العظامية التي حاولت ان تمتص دماء الناس من غير عوض وعلى رأسها البلاط ومشروعائه
الباهظة واستبداده اللامتناهي وعدم مبالاة بمطالب الامة هي مثل العبرة التي خلفها لنا
القيصرية الروسية الظالمة وعهد آل رومانوف في القرن الحاضر : دماء مہراقه وخراب شامل
وثورة عاصفة لم تبق ولم تذر ، ومن العجب العجيب ان يرى المتتبع تباشير الشيوعية فجأة في
الثورة الفرنسية كما راها فاضحة في الثورة الروسية ، فقد قام في فرنسا في تلك الايام رجل ثوري
اسمه (فرانسوى اميل بابوف) فنشر مذهبه السياسي فاذا هو لا يختلف في شيء عما حملة في
صدره (لينين) و (تروتسكي) و (ستالين) وهذا التشابه والحق يقال درس تاريخي يجب ان
يتلى كل يوم على رأس الحكومات العنيدة المتصلبة التي ليس في منهاجها شيء يسمى مصلحة
الشعب المحكوم ، والثورة اذا حدثت تكون مثل القنبلة اذا خرجت من فوهة المدفع -
لاسلطة لاحد عليها . قال (بابوف) في صحيفته يومئذ ^(١) . « لماذا يتكلم الناس عن الشرائع
وعن الاملاك ؟ فالاملاك هي حصّة المغتصبين والشرائع هي من عمل الاقوياء اما الشمس
فتشرق على الجميع واما الارض فليست ملكاً لاحد . اذهبوا اذن يا اخواني واشتروا التفاوضي
في هذا المجتمع الذي لا يلائمكم واقبلوه رأساً على عقب ودكوه دكاً وخذوا منه كل شيء
يعجبكم ، لان الفضلة هي من حق المعدم . وهذا ليس كل شيء ايها الاخوان والاصدقاء . بل

* The Revolt Against Civilization, Stoddard, P. 137

اذا وجدتم الموانع الدستورية عقبة في سبيل مساعيتكم الكريمة فاسحقوا هذه الموانع وهذه الدساتير من غير تردد واذبحوا العتاة والنبلاء والمموهين بالذهب من اصحاب الملايين وسائر هؤلاء الاشرار الذين يقاومون سعادتكم المشتركة . انتم الشعب الحقيقي الوحيد القمين بان يتمتع بخيرات هذا العالم ، وعدل الشعب عظيم وجليل مثل الشعب نفسه فكل ما يعمل به مشروع وكل ما يأمر به مقدس »

وتعرف خطط (بابوف) من الجمل الآتية المستخلصة من بيانه الذي وضعه ليلة الثورة التي اعدّها وسماه (بيان المتساوين) فقد جاء فيه من العبارات الجنونية المتهبة قوله « ايها الشعب الفرنسي لقد عشت خمسة عشر قرناً ترسف في العبودية ومائشاً عنها من شقاء ، ومضى عليك ست سنوات (وهي سنوات الثورة) لم تكدي في غضوناتها تنفس وانت تنتظر الاستقلال والسعادة والمساواة — المساواة التي هي اول غاية في الطبيعة واول حاجة في الانسان وهي العروة الوثقى لكل اجتماع بشري مشروع

« نعم اننا نريد من الآن فصاعداً ان نعيش ونموت على قدم المساواة كما ولدنا ونحن ننشد التساوي الحقيقي او الموت — هذا ما يجب ان نحصل عليه وسننال هذه المساواة حتماً بالغة ما بلغت قيمتها . والويل ثم الويل لكل من يقيم نفسه حائلاً بيننا وبينها

« اما الثورة الفرنسية فليست الا مقدمة فقط لثورة اخرى اعظم منها واكثر هيبة وستكون الاخيرة . واننا سنرضى بكل شيء في سبيل المساواة ونسمح كل شيء للتمسك بها وحدها . واذا اقتضى الحال فلتضمحل جميع الفنون على شرط ان تبقى لنا المساواة الصحيحة » واخيراً لتختف الفوارق المشيرة للاحقاد بين الاغنياء والفقراء ، والكبراء والصغراء ، والاسياد والمسودين والحكام والمحكومين ولا يبق فرق في البشر عدا الفرق المبني على العمر وعلى الجنس . ولما كانت حاجات الناس وملكاتهم واحدة فلتكن لهم تربية واحدة وطعام واحد وهم جميعهم يقنعون بشمس واحدة وهواء واحد فليمتد يأتري لا يكتفي كل واحد منهم من الطعام بنفس الحصة وبنفس النوع ؟

« ايها الفرنسيون افتحوا عيونكم وقلوبكم لفيض السعادة المردار واعترفوا معنا بجمهورية المتساوين واعلنوها في الخافقين »

لقد اطلنا فيما نقلنا من بيان (بابوف) عن ثورة التساوي هذه وعذرنا في ذلك اننا اردنا ان نبين ما تمنجه الحكومات الظالمة على المجتمع من الجنايات التي لا يعرف احد عواقبها ، وغير نكير ان ثورة (بابوف) هذه خنقت في المهد ولكن الآراء التي انطوت عليها بقيت مشتعلة تحت الرماد الى ان سنحت لها الفرصة فاندلعت السنّها تحرق الاخضر واليابس وتهدد النظام الاجتماعي من اساسه

شدوذ الاعضاء في الانسان

يصادف الاطباء احياناً في ممارسة صناعتهم اشخاصاً اعضاءهم الداخلية تشغل مكاناً مخالفاً كل المخالفة للمكان الذي يجب ان تشغله في الحالة السوية وحيث يجدونها عادةً : كوجود القلب والطحال مثلاً في الجهة اليمنى ، والكبد والزائدة المعوية في الجهة اليسرى الخ . . فما اسباب هذا الشذوذ يأتى ، وهل وضع الاعضاء المذكورة هذا الوضع ملائم للحياة من دون تعرض اصحابه للخطر ؟ واذا ما تصفحنا التآليف العلمية وجدنا ان اول اكتشاف من هذا القبيل يرجع الى القرن السادس عشر أي لما شرعوا في ممارسة تشريح الجثث . وفي ايامنا هذه اكتشف كثير من حوادث الشذوذ بفضل اشعة اكس واستعمالها في فحص الاحياء . فبين أن الشذوذ المذكور ليس له أي أثر في اختلال وظائف الاعضاء بل ان علاقات هذه الاعضاء بعضها ببعض تبقى كما هي ، وفي غالب الاحيان ، ان لم نقل تقريباً دائماً ، يجهل اولئك الاشخاص المصابون بالشذوذ انهم مصابون به . اما من جهة أصل هذا التركيب المقلوب في الاعضاء الداخلية فيمكنني على ما يظهر ان يكون واحد منها شاذاً (كوجود القلب مثلاً في الجهة اليمنى) حتى تتبعه الاعضاء الاخرى وتحذو حذوه

ولنناق الآن نظارة عاجلة على الشذوذ الذي يمكن ان يطرأ على مختلف الاعضاء . فمن جهة العيون يجب ان نذكر الشذوذ الناتج في غالب الاحيان عن توقف النمو . فقد ذكر الباحثون حالات كانت فيها العيون ناقصة وقت الولادة . وهذا النقص يصحب عادةً وجود ما يسمونه « منقار الارنبه » وهو اسم يطلق على الشفة المشقوقة (Bec-de-Lièvre) مع فقد جانب من الاصابع . كذلك الجفون تكون ناقصة التركيب في بعض الاحيان : كوجود شقوق تبديء مثلاً في الطرف الذي تنبت فيه الاهداب وتتجه الى فوق . او أن تكون الجفون ضيقة جداً حتى لا تكفي عند اغماضها لتغطية العين . وما تقدم ذكره عن العيون والجفون يقال ايضاً عن الاذان التي كثيراً ما تصاب ببعض النقص : كفقدان الصيوان والصماخ مثلاً ، وفي بعض الحالات قد تصاب بفقدان غشاء الطبل او الأذن الوسطى

﴿ شذوذ الدماغ ﴾ يندر جداً ان يكون المصاب بها ذا صحة جيدة وذكاء تام لما لهذا العضو من المكانة في الجسم . ومع ذلك فقد ذكرت حوادث غريبة تناقض تلك العقيدة الراسخة في الازمان حتى اليوم . فقد تبين عند بعضهم فقدان جانب من المادة الدماغية ، ورغم ذلك عاش المصابون به اعواماً طويلة من دون ان يطرأ عليهم ضعف عقلي او جسماني ، ففسروا ذلك بان الاقسام السليمة في الدماغ نابت في فعلها عن الاقسام الناقصة

ومن الشواذ الأخرى في الدماغ التحام الكرات بعضها مع بعض التحاماً جزئياً أو كلياً ، وظهور فتق عند الاطفال وقت الولادة يعرف بالقيلة الدماغية (Encéphalocèle) وهو فتق ناتج عن وقوف النمو ليس في الدماغ نفسه بل في عظام الجمجمة ويصحبه عادة تمدد الأنسجة . فالصاب بالفتق المذكور يندر أن يعيش والحالة هذه زمناً طويلاً

﴿ شدوذ جهاز الدوران ﴾ — القلب : ان مكانة هذا العضو خطيرة في الجسم حتى ليكنفي ان يكون الشذوذ الذي قد يحصل فيه سبباً في اصابة اصحابه بأعراض خطيرة ان لم نقل بتعذر الحياة عليهم . نعم انه يمكن للمرء ان يعيش اذا كان قلبه في الناحية اليمنى من صدره . لذا لا يمكن ان تكون الحالة كذلك عند ما توجد فتحة توصل بين اجواف القلب اليمنى واليسرى . وفي الحالة السوية لا بد من وجود فاصل بين دم العروق والدم الشرياني . فامتزاج الدمين على هذه الشاكلة بسبب وجود الفتحة المذكورة يوئل اذ ذاك الى زرققة لون الجلد مع ضيق تنفس شديد ودائم . والاولاد المصابون بهذه الاعراض يموتون عادة بعد ولادتهم ببضع ساعات ، وآخرون منهم يعيشون سنة او سنتين وفادراً يبلغون سن الرشد

﴿ شدوذ الجهاز التنفسي ﴾ يندر الشذوذ بوجه عام في المسالك التنفسية . ومع ذلك فقد لوحظ عند بعضهم نقص احدى الرئتين . وذو الرئة الواحدة لا يكون معرضاً والحالة هذه الا لضيق تنفس معتدل وغير دائم

﴿ شدوذ الجهاز الهضمي ﴾ الشفتان وسقف الحلق : الجهاز الهضمي اكثر الاجهزة تعرضاً للشذوذ في جسم الانسان كالعلم او الشق في الشفة العليا عند الاولاد وقت الولادة — وهو شق يتجه نحو المنخرين فيبلغهما في بعض الأحيان . وهذه الحالة يطلق عليها في بعض الاصطلاح الجراحي « منقار الارنبه » على ما ذكرنا اعلاه . وهي تشويه ورأى في كثير من الاحيان وحدوثه عند الصبيان ضعف حدوثه عند البنات ، وفي الشفة العليا اكثر منه الشفة السفلى . ويشغل الجهة اليسرى من الشفة العليا في الغالب (وهي الجهة الاكثر تعرضاً لذلك) او جهتي الشفة نفسها فيقسمها اذ ذاك الى ثلاثة اقسام (القسم الاوسط منها ارق من القسمين الجانبيين) او يكون الشق المذكور متوسطاً ومركزة تحت الأنف

ولحسن الحظ يمكن اصلاح هذا التشويه بعملية جراحية تعمل للطفل من الشهر السادس الى سنة بعد الولادة ما زال التشويه محصوراً في الشفة . أمّا اذا تعدّاها الى عظم الفك الاعلى فيجب اذ ذاك الانتظار لاجراء العملية لدى بلوغ الولد السنة الثالثة من العمر على الاقل ولكن يشترط ان يكون سليماً قوياً . كذلك سقف الحلق الذي يمكن ان يقسم الى قسمين بشق وسطي فيحدث حينئذ ما يسمونه في الاصطلاح الجراحي « حلق الذئب » (gueule-de-loup)

الأسنان : وهذه أيضاً لا تخلو من الشذوذ سواء في زيادتها عن العدد الطبيعي المعروف وفي هذه الحالة يصعب وجود مكان لها في الفم ، او انها تنبت خارجة عن اماكنها المعروفة ،

او يكون جذرها واصلاً الى محجر العين ، او قد يلتحم سنّان او اكثر . وعلى ذكر الاسنان يُروى أن بَرّوس (Pyrrhus) ملك مقدونية الشهير الذي مات في سنة ٢٧٢ ق . م . كانت اسنان فكه ملتحمة بعضها مع بعض وتولف بتركيبها قطعة واحدة

ولا يسلم اللسان من الشذوذ . فاما ان يكون مربوطاً الى اسفل الفم بعصبية قصيرة جداً وهذه حالة نادرة ، او ان يكون مشقوقاً كلسان الافعي

المعدة والمعى والحجاب الحاجز : أهم الشذوذ التي يمكن ان تحصل في العضوين الأولين هي زحولهما عن مكانهما . اما الحجاب الحاجز وهو الفاصل بين الجوف الصدري والجوف البطني فقد لوحظ فيه عند بعضهم وجود فتحات غير طبيعية مما يؤول الى دخول بعض الاعضاء البطنية في الجوف الصدري . ويجب ان نذكر ايضاً هنا فتق السرة عند الولد وقت الولادة . وهو فتق صغير الحجم يسهل اصلاحه بواسطة العصاب ، لكنه قد يكون كبيراً في بعض الاحيان حتى ليحتوي على الجانب الاكبر من اعضاء الجوف البطني — والكبد احياناً . فتسوء اذ ذاك حالة الولد وتتعذر ملاقاتها بالطرق الجراحية وغالباً تكون العاقبة وخيمة

وثمة شذوذ آخر في الجهاز الهضمي على جانب عظيم من خطورة الشأن هو انسداد فتحة الشرج وقت الولادة . فلما كانت الحياة للطفل لا مندوحة طبعاً عن اجراء فتحة صناعية بواسطة الجراح . اما توجد حالات لا يمكن اجراء هذه العمليات فيها وبذلك يقضي الطفل نجبة

الكبد : لا غنى لحياة الانسان عنها والتصانيف الطبية لم تذكر في وقت من الاوقات عدم وجودها عند احد من الناس . بل بالعكس اكتشفوا انها كانت احياناً مزدوجة بكبد أخرى تابعة لها

﴿ شذوذ جهاز البول ﴾ — الكلى : هي من أهم الاعضاء في جسم الانسان ولا يمكن ايضاً الاستغناء عنها كالكبد لكن احدى كليتي الانسان يمكن ان تكون ناقصة وقت الولادة وكثيراً ما نرى افساً يعيشون بكلى واحدة بعد استئصال الاخرى منهما بعملية جراحية والمولود بكلى واحدة تكون كليته عادة اضخم منها في الحالة السوية لقيامها بوظيفة الاثنتين . واغرب ما شوهد من هذه الوجهة اتحاد الكليتين معاً فتتكون منهما كلية واحدة كائنة امام العامود الشوكي بشكل هلال او حذوة الخيلان : يصلان الكلية بالثلاثة كل واحد من جهة كما هو معلوم . لكن يحدث ان يكون كلاهما في جهة واحدة . وتوجد حالات تتصل فيها واحدة من هاتين القناتين او كلاهما بالمعى المستقيم او الاعضاء الاخرى المجاورة بدلاً من أن تتصلا بالثلاثة ، مما يؤول الى درّة البول بصورة مزعجة وغير محتملة . اما المثانة فلا تخلو من شذوذ يطرأ عليها ويكون ذلك بسبب توقف نموها ، فتفتح اذ ذاك الى الخارج لعدم وجود قسم الجلد الذي يغطي البطن فتكون النتيجة درّة البول والالتهابات الحادة بتعرض غشاء المثانة المخاطي الى الخارج وهي حالة من شأنها تكدير عيش المريض واقلاق راحته . فلتلاني هذه العلة المزعجة لا مندوحة عن

طاب مساعدة الجراح ليقوم بعمل العملية اللازمة العراق — الدكتور عبده رزق

حاجتنا اللغوية الى مجمع يوثق به

للسيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة « الفتح »

الحاجة الى مجمع لغوي

قاعدة مطردة يجب علينا ان نراعيها في جميع ما نحن عازمون على القيام به من ضروب الإصلاح والتجديد ، وقد جرب العمل بها ثلاث ام عظمى في ادوار التاريخ الثلاثة فكانت سبب عظمتهن وسر تفوقهن على ام الارض : الرومانيون في الازمنة القديمة ، والعرب في الازمنة المتوسطة ، والانكليز في الازمنة الحاضرة . هذه القاعدة هي ان لا تهمل الامة من تقاليدها الا ما تبين ضرره ، وان لا تأخذ من تقاليد غيرها وأوضاعهم الا ما اوجبت الضرورة اخذه . فلمهارة في اخذ ما يجب اخذه وترك ما يجب تركه هي سر عظمة هذه الامم الثلاث واستفحال سلطانها

واللغة احد الاوضاع الجليلة الخطر في كل امة ، وهي كائن حي : يجب أن تبقى له خصائصه وسجاياه المميزة له عن غيره ، ويجب ان يتغذى دائماً بما يكفل له البقاء والنماء ، ويجعله صالحاً لأداء وظيفته في الحياة . وأتما امة تخطئ مناهج الصواب في تغذية لغتها تركب بذلك جريمة لا نجاء لها منها . واللعب في مصير اللغات أعظم خطراً من اللعب بمصير الاوطان ، والخيانة في ذلك شر من الخيانة في هذا . ومن الخيانة ما يتم على ايدي اناس وهم في غفلة عن نتائج ما يعملون ، وفي مثل هؤلاء هبط الوحي على قلب سيد المرسلين ، من كلام رب العالمين بأنهم « اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا : انما نحن مصالحون : ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

ان سلطان العربية في سجاياها الخالدة التي ما برحت مرآة كل عصر وكل جماعة وكل بيئة ، رغم خلودها وثباتها ورسوخ أصولها

أرايت لو اني عثرت على قصيدة من قصائد بشار المفقودة ، وعرضتها على انظار قرأني الى جانب قصيدة للرؤبيع بن ضبع — دون ان اسمي ناظميها — هل يشك القراء في ان القصيدتين من عصرين مختلفين ؟ انهم لا يشكون في ذلك قط لأن شعر الرؤبيع مرآة صادقة

لعصره وبيئته ، كما ان شعر بشار مرآة صادقة لعصره وبيئته ، حتى فيما حاول بشار ان ينحو فيه نحو الأعراب من شعره . مع ان سجايا اللغة في شعر الرُّبِيع وبشار ما برحت محتفظة بسلطانها مستقرة في مكانها . وكذلك الحال في شعر المتنبي ومحمود سامي البارودي وكل عبقرى كانت هذه اللغة ترجمان الدقيق من خواطره والسامى من الهاماته ، فهي قد اتسعت لاغراضهم دقة وسموًّا — بعد ان وسعت كتاب الله لفظاً وغاية — فلم يخرجوا على قوانينها ولم يتمرّدوا على سجايها قلت ان اللغة يجب ان تغذى دائماً بما يكفل لها البقاء والنماء ، ويجعلها صالحة لأداء وظيفتها في الحياة . وهذا حق لا يرتاب فيه عاقل ، وعليه مضى الذين سبقونا في هذه الصناعة في الدول العربية المتقدمة فضربوا في ذلك بسهم على قدر حاجتهم ، مراعين قوانين التغذية التي لا طغيان فيها على سجايا اللغة وخصائصها ، ولا خروج فيها على انظمتها وقوانينها . وان الامة التي تريد ان تجاري الامم الراقية في اقصى ما وصلت اليه من معارف البشر لا بد لها من ان تغذي لغتها بالالفاظ والاصطلاحات الدالة على تلك المعارف فتأخذ من ذلك على قدر الحاجة وتستعمله في مكان الحاجة ، فيكون من ذلك لغة للعلم غير لغة الادب ، وامسايب للبيان يليق كل منها بما استعمل له

ان الدولة العربية في العهد العباسي لما رأت طغيان التغذية في اللغة أصبح مجلبة شرور لا يجوز الاغضاء عليها بما يرتكبه المترجمون من شحن العربية بالفاظ اعجمية قد يكون في العربية ما يغني عنها ، فضلاً عن سوء ترجمتهم للاصطلاحات العلمية ، وتبذلم في الاساليب الكتابية بادر رجالها في الحال الى الاخذ على ايدي ضعاف المترجمين فعهدوا بمهمة تغذية اللغة من الجانب العلمي الى علماء بلغاء ينظرون فيما يترجمه المترجمون فيصلحون لغته ، ويهذبون مصطلحاته ويقومون اساليبه ، احتفاظاً بخصائص العربية وسجايها ، ولولا ذلك وغيره من مظاهر غناية الدولة والعلماء ، بل لولا كتاب الله تتلى آياته في كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي ، لكنت العربية اليوم كاللغة المالطية انحطاطاً وفقراً وابتدالاً

وبعد فان اللفظة الاجنبية في الكلام العربي ، كالجندي الاجنبي في الوطن العربي . واذا كان في الاوطان العربية نهر يعرفهم الناس لا يسوءهم وجود الجندي الاجنبي يمشي بسلاحه فوق تربة الوطن المقدس فان جمهور الامة يحترق من رضى بذلك ويسمي عمله بالاسم اللائق به . واذا كان في حملة الاقلام من المنتسبين الى الاداب العربية نهر يعرفهم الناس لا يسوءهم العدوان على سجايا العربية ولا احتلال الالفاظ الاعجمية سطور كتاباتنا فان حكم الجمهور على هؤلاء لا يقل عن حكمه على اولئك ، لأن الامرين يرجعان الى معنى واحد

نحن نحتاج الى الفاظ جديدة تدل على المعاني الجديدة ، ولكننا نريدها عربية بأنس بها كلامنا ، ونريدها ملائمة لخصائص لغتنا وسجايها ، وغير متمردة على قوانينها وانظمتها ،

سواء كان هذا التمرد منبعثاً عن نكايه او عن غفلة. لهذا الغرض ، وبدافع من هذه الحاجة ، فكّر المفكرون في تأليف مجامعنا اللغوية وحاولوا غير مرة تحقيقها
تاريخ فكرة المجمع العلمي (١)

كان السيد عبد الله نديم اول من دعا — بطريق النشر — الى فكرة انشاء المجمع اللغوي (فاقترح ذلك في صحيفته (التنكيك والتبكيك) التي كان يصدرها في الاسكندرية سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) ، فاخذت الفكرة في الاختار من ذلك العهد . وحوالي سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) تناقلت الافواه خبر سعي جماعة من الفضلاء في تأليف مجمع لغوي برئاسة عبد الله فكري باشا ثم سعى السيد توفيق البكري رحمه الله — تقيب الاشراف يومئذ — في تأليف مجمع سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) فتم له تأليفه برئاسته (ويرى توفيق افندي حبيب في المقتطف ٧٢ : ٥٨) ان ذلك كان على أثر دعاية ويلكسكس الى الكتابة باللغة العامية) . وكان من اعضاء هذا المجمع الشنيطي الكبير والشيخ حسن الطويل والشيخ حمزه فتح الله واسماعيل صبري باشا ومحمد المويلحي بك وغيرهم من اساطين اللغة والادب . وكان عمر هذا المجمع قصيراً ، فانه عقد سبع جلسات اولها يوم ٢١ شوال سنة ١٣٠٩ هـ (١٨ مايو ١٨٩٢ م) وآخرها يوم آخر رجب سنة ١٣١٠ هـ (١٧ فبراير سنة ١٨٩٣ م) . وفي المذكرة التي اعتمدت عليها في كتابة هذه النبذة أن من اعضاء هذا المجمع من انتظم فيه مكرهاً فلم يشهد الا الاجتماع الاول منه ثم انقطع عن حضور الجلسات . والالفاظ التي وضعها هذا المجمع واقرها عشرون لفظة :

عشر منها من وضع رئيسه السيد توفيق البكري وهي (مرحى) لكلمة (برافو) Bravo ، (برحى) لكلمة في Fi ، و(مدره) لكلمة افوكاتو Avocat ، و(المسرة) لكلمة تليفون Téléphone ، و(عيم صباحاً) لكلمة بونجور Bonjour ، و(عم مساء) لكلمة بون سوار Bonsoir ، و(البهو) لكلمة صالون Salon ، والقفاز لكلمة جواني ، و(الشمرة) لكلمة نومرو Numéro ، و(الوشاح) لكلمة كوردون Cordon

وعشر من وضع السيد محمد بك المويلحي وهي (الطنف) لكلمة بلسكون Balcon ، و(الحرافة) لسفينة التوربيد port Torpille ، و(الجديلة) لكلمة مودة Mode ، و(بطاقة الزيارة) لكلمة كارت فيزيت Carte de Visite ، و(المرب) لكلمة كلوب Club ، و(الحذاقة) لشهادة الدراسة كالبكوريا ، و(العاطف) و(المعطف) للبالطو او الباريسو Pardessus ، و(حصب الطريق بالحصباء) لجملة وضع المكدام في الطريق ، و(الشرطي) و(الجلواز) و(التورتور) لرجل البوليس ، و(المشجب) للشماعة Portemanteau

وقد انتقد السيد عبد الله نديم هذه الكلمات في مجلته (الاستاذ) فاختر (نخ) لبرافو ،

(١) تلقيت اكثر ما ورد في هذه النبذة عن مذكرة كتبها أعلم رجالنا في هذا الموضوع

و (النادي) للكلوب النهاري ، و (السامر) للكلوب الليلي ، و (المنشط) و (الطراز) للمودة . واستحسن أن يخصّ كردون القضاة بالقليل لأنّه لا جوهر فيه ، ولم يذكر للتوريد مردافاً ، ووافق على سائرهما . وانتقدها أيضاً صاحب الهلال فاستحسن من العشر الاولى ثمانى ، وخالف في اثنتين : فاختار المحامي للأفوكانو ، والرقم للنومرو ، واستحسن من الثانية ستاً وخالف في اربع : فاختار النادي للكلوب ، والزي للمودة ، والشرفة للبلكون^(١) ، ولم يذكر للتوريد مردافاً . ولما اصدر الشيخ ابراهيم اليازجي مجلة (البيان) في القاهرة استطرد في مقالة (اللغة والعصر) الى انتقاد هذه الالفاظ ، فلم يستحسن لكلمة برافو «مرحى» ولا لكلمة fi «برحى» لوجود مثل «نخ نخ» و «به به» و «الله انت» و «الله ابوك» الخ للاستحسان ، و «سوءة لفلان» و «قبحاً له» و «تباً له» الخ للاستهجان . كما انه استنكر «عم صباحاً وعم مساءً» لانهما مما اميت استعماله قديماً مع وجود ما هو اخف منهما على اللسان من الفاظ التحية . وانتقد «الخمرة» للنومرو ولكن لم يذكر لها مردافاً^(٢) . واختار للتوريد الرعاد ، وفضل الجناح على الطنّف للبلكون ، وخصّ المعطف بالبالطو ، والدثار بالباردسو .

ثم النشء في القاهرة عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) نادي دار العلوم برئاسة محمد حنفي ناصف بك العلامة الشهير ، وخص بعض جلساته للبحث في ما يتبع في وضع الالفاظ ، فكانت نتيجة مباحثته ان قرر ما يأتي : « يُبحث في اللغة العربية عن اسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمد المعجم اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض »

ثم طرأ فتور على اعمال النادي اعقبه انتخاب محمد عاطف بركات بك (باشا) ناظر مدرسة القضاء الشرعي رئيساً له ، فحاول انهاضه بعدة وسائل ، منها انه قرر في الجلسة المعقودة في ١٧ صفر سنة ١٣٢٧ انشاء مجلة شهرية فانشئت باسم (صحيفة نادي دار العلوم) ، وصدر اول عدد منها في ١٥ ربيع الاول من تلك السنة (٦ ابريل سنة ١٩٠٩ م) . ثم عن لهم ان يستأنفوا البحث في اللغة ووضع اسماء للمسميات الحديثة فاستحسنوا « ان ينتخب عشرة من الاسماء الاعجمية او العامية ، فيرسل الى كل عضو من اعضائه نسخة منها ليكتب كل عضو ما يراه مناسباً لتلك الاسم من الكلمات العربية البسيطة او المركبة ، ثم تعاد هذه الاجابات الى النادي في موعد معين ، وحينذاك تجتمع اللجنة العامية للنادي فتبحث هذه الاجابات وتختار من الكلمات اقربها مناسبة لمعنى الكلمة الاعجمية او العامية » . ثم اخذوا في نشر ما يجتمع لديهم

(١) الشرفة : حلية من الحجارة تجعل منفصلة بعضها عن بعض على أعلى المساجد والقصور ، فلا ترادف البلكون

(٢) كان من رأيه ان يوضع لها « الرقم » وقد صرح به في مقالات له اخرى

من هذه الالفاظ واعلنوا انه اذا مضى على نشرها شهر كامل ولم رد اليهم ملاحظات اعتبرت رأياً عاماً لجميع الاعضاء ، وكان عليهم ان يصقلوها بالسذتهم واقلامهم حتى تكون لعامة من يشتغلون باللغة العربية . ثم بدا لهم جمع ما تشتت من تلك الالفاظ في اعداد السنة الثانية فجمعوها ونشروها بعد تعديل فيها في العدد الثاني من السنة الثالثة مرتبة على حروف المعجم ، ثم تعطلت المجلة والنادي وفي سنة ١٩١٧ اقام اسماعيل بك عاصم مأدبة في داره لصاحبي المقتطف حضرها بعض الفضلاء ، فاقترح بعضهم السعي في تأليف مجمع لغوي ، فتم تأليفه برئاسة شيخ الجامع الازهر ، وكان من كبار اعضائه احمد تيمور باشا وحفني بك ناصف والشيخ احمد الاسكندري والشيخ احمد ابراهيم واحمد كمال باشا واحمد زكي باشا والشيخ مصطفى العناني والدكتور يعقوب صروف . وكان يوالي اجتماعه في دار الكتب المصرية ، والف منه لجناً تشتغل كل لجنة منها بفرع من فروع العلوم والفنون فتضع لمصطلحاته الكلمات اللاتقة بها . وحال بينه وبين الاستمرار اشتغال مصر بحركتها الوطنية بعد انتهاء الحرب العظمى . فلما جعل عبد الحميد بك ابو هيف مديراً لدار الكتب رأى ان يسعى في استئنف المجمع اعماله فدعا اعضاءه الباقين الى الاجتماع بدار الكتب مساء يوم الثلاثاء ١٣ جمادي الثاني سنة ١٣٤٤ (٢٩ ديسمبر ١٩٢٥م) فاجتمعوا برئاسة وكيل المجمع الشيخ محمد نجيت وألقوا منهم لجنة للسعي لدى الحكومة في الاعتراف به . ثم انتقل عبد الحميد بك ابو هيف الى رحمة الله تعالى ورضوانه فلم يجتمع المجمع بعد ذلك وفي ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٤٠ اجتمع بعض اعضاء المجمع الذي تقدم الكلام عليه ، وضمو اليهم خليطاً غير متجانس من الادباء ، واعلنوا تأسيس مجمع لغوي لتأليف معجم عصري يجمع بين مادة المعجم العربي القديم وبين ما استعمله الادباء المحدثون وما يضعه المجمع نفسه من الاوضاع والمصطلحات . قلت : ان هذه الجمعية تألفت من خليط غير متجانس لان فيمن انتسب اليهم — ولو بالاسم — رجالاً يعدون من كبار اهل الادب ، كما ان فيهم من لا علم له بالقواعد الاولى من علم الصرف ، بل فيهم من لا يحسن مراجعة لفظة في القاموس المحيط ، وكانوا يحاولون ان يحصلوا من الحكومة على اعتراف رسمي يخولهم الحرية في العمل ، وفتح لهم باب المساعدة على ما هم فيه ، فلم يظفروا ببيغيتهم ، فكان ذلك قاضياً على مجمعهم

صفات عضو المجمع اللغوي

ان الصفة الاولى التي يجب ان تلاحظ في عضو المجمع اللغوي العلم بقوانين لغة العرب وتاريخ تطورها ، والشعور بروح العصر وما يتطلبه في اللغة من احوال . وهذه الصفة في عضو المجمع اللغوي ترجع الى القاعدة التي قلت في صدر هذا المقال ان من الواجب علينا ان نراعيها في جميع ما نحن عازمون على القيام به من ضروب الاصلاح . وفي الحقيقة ان تلك القاعدة معيار التوازن في التجديد فاذا طغى احد جانبيها على الثاني كان في ذلك فقد التوازن ،

وكان في ذلك السقوط . فمعرفة قوانين اللغة اذا لم تكن مقرونة بمعرفة روح العصر وما يتطلبه في اللغة من احوال ، كانت حينئذ معرفة جافة وهي ما نسميه الجمود ، وقد رأينا ولا زال نرى جناية الجمود على نهضتنا . والشعور بروح العصر وما يتطلبه في اللغة من احوال اذا لم يكن مقروناً بمعرفة قوانين اللغة ، نتج من ذلك ترداد على تلك القوانين ، وعبث باللغة ، وكانت عاقبته الفوضى والهدم والشتات

ان الفشل الذي كان من نصيب جمعية السيد توفيق البكري ونادي دار العلوم ومجمع دار الكتب وغيرها ناشئ عن شيء واحد وهو ضياع صوت الأقلية القائلة بالتوازن بين قوانين العربية والحاجة العصرية ، لطفيان جلبة الجمود وهويش الفوضى وظهورها على صوت الاصلاح وماذا تنتظر من مجامع اكثر من فيها اما من هؤلاء المجددين الذين لا يأمنون بما في معجم لسان العرب من مادة اللغة لانهم لم يتعاملوا كيفية المراجعة فيه فيكتفون بالمنجد ، وهم يسمون الفوضى حرية والاباحة تجديداً والتهديم اصلاحاً . وإمامنا الجامدين على ما في الكتب المؤلفة في العصور المتأخرة ، فلا هم رجعوا الى ينابيع علومنا اللغوية الاولى التي دوتها ابن جني ومعاصروه ومشيختهم والتابعون لهم باحسان وكان علمهم عيناً ثرة ستكون لنا مدداً سخياً يوم نباشر الاصلاح الحقيقي ، ولا هم عرفوا ما يقتضيه روح العصر ففسدوا حاجة الناس فيه وساعدوهم على نيل مبتغاهم بما يحفظ للغة سجايها الازلية الخالدة . فالصفة التي ينبغي ان تنشدي في عضو المجمع اللغوي قبل غيرها هي المقدرة على حفظ هذا التوازن بين قوانين اللغة ومقتضى الزمان

المجمع اللغوي بين القديم والجديد

انا من القائلين بالتجديد الى اقصى حد تقتضيه حاجتنا ونهضتنا ، وما طراً على عقيدتي هذه وهن قط في يوم من الايام . اذ لا يعقل ان تكون صفحات الحياة البشرية في تغير ، وحاجتها في تفاوت واختلاف ، ثم يأتي عاقل ان يأخذ بمقتضيات هذا التغير في صفحات الحياة ويصر على تجاهل ذلك التفاوت والاختلاف في حاجاتها . ولكن لفظ «التجديد» كلفظ «الاستقلال» ولفظ «حق الامم في تقرير المصير» صار يطلق على معاني تكاد تكون متناقضة ، فمن الواجب على المهتمين بامر التجديد ان يحددوا معناه ليتفاهموا في مدلوله ويكونوا من امرهم فيه على بينة فلا يسدني الواحد منهم الحنظلة من فمه وهو يحسبها فاكهة حلوة ، ولا يتناول السم مخدوعاً باسم آخر اطلق عليه

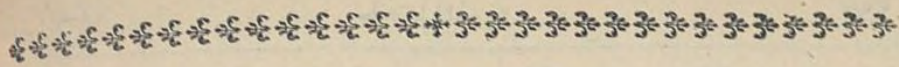
للتجديد في حركتنا الادبية والاصلاحية معنيان :

المعنى الذي يفهمه الانكليزي والالماني وافهمه انا معهما ، وهو ان اوضاع الامة نملة لكيانها الادبي ، وبقاء هذا الكيان متوقف على ان تحتفظ منه بكل ما ليس مضرّاً ، وان لا تضيف اليه من اوضاع الاغيار الا ما كان ضرورياً . فان لاطواع الانكليز طابعاً خاصاً بهم كما ان لاطواع الالمان طابعاً خاصاً بهم ، وتري كلا منهما متجلبلاً في جميع ما يصدر عن

هؤلاء وأولئك من صناعات وأعمال وحركات . وانك اذا كنت من قراء كتبهم تكاد تلهس
الوصاف الخاصة بطابع كل منهم بادية في ذوق الطباعة وفي نوع الورق وفي شكل التجليد ، مع
ان الحضارتين ترجعان الى اصل واحد . واذكر انني قرأت مرة فصلاً كتبه الاديب التركي
كبير سزائي بك ابن سامي باشا بعد اقامته الطويلة في بلاد الانكليز يذكر فيه تمسك الانكليز
بما ليس مضرًا من اوضاعهم وأذواقهم ، واقتناعهم بأن ما عندهم من ذلك لا يعلو عليه شيء
من امثاله في الامم الاخرى ، حتى انهم اقنعوا فتياتهم بأن للجمال الانكليزي معاني من الرقة
واللطف لا توجد في امة من امم الارض . وهم مع شدة تمسكهم بما يمتاز به كيانهم الادبي لا يفتأون
يراقبون بكل وسائل المراقبة ما يحدث عند غيرهم من تقدم في الصناعة ووسائل القوة ، فلا
يكاد غيرهم يخطو في ذلك خطوة حتى يأخذوا هم ايضاً بها ويحاولوا ان يزيدوا عليها . فالتجديد
عندي ان نأخذ بالضروري من اسباب القوة والتقدم على هذا النحو ، مع الاحتفاظ بما ليس
مضرًا من اوضاعنا وتقاليدها ، لتبقى لنا الشخصية القومية التي نمتاز بها وتعصمنا عن أن ندوب
فبين هو أقوى منا . أما فكرة الجامعة الانسانية فليس لها محل في كتاب الايمان العصري
الذي تدن به الامم القوية وستبقى كذلك من الآن الى الف سنة اخرى فيجب على الامم
الضعيفة ان تبعد عن هذا المرض القاتل جهد طاقتها

والمعنى الثاني من معاني التجديد هو الذي يريد أصحابه أن يقنعونا بأن المدنية الاوربية
كل لا يجوز أن نأخذ ببعض عناصره دون بعض . وهؤلاء اذا قالوا « رجعية » فلما يريدون
الاسلام ، واذا قالوا « القديم البالي » فيعنون الاوضاع العربية التي يتكوّن منها كياننا الأدبي .
وبعض هؤلاء صريح الى حد أن يقول « كما يجب على المصري أن يضحي بنفسه في سبيل مصر
يجب على مصر أن تضحي بنفسها في سبيل العالم » والبعض الآخر منهم أكثر خبثاً وأشدّ
نحفظاً فلا يسمح لنفسه أن ينطلق الى هذا الحد ولكنه يحاول أن يهدم من صدورنا وقلوبنا
حرمة كياننا الأدبي ، وأن يصور ماضينا لاحداثنا بصورة كاذبة يسهل معها على الجيل الآتي
أن يكفر بالشرق ويؤمن بالغرب وأن يجعل مصر وغير مصر من أوطاننا قرباناً يذبحه بين أيدي
جبارة القوة والتسلط في القارة الاوربية

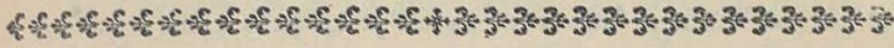
وهناك فريق ثالث يعيش في زماننا ولكنه لا يجهد فكره في معرفة هذه الامور ، ولا يميز
بين تجديد وتجديد ، فينصب نفسه لعداوة المعنيين جميعاً . ومادام هذا الفريق صادراً عن
التجديد النافع المعقول فان نتيجة ذلك أن نبقي ضعافاً فتمّ التضحية من سبيل آخر . ثم ان
هذا الفريق بانكاره للتجديد المعقول النافع ينفر الشباب عن كيانهم القومي ويقذف بهم الى
الناحية الاخرى التي نسمع منها دعوة السوء ونداء التطرف والتفريط وسوف يكون حكمنا
على هذا المجمع الذي انشأ حديثاً وموقفه منّا ومن حركتنا الاصلاحية ، بحسب العناصر
التي يتكوّن منها والرجال الذين يكون المجمع تحت تأثيرهم ومسيراً بأيديهم



الاستاذ سايس

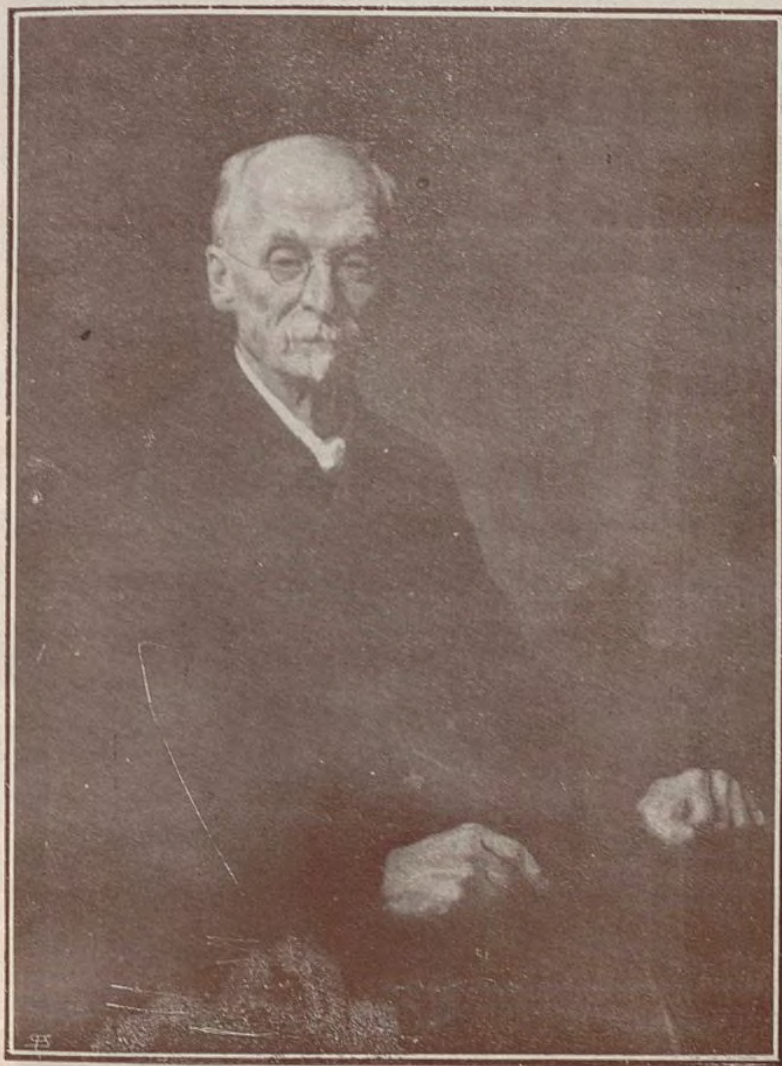
ترجمته ورأيه في قدّم الانسان المتمدن

Prof. A. H. Sayce



ذاع اسمه في اوربا سنة ١٨٧١ اذ كان عمره ٢٥ سنة وذلك بمقالة عن اللغة الشميرية (او الشنعارية) وظل من ذلك الوقت الى الآن وهو ينشر المقالات والكتب عن اللغات القديمة وتواريخ الساميين والمصريين واديانهم فلم تمض سنة من هذه السنين الستين لم ينشر فيها كتاب او مقالة ممتعة من قلمه ولد سنة ١٨٤٦ ودرس في كلية الثالث بجامعة كمبردج وكان رئيسها حينئذ بردفورد جيسن الرياضي فمال سايس الى العلوم الرياضية ومنها علم الفلك ولعل ذلك ساعده على حل الكتابات البابلية . ثم انتقل الى جامعة اكسفورد وعكف على الدروس القديمة (كلاسيك) وانضم الى الاستاذ بتيسن لتعضيد البحث العلمي في تلك الجامعة فنبغ منها على اثر ذلك كثيرون من العلماء العاملين . وكان علماء الآثار قد اخذوا يحلون الكتابات القديمة التي وجدت في غرب آسيا بواسطة كتابة قديمة وجدت في ثلاث لغات الاولى فارسية قديمة ثبت لهم انها شبيهة بالسكسكريت والثالثة سامية اي بابلية اما الثانية فكان امرها لا يزال غامضاً فاثبت سايس سنة ١٨٨٥ انها مكتوبة بلغة عيلام بلاد الملك قورش

واهم هذه اللغات الثلاث السامية البابلية لأن منها عُرف تاريخ البابليين والاشوريين وغيرهم من شعوب غرب آسيا الذين كانوا يكتبون بهذه اللغة . ولكن ثبت ان البابليين الذين كانوا يستعملون هذه اللغة اقتبسوا اسلوب كتابتهم وعمرانهم واكثر ديانتهم من شعب بابل اقدم منهم كانت لغته لا تزال مجهولة . ووجدت الواح كثيرة في نينوى مكتوبة بلغتين واتي بها الى المتحف البريطاني فالتضح انها قواميس وكتب قراءة كان البابليون الساميون يتعلمون بها تلك اللغة القديمة التي كانت محسوبة لديهم لغة مقدسة . وكان اوبرت وهنكس قد وجدا انها ليست سامية فكان حلها اول ما وجه سايس همه اليه فنشر في مجلة علم اللغات (فيلولوجي) مقالة سنة ١٨٧١ في حل كتابة يذكر فيها الملك دنججي ملك اور الذي نشأ بين سنة ٢٤٥٦ و٢٣٩٩ قبل المسيح . وأخطأ سايس حينئذ بمتابعة هنكس في حساباته الكتابية اكدية ثم ثبت له انها شميرية كما قال اوبرت . ودرس تلك اللغة درساً مدققاً وعرف لفظها وقواعدها . وقد ساعدته معرفته اللغة الشميرية على تأليف كتابه في قواعد اللغة الاشورية سنة ١٨٧٥ . ثم جعل يترجم ما يقع له من الكتابات الاشورية التاريخية والدينية والفلكية . وقد نشرت ترجماته هذه في سبعة مجلدات من كتاب اخبار الماضي Records of the Past ومما حققه فيها ان السنة البابلية (او الشميرية) كانت تبتدىء في الاعتدال الربيعي . وترجم فصلاً يقال فيه



الاستاذ سايس

المستشرق البريطاني المشهور واستاذ الآثار الاشورية سابقاً في جامعة اكسفر د

امام صفحة ٢٩٩

مقتطف مارس ١٩٣٣

ان الشمس كانت تنزل حينئذ برج الثور فحسب ان ذلك كان في القرن السادس والعشرين قبل المسيح ثم ثبت انه كان في القرن التاسع عشر قبل المسيح . لان برج الثور كبير جداً نزلت الشمس اوله في القرن الخامس والاربعين قبل المسيح ودامت تنزله الي سنة اي من سنة ٤٥٠٠ قبل المسيح الي ٢٥٠٠ قبل المسيح . وكان ليرد Layard قد وجد كتابات سفينية كثيرة فاكشف سايس انها مكتوبة باللغة الثانية من لغات كتابات داريوس وانها عيلامية ثم وجدت كتابات اخرى من هذا النوع ثبت منها ان اللغة العيلامية كانت لغة واسعة لامة ذات عمران كبير وقرأ اللغة السنسكريتية على مكس ملر واحسن اليونانية واللاتينية وتعلم كل اللغات الاوربية فآسعت معارفه اللغوية جداً . وله القول المأثور وهو ان قوام اللغة المميز لها انما هو قواعدها وتصايفها وتراكيبها اي صرفها ونحوها لا الفاظها . وله كتب ممتعة في هذه المواضيع مثل مقدمته في علم اللغات ومبادئ علم المقابلة بين اللغات

ومن سنة ١٨٨٥ اتجه اكثر اهتمامه الي تاريخ الاديان ولا سيما اديان مصر وبابل والديانة الموسوية . وله في هذا الموضوع كتب كثيرة مثل «ديانة البابليين القدماء» و «نور جديد من الآثار» و «حياة اشعيا وعصره» و «الانتقاد الاعلى وحكم الآثار» و «تاريخ العبرانيين القدم» و «الحقائق الاثرية وتخيلات الانتقاد الاعلى» و «علم الآثار والكتابات السفينية» . وله خطب كثيرة دينية وعلمية في مثل هذه المواضيع . ومقالات شتى في المجالات العلمية ولا سيما اعمال الجمعية الملكية الاسيوية . وكان من اكثر العلماء بحثاً في اللغة الحثية وتاريخ الشعب وله في ذلك كتاب مشهور موضوعه « الحثيون وتاريخ مملكة منسية » طبع اولاً سنة ١٨٨٨

فرم الانسان المحرم

من أكبر بواعث الحيرة التي كان المؤرخ يعانها — وقد ظل يعانها الى عهد قريب — سبادة الاعتقاد بمحدثة نشوء الحضارة وقصر عهدهم والقول بأنحطاط العمران وتقهقر الثقافة بدلاً من ارتقائهما . وكلا الاعتقادين مستمدان من حالة اوروبا في القرون الوسطى . فالاعتقاد بأقضاء «عصر الحضارة الذهبي» نشأ بعد سقوط الامبراطورية الرومانية وسيادة العصور المظلمة . فكان المفكرون يقولون ان عهد الانسان المتمدن كان قصيراً والوثائق التاريخية التي نزلت بالحضارة الى ازمان متوغللة في القدم غير جديرة بالعناية والتصديق واصبح ابطال الممالك القديمة وكأنهم حديث خرافة وجردت الامبراطورية الشرقية العريقة من روعة القديم ولكن فجر عصر جديد في تاريخ العمران انبلج حديثاً . فالاسلوب العلمي بمعاونة المعول والرفش فتح امامنا عالماً جديداً فيه تتخذ الحقائق المشاهدة فيه مقام النظريات . فنجم عن ذلك ان علماء الآثار اخذوا يكتبون من جديد قصة قدم الانسان التي شرع الجولوجيون يجمعون نثارها من مدونات الصخور . فعهد الانسان المتمدن يجب أن يرتد الى الوراء

طاويًا القرون نتيجة للبحث الاركيولوجي ، كما ارتدَّ عهد الانسان المتوحش متغلغلًا في جوف الماضي نتيجة لمباحث الجولوجيين والانثروبولوجيين . فالبحت الأثري في القرن الأخير كشف لنا عن عالم جديد هو عالم الماضي المتمدن المتوغل في القدم وفي مصر التاريخية نجد ابلغ الأمثلة على ذلك . فاذن نحن نرى المؤرخين الأدباء يتسابقون للتقليل من قدِّم الحضارة المصرية نرى المنقبين بمعاولهم ورفوشهم يكشفون لنا عن حقائق تقلب نظرنا الى قدِّم هذه الحضارة رأساً على عقب . ففي سقارة كشف المستر فرث عن مبانٍ لانعرف لها مثيلاً في تلك البلاد . فاذا قصرنا نظرنا على حقبة الملك زوسر - الدولة الثالثة - المحسوب الى عهد قريب ملكاً خرافياً ، وتأملنا ما في هذه المباني من الفن المعماري الدقيق قلنا ان مصر بلغت في ذلك العهد اوج الرقي . فالبناء والفن واللبن المطلي تشير كلها الى قرون طويلة من النمو والارتقاء سبقت درجة الكمال البادية في آثار سقارة ثم اذا نحن تأملنا الكتابة الهيروغليفية على جدران هذه المباني وجدنا انها كانت قد بلغت من الكمال والاحكام في عهد زوسر ما كانت عليه في عصر رعمسيس وداريوس بعد ذلك بعشرة قرون او اكثر فلا ريب في ان قروناً طويلاً مرَّت عليها قبل ذلك . وهناك دلائل على ان الخط الهيراطي كان مستعملاً حينئذٍ . اما ادوات المعيشة اليومية كاثاث البيت والحلى والملابس وغيرها من ادوات الزينة فتدل مكتشفات الدكتور ريسنر الاميري في مدفن الملكة هتب هرس - ام الملك خوفو باني هرم الجيزة الاكبر - ان مصر وحضارتها كانتا في مطلع عهد الدولة الرابعة في اسمى مراتب الرقي ثم اذا التفتنا الى بابل وجدنا كذلك ان المكتشفات الحديثة ترتدُّ بنا الى فن من اسمى الفنون التاريخية التي عرفناها في عصر قديم . فقد كانت بابل القديمة ، في نظر المؤرخين الى عهد قريب مقصورة في ميدان الفنون ، سواء في ذلك بابل الشمرية وبابل السامية . فسكانها كانوا في الغالب رجال بحارة وعمل . هم الذين شرعوا اساليب البنوك وطرائق التجارة الدولية ولكن حسَّهم الفني كان دون براعتهم التجارية . على ان ما كشف في المدافن الملكية بابل الكلدانيين على يد المستر وولي واعوانه يفسد حكمنا هذا افساداً تاماً . فالتحف المصوغة من ذهب وفضة ، والاصداف المنزلة باشكل تحلب اللب ، تشهد بانهم بلغوا في فنهم اعلى المراتب . ومع ذلك فان هذه المدافن وما تحتوي عليها ترجع الى العهد السابق للتاريخ المدون في بابل . يؤيد ذلك ان الكتابات القليلة التي وجدت مع هذه التحف النفيسة كانت بلغة مسامية لم تبلغ كمال النمو . فلما انشأ سرغون الامبراطورية البابلية الاولى سنة ٢٧٠٠ ق . م كان قد مضى على الكتابة المسامية عهد طويل من النمو التاريخي . وجنباً الى جنب مع التحف الفنية عثر المنقبون على الاساليب التي جرى عليها هذا الشعب القديم في تقديم الضحايا - بالعشرات - وهو عمل يذكرنا بدهاهومي بالشرق الادنى . فالضحايا البشرية لم تكن معروفة في بابل التاريخية ، ومجرد وجودها في تاريخ البلاد السابق كان مجهولاً كل الجهل . مع ذلك نرى ان مدافن اور

لا تمتد الى اقدم عهد في التاريخ البابلي . فالستر وولي زعيم المنقبين هنا يقول ان تحت الطبقة التي وجدت فيها هذه المدافن خمس طبقات هي ولا بد اقدم منها . والنقب فيها يرجع بنا الى العهد الجولوجي القديم لما كانت مستنقعات بابل في طور التكوّن على رأس الخليج الفارسي وقد تكون هذه المدافن ، الحديثة العهد اذا قيست بما قبلها خاصة بشعب سابق للشعب الشمري . فالشمريون يدعون نفوسهم «الشعب ذو الرؤوس السوداء» وهذا القول ينطوي على ان شعباً اشقر كان يقطن تلك البلاد . يؤيد ذلك ان الفن الشمري يمثل الشمريين اناساً ذوي رؤوس مسفطة مع أن أكثر الجماجم القديمة التي كشفت « في اور مصفحة (أي مستطيلة) » بشهادة السراثر كيث الذي فحصها . ولا يخفى ان الاموريين مرسومون في النقوش المصرية على أنهم شعب اشقر . اشقر الشعر ازرق العيون . والراجح ان الميتانيين العراقيين تحدروا منهم وهم اسلاف الشمريين في تلك البلاد . وقد كشف الدكتور سبزر في نيب جورا عن طبقتين تحتويان على آثار عمرانية تحت الطبقة الخاصة بعصر البرونز الذي ظهر فيه الشمريون . والآثار الذي وجدت في هذه الطبقة الأخيرة تشبه الآثار التي وجدت في اور والأبيض ويرجع تاريخها الى دولة اور الاولى (حوالي ٣١٠٠ ق.م.) اما الطبقات السابقة لها فترتد بنا الى العصر الحجري الجديد وعصر الخزف المدهون وعثر المنقبون في مدافن اور على آثار تجارة دولية واسعة النطاق وصناعة تعدين راقية . فقد وجدت حلي وأدوات مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس وبعضها منزل بالازورد . والراجح ان الذهب جاء من خليج فارس واما الفضة فمن مناجم جبال طوروس . وهذه الحقيقة متسقة مع ما كشف حديثاً في الصين وشمال الهند الغربي . فقد عثر السرجون مارشال في موهنجو دارو وهاربا (الهند) على آثار مدينة تدل كل الدلائل على شدة اتصالها بعيالهم وبابل الشمرية . وفي الصين وجد الاستاذ اندرسن خزفاً مصقولاً ومدهوناً من العصر الحجري الجديد وهو يمت بصلته الى الخزف الذي وجد في سوسا من ذلك العصر وقد وجد خزف شبيه بالاثنيين في بابل وفي بلدة سكشي غزو الى الشمال من خليج انطاكية . ثم ان مباحث الاستاذ لي آت من الصين في هونان اثبت ان دولة شانغ (١٧٦٦-١١٥٤) ق.م. ليست خرافية قط وعليه فلا بد ان تكون كتابتها وعمارته قد مرّت في دور طويل من النمو فلما بلغت ما بلغه من الاتقان والرقى . كذلك يستدل من الألواح المسماة الكبدوكية التي كشفت في كرا ايوك على اتساع تجارة البابليين وراقيها . اما ونحن نعرف تاريخ هذه الألواح فلاشارة فيها انما هي الى تجارة البابليين في عهد الدولة الاورية الثالثة (٢٤٠٠-٢٣٠٠) ق.م. وغني عن البيان ان الزمان السابق لنشوء تجارة بلغت مرتبة سامية من الرقي، بما فيها من وسائل النقل واساليب الكتابة والحساب والمعاملة طويل جداً . فالانسان المتعبد اقدم جداً مما كنا نظن

مهاتما غاندي

- ٥ -

العودة الى الهند

حان الوقت الذي اغادر فيه إنجلترا، وحصلت على اجازة بالسفر على الباخرة «آسام» في شهر يونيه . وكانت الرياح « الموسمية » Monsoon قد اخذت تهب عند ما بلغنا بحر العرب وظل الجو عاصفاً طوال سياحتنا الى بومباي ، بعد ان غادرنا ميناء عدن . واصيب كل من كان على الباخرة بدوار البحر، غير أنني ظلت مُعافى، وشعرت بكثير من السرور والمرح اذ كنت اقف على ظهر السفينة ارقب هياج العاصفة وتلاطم الامواج الثائرة. وكان اكثر المسافرين مصابين بالدوار، فلم يكن يحضر الى غرفة الطعام للافطار سوى اثنين او ثلاثة أنا واحد منهم، فتقدم لنا عصيدة القرطم في اطباق تتشبث بها في احضاننا لئلا تفلت منها العصيدة وتلوثنا كانت العاصفة التي ترسل باهازيحها في الخارج ، رمزاً الى العاصفة الثائرة في نفسي، على أن عاصفة الطبيعة لم تستطع ان تهزني او تزعجني . وعن هذا عجزت ايضاً العاصفة التي كانت تنور في نفسي . وكنت اتوقع ان اواجه عاصفة اخرى يشيرها اهل طائفتي. اضف الى ذلك ما كنت اشعر به من عجز عن ان ابدأ حياتي كحام . ولما كنت بطبعي مصلحاً ، اخذت أؤكد نفسي في التفكير بأية ناحية من نواحي الاصلاح أبداً . ولكن القدر كان يخبأ لي اكثر مما جال في خاطري حضر أخي الاكبر من « كاثياوار » ليتلقاني على المرفأ . وكان قد تعرف بالدكتور «مهتا» واخيه . ونزلنا ضيفين في بيت اخي الدكتور « مهتا » بعد ان ألح على اخي الحاحاً . وبذلك تحولت المعرفة التي بدأت في إنجلترا الى صداقة دائمة بين الاسرتين وظللت طوال رحلتي الى وطني اطلع الى لقاء أمي . وكنت اجهل انها لم تعد بعد بين الاحياء لتتلقاني بذراعيها وتضميني الى صدرها . ولقد التقيت الي أخي بهذا الخبر المحزن ، بعد ان اخفاه عني في خلال اقامتي في إنجلترا ، واراد بذلك ان يكفيني مؤونة الصدمة وأنا في بلاد اجنبية . والحق أن هذا الخبر كان صدمة عنيفة لي ، ولكن لم اتطوح مع الحزن والاسى . وكان حزني على فقد امي اعظم من حزني على فقد أبي . غير اني اذكر تماماً اني لم اتماد في التعبير عن حزني الى الحد الذي يخرجني عن الوقار ، حتى لقد استطعت ان احبس دموعي ، وان امضي في اعمال كالو كنت في حالي العادية ، وكأن لم يكن في قلبي حزن عميق

قدمني الدكتور « مهتا » الى كثير من الاصدقاء ، كان أحدهم أخاه واسمه « ريشاشنكر جاجان » وكان تعارفنا مقدمة لصداقة طويلة ظلت طول عمرنا على احسن حال . ولكني أريد ان اشير على وجه خاص الى « مقدمة » قدمني بها الدكتور « مهتا » للشاعر ريشاند Raychand وهو يمت بقرابة الى أخ كبير من اخوة الدكتور « مهتا » ، واحد المساهمين في اتحاد الصاغة . ولم يكن هذا الشاعر قد تجاوز الخامسة بعد العشرين من عمره . غير ان اول لقاء به اقنعتني انه رجل قويم الاخلاق واسع المعرفة . وكان يُسَمَّبُ « بالمُعَلِّمَةِ » ^(١) Shatavadhani وحرصني الدكتور « مهتا » أن امتحن قوة ذاكرته ، فاخذت أعيد كلمات مما اعرف من مختلف اللغات الاوربية ، وسألته ان يعيدها ، فاعادها على نفس الترتيب الذي نطقها به . ولقد شعرت بانني احسده على كفايته هذه ، غير اني لم أؤخذ بها . اما ما أثار اعجابي به بحق فسعة معرفته بالكتب المقدسة واخلاقه العالية ، وتحرقه واشتهاؤه أن يحقق ذاته ويصبح بها مستقلاً في افق جديد . وكان هذا غرضه الذي من اجله يعيش . وكثيراً ما كان يردد « ابياتاً » من شعر « مكناناد » Muktanad كنت اشعر بانها محفورة على صفحات قلبه :-
« أشعر بانني في نعيم عندما « اراه » (الله) في كل عمل من أعمال يومي . والحق انه الخيط الذي يصل حياة مُكُنْتَانَاد »

كانت تجارة « ريشاند - باي » ^(٢) تقوم بمئات الالوف من الروبيات . وكان خبيراً باللالآ والماس . ولم تكن تعترضه مشكلة من مشاكل العمل الا وتصبح بين يديه سهلة هينة . ولكن كل هذه الاشياء لم تكن المحور الذي تدور من حوله عَجَلَة حياته . اما حياته فكانت تدور عجلها حول الشهوة في ان يرى الله وجهاً لوجه . فكنت ترى بين الاشياء الكثيرة المتناثرة على مكتب عمله كتاباً دينياً ويوميته . فكان لدى انتهائه من عمله يتناول الكتاب الديني او اليوميته . واكثر ما نشر من مؤلفات ، لم تخرج عن انها منتخبات من يومياته . والرجل الذي يستطيع أن يمكف تواً ، وبمجرد ان يخلص من اعماله التجارية ، على الكتابة في الاشياء الخفية العميقة في اغوار النفس ، ليس برجل تاجر على اطلاق القول ، بل رجل يبحث عن الحق بكل معناه . ولقد شهدته مأخوذاً بأبحاثه الروحية وهو مغمور في لجة عمله التجاري مرات لامة واحدة . ولم لاحظ انهُ فقد توازنه العقلي في اي ظرف من الظروف . ولم يكن بيننا اية علاقة دنيوية تربطنا ، ومع هذا فكنت اتبعه متابعه الظل . كنت في الاكثر محامياً مغموراً . ومع هذا فكنت لا أراه الا ويجرني الى الكلام في مسائل ذات صيغة دينية وعلى الرغم من

(١) الكلمة الهندية Shata-vadhani معناها الشخص الذي يستطيع ان يتذكر او يعي مائة شيء في آن واحد ، وبخيل الي ان كلمة معلمة اقرب كلمة عربية يمكن بها التعبير عن هذا المعنى (المترجم)
(٢) المادة المتبعة في مقاطعة جوجرات وبعض مقاطعات غيرها في الهند تقضي بان يضاف مقطع « باي » أو بهاي bhai (ومعناها اخ) الي اسم الصديق تكريماً واطهاراً للود

اني كنت حتى ذلك الحين ما ازال اتلمس طريقي تلمساً ولم يكن لي أية لذة في المناقشات الدينية، كنت أجد في حديثه هزة لا اعرف مبعثها . ولقد كان هذا سبباً في ان ازور الكثيرين من حكماء الدين ، وحاولت ان اقابل الكثيرين من رؤساء الطوائف الدينية . ولكن من غير ان يترك واحد منهم في نفسي من الاثر ما ترك « ريشاند — باي » فان كلماته كانت تنفذ رأساً الى اعالي نفسي، وحازت قوة عقله عندي من الاحترام ما لا يقل عن احترامي لجدّه الادبي، وثقتي التي لا يمكن ان يكتنفها شك في أنه سوف لا يغشني او يغويني، وانه سوف يطلعني دائماً وبفضي بذات نفسه . ولذا لم اكن اجد غيره من ملجأ، كلما ساورتني الازمات الروحية العنيفة

ومع هذا ، وعلى الرغم من عظيم احترامي له ، فاني لم استطع أن انزله من قلبي منزلة « الغورو » ^(١) — Gura — من نفسي . فان هذه المسكنة ظلت خالية ، وما ازال ابحت عن يشغلها حتى الآن . على اني اعتقد بصحة النظرية الهندية في « الغورو » وقيمتها في تحقيق السمو الروحاني . ويخيل اليّ ان هناك قسطاً عظيماً من الحق في الحكمة القائلة بأن المعرفة الحقيقية غير مستطاعة من غير « غورو » . فان معلماً غير كامل العدة في المسائل الدنيوية امر قد يحتمل وقد يتسامح فيه الانسان ، اما في المسائل الروحانية فالامر على خلاف ذلك . وان معلماً كاملاً في المسائل الروحانية ، بكل ماتحتمل صفة الكمال من المعاني ، هو دون غيره الذي يصح للانسان أن يتوجه ملكاً على عرش القلب والوجدان . وعلى هذا يجب ان يستمر الانسان يكافح طوال حياته في سبيل بلوغ ذروة الكمال . لان كل انسان انما يصل الى « الغورو » الذي يستحقه . وكفاحنا في سبيل الكمال هو حق الانسان الطبيعي . والكمال يحمل في ثناياه ما ينتظر الانسان في الدنيا من ثواب . اما الباقي بعد ذلك فبين يدي الله . وعلى الرغم من انني ما استطعت أن اضع « ريشاند — باي » في موضع « الغورو » من قلبي ، فانه كان في كثير من الحالات مساعدي ومرشدي . ان ثلاثة من المحدثين استطاعوا أن يتركوا في انهم الثابت ويختلبوني اختلاباً . ريشاند — باي بعلاقته الشخصية، وتولوستوي بكتابه « ملكوت الله في نفوسك » ^(٢) ورسكن بكتابه « حتى هذه النهاية » ^(٣)

عقد اخي عليّ آمالاً كبيراً . وكانت تحتكم فيه رغبة المال وبعد الصيت وذبوع الاسم وكان كبير القلب متجاوزاً عن الاخطاء ، وفوق ذلك سليم الفطرة ساذجها ، فالتف حوله كثير من الاصدقاء الاوفياء ومن طريقهم حاول ان يزودني بالقضايا والمنازعات القضائية . وتخيل اني عما قريب سوف احصل على قدر كافٍ من المراتنة والتقدم في العمل ، وعلى هذا التقدير اسرف في نفقات البيت والمعيشة . ومضى يعمل بكل جد ليهد لي سبيل العمل كحمام أمام المحاكم كانت العاصفة التي اثارها زعماء طائفتي قبل سفري الى انجلترا لانزال ثائرة ، حتى لقد

(١) حكيم روحاني . وهو ليس اسم شخص ، بل اسم يطلق على من يتصف بالحكمة الروحانية ويوجه غيره الى الرشد (٢) Unto This Last (٣) The Kingdom of God is Whitin You

انقسمت الطائفة قسمين ، حكمت احداها تَوْأاً لدى رجوعي الى الهند بدخولي مرة اخرى الى حظيرتها ، ومضت الاخرى مستمسكة بقرار فصلي الذي صدر قبل سفري . فمن اجل ان رضي اخي الطائفة الاولى ، اخذني قبل سفري لراچكوت الى « ناسك » وغسلني في النهر المقدس ، ولما وصل الى راچكوت اعدت وليمة طائفية لتكون بمثابة كفارة عن ذنبي . ولقد كرهت كل هذا وزهدت فيه . ولكن حب اخي لي كان عظيماً ، ولم يكن تعلقي به يقل عن حبه لي . لهذا رضيت بأن اعمل كآلة تتحرك كما يريد ، معتبراً ان ارادته قانون عليّ الطاعة له . على أن هذا قد فضّل اشكال رجوعي الى الطائفة من طريق عملي عرف اخي كيف يسلك السبيل اليه لم يحاول مطلقاً أن أرجع الى الفريق الذي رفض ان اعود الى الطائفة . وكذلك لم اشعر بأي شعور من الحقد ازاء رؤسائها الذين كانوا سبباً في اخراجي من حظيرة الطائفة وحالوا دون رجوعي اليها . وفوق هذا ظلمت احترم قرار الطائفة الذي صدر بفصلي وحرمانني . فقد كان محرماً عليّ أن اتناول الطعام في بيت اقرب اقاربي حتى אחتي وزوجها ، او ان اتناول شربة ماء في بيت واحد منهم . وكثيراً ما حاولوا ان يعدوا العدة ليخالفوا ذلك الامر سرّاً وعلى غفلة من رجال الطائفة . غير اني كنت ارفض دائماً ان اعمل في السر عملاً ، اخجل من ان آتية جهراً وكان ساوڪي وإستقامتي سبباً في أن لا يحاول رجال الطائفة ازعاجي بصورة من الصور . بل على الضد من ذلك لم اشهد من كل أفراد الطائفة الا كل كرم وسخاء . وعلى الاخص من الفريق الذي ظل على رأيه في حرمانني وطردني . وزادوا على ذلك انهم ساعدوني في عملي من غير أن يتوقعوا مني أية مساعدة أقوم بها من جانبي لصالح الطائفة : ولو انني حاولت ان اعود الى حظيرة الطائفة واخذت ادعو الى قبولي مرة اخرى ، اولو انني سعيت الى شق الطائفة الى شيع وفرق وان ازيد صدعها اتساعاً ، أو هاجت رؤوس الطائفة وتحديثهم ، فما لاشك فيه انهم كانوا يثأرون مني ويقابلون عملي بمثله . ولو أنني لم اعمل على تهدئة العاصفة ، لوجدت نفسي ، لدى وصولي الى الهند ، في لجة من التهييج الطائفي ، كانت بلا ريب تضطرنني ان اصنع ما ليس في نفسي ، وأن انافق وان اتخذ الرياء قناعاً

اماً علاقتي بزوجي فكانت مازال الى ذلك الحين على غير ما أرغب ان تكون . فان اقامتي في انجلترا لم تشفني من مرض الغيرة الآكلة . وظلمت أبدي شكّي في كل شيء مهما كان نافعاً . وبذلك ظلمت كل شهواتي العزیزة عليّ غير مكفّية . وصممت على ان تتعلم زوجي القراءة والكتابة وان اساعدها في التعليم ، ولكن شهوتي وقفت في الطريق وكان عليها أن تختمل على غير ارادة منها مسؤولية تقصيري وكسلي . وحدث مرة اني تطوحت في النزق الى حد اني ارسلتها الى بيت أبيها ، ولم اقبل ان تعود الى بيتي الا بعد ان اذقتها التعاسة كيف يكون مذاقها ومرارتها . ولقد اقتنعت بعد ذلك بقليل ان هذا كله لم يكن مني الا حمقاً واسرافاً

أخذت أفكر في إصلاح تعليم الأولاد . فقد كان لاختوتي أولاد ، وكان ابني الذي ركنه قبل سفري إلى إنجلترا طفلاً قد شب وشارف على الرابعة من عمره . واتجهت رغبتى إلى أن أعود هؤلاء الأولاد المكوف على الرياضة الجسمية ليصبحوا أقوياء الابدان مشدودي الاصلاب قادرين على الاحتمال والصبر ، وإن اتخذ من تجاربي الشخصية إماماً في تنشئتهم . ولقد شجعني على ذلك أخي ، ورجح نجاحي في هذا الشأن فشلي . على أن عشرة الأولاد كانت من مبايعي التي أسر بها ، وما زال حتى اليوم اعكف على عادة اللعب مع الأولاد والتفككة بهم ، ومنذ ذلك الحين بدأت أفكر في أني ربما أصالح لأن أكون معلماً صالحاً للأولاد وظهر لي أن الضرورة تدعو إلى إصلاح طرق «التغذية» . وكان الشاي والقهوة كلاهما قد وجدا مكاناً في نظام المنزل . وعمل أخي على أن يكون جواً انجليزياً صرفاً في البيت استعداداً لقدومي . ولذا أخذت الآنية الخزفية تدخل في حيز الاستعمال بعد أن كانت تظل محفوظة للمناسبات . واهتمت «اصلاحاتي» ما كان ينقص طريقة استعمال هذه الاشياء من نظام . واستبدلت الشاي والقهوة ، بعصيدة القرطم والساكاو . ولكنهما في الحقيقة أصبحا اضافين على الشاي والقهوة . وكنا نعرف من قبل الاحذية والنعال ، واهتمت أنا «التفرنج» باستعمال الأردية الأوروبية

بدأت النفقات تزيد . وكنا نضيف كل يوم شيئاً جديداً . ولا جرم أننا نمجنا في زيادة النفقات أو كما يقول أهل الهند نمجنا في أن نربط فيلاً أبيضاً على بابنا ، ولكن كيف يمكن أن نسد ثقافته ؟ وكان البدء بالعمل في الحمامة براجكوت معناه سخريه محققة النتيجة . ذلك لأنني كنت فاقدة الخبرة بكل ما يحتاج إليه «الوكيل»^(١) من المعلومات والاجراءات ، وكنت اطلب عشرة اضعاف الأجر الذي يطلبه «الوكلاء» في الهند . فلم اسقط على صاحب قضية بلغ به النزق ذلك المبلغ الذي يغويه على أن يوكلني في دعوى . وحتى لو فرض ووجد ذلك «الإنسان» فهل يصح أن اضيف إلى جهلي ما يحتمل أن ينتج طغيان النصب والاحتيال من نتائج تضاعف مقدار ديني ومسؤولياتي لهذه الدنيا ؟

ونصحتني بعض الاصدقاء أن اهبط «بومباي» عسى أن احصل على بعض المراتبة العملية امام المحكمة العليا ، ولأدرس القانون الهندي ولأحصل على ما يمكن أن احصل عليه من الداوى القضائية . فقبلت النصيح وذهبت إلى «بومباي» . وفيها استأجرت منزلاً ، وطبخاً لا يقل جهله بالطهي عن جهلي به . وكان «برهاني» اسمه «رافيشنكر» . ولم أكن اعلمه معاملة الخادم ، بل كأنه أحد افراد المنزل . وكان يصب الماء على جسمه صبيحاً ، ولكنه لا يستحم ابداً . وكانت ملابسة قدرة على الدوام ، كما كان على جهل مطبق بكل كتب الهند المقدسة . ولكن كيف يتسنى لي أن احصل على طاهر اليق منه ؟ . كنت أسأله — يمكن أن تكون جاهلاً

بالطهي ، ولكن الا يمكن ان تعرف شيئاً من عبادتك اليومية ؟ — « اعبادتي اليومية تذكر بأسبدي ! ان المحراث هو عبادتنا والفأس هي مراسمتنا الدينية . انني انما اعيش اعتماداً على مراحك . فاذا فقدت الامل فيها فان الزراعة تكون ملجئاً وظهيري »

هنا بدأت اكون معلماً ألقنُ « رافيشنكر » ما يحتاج اليه من المعلومات الاولى . وبدأ الوقت يمر بي في بطاء مسئم ، فأخذت اطهي نصف طعامي . وأجري الطهي على الطريقة النباتية الانكليزية . فبنيت موقداً وبدأت اقوم بخدمة المطبخ مع « رافيشنكر » . وكنت لا اشعر بحاجة الى غذاء بين الوجبات ، وعلى هذا جرى خادمي . ولم يبق لي من شكوى وجهها اليه الا ادمانه القذارة ، حتى انه لم يكن يحفظ الطعام نظيفاً نظافة كافية

غير انني لم استطع المقام في « بومباي » اكثر من اربعة اشهر او خمسة لانه لم يكن لدي من الدخل ما يسد النفقات . وبعد ان يئست من ان احصل على عمل في « بومباي » غادرته الى راجكوت ، وعدت الى مكنتي الاول . وهناك بدأت اعمل عملاً معتدل القيمة ، وبلغ متوسط دخلي ثلاثمائة روبية كل شهر . ولكن هذا لم يكن راجعاً الى مهارتي بل الى تأثير اخي . فان شريكه كان ذا خبرة بالاعمال ، فكان يعهد اليّ بالسائط ، ويعهد بالمشكلات الى كبار المحامين وأرى انه من الواجب عليّ ان اعترف انني بدأت في ذلك الوقت افكر في ضرورة اعادة النظر في مبدئي الذي جريت عليه من الامتناع عن دفع عمولة (سمسة) . فقد انبثت ان الحالة هنا على الضد مما اعهد . والعمولة تدفع في « بومباي » للسمسة ، ولكنها في راجكوت تدفع الى الوكلاء الذين يمونون المحامي بالقضايا . أما القاعدة هنا فكما هي في بومباي ان يدفع كل المحامين ومن غير استثناء ، نصيباً مئوياً من اتعابهم سمسة . اما كلام اخي في هذا الموضوع فكان مقنعاً . قال لي : « ترى انني شريك مع وكيل آخر . واني اميل دائماً ان نعهد اليك بكل القضايا التي نعرف انه في مقدورك مباشرتها ، فاذا رفضت ان تدفع عمولة لشريكي ، فمن المحقق انك تضعني في مركز حرج . ولما كنا نشترك معاً في معيشة واحدة فان اتعابك تعد دخلاً مشتركاً لسكينا ، وينالني من ذلك نصيب . ولكن ما يكون امر شريكنا ؟ افرض مثلاً انه عهد بقضية بين يديه الى محام آخر ، فانه ينال منه عمولة » ولقد اقتنعت بهذا الكلام ، وشعرت بأنني اذا اردت ان اعمل كمحام ، وجب عليّ ان اضحي بمبدئي في دفع العمولة ، وفي مثل الحالات التي ذكرها اخي على الاقل . هذا ما ساورني وتردد في نفسي ، او بكلام اوضح ، بهذا خدعت نفسي وغششتها . ولا مندوحة لي عن ان اضيف الى هذا انني لا اذكر اني دفعت عمولة ما في حالة غير هذه الحالات التي جرى عليها كلام اخي . وعلى الرغم من انني جاهدت في سبيل ان اوفق بين المتقاضين ارضاء لسر مهنتي ، فقد صدمت في ذلك الحين اول صدمة عنيفة في حياتي . ولقد سمعت كثيراً من قبل ما يعنى الهنود بضابط انكليزي ،

ولكني لم اكن قد وقفت امام ضابط انكليزي وجهاً لوجه حتى ذلك الحين
كان اخي سكرتيراً ومستشاراً للمرحوم «رانا پور باندر» وقد عُدَّت في عنقه من بعد ذلك
تهمة انه اشار بنصيحة فاسدة لما كان يشغل ذلك المنصب. ووضعت المسألة بين يدي القوميسر
السياسي، وكان في صدره من اخي حفيظة. وكنت اعرف ذلك الضابط لما كنت في انكلترا،
ومما يمكن ان اصرح به انه كان على صداقة معي. وظن اخي انه من المستحسن ان الجأ الى
هذه الصداقة، فالتى بكلمة طيبة عند الضابط تشفع لاهي بعض الشيء. وظن اخي انه في
استطاعتي ان اوضح حقيقة الامر للضابط لعل ذلك يخفف من حفيظته نحوه. غير اني لم
اوافق مطلقاً على هذه الفكرة، لاني لم ارد ان اجعل لصداقة شئت مصادفة في انكلترا
مدخلاً في مثل هذه الامور. فاذا كان اخي حقيقة قد اخطأ، فأني شيء يفيد تدخلي
او توصيتي؟ واذا كان بريئاً، فما عليه الا ان يكتب عريضة يشرح فيها حقيقة الامر وينتظر
النتيجة. غير ان اخي لم ترقه هذه النصيحة. وقال لي «انك لا تعرف» كاثيا وار» وعليك
فوق ذلك ان تعرف الدنيا. فليس لشيء قيمة هنا الا الوسائط. ولا يخلق بك وانت اخي ان
تتبع عن القيام بالواجب، وانت قادر على ان تفوه بكلمة طيبة عني لضابط انت على صلة به»
ولقد اصبحت من المستحيل عليّ بعد ذلك ان ارفض رأيه، فذهبت الى الضابط على غير
ارادتي وعلى كره مني. وكنت عارفاً انه لا يحق لي ان الاقيه، ومتحققاً فوق ذلك اني كنت على
وشك تعريض احترامي الشخصي للامتهان. ولكنني على الرغم من هذا ضربت موعداً وذهبت.
وما كدت اذكره بصلتنا في انكلترا، حتى ابان لي سرياً ان «كاثيا وار» غير انكلترا، وان
ضابطاً بريطانياً في اجازته، غيره وهو قائم بمهام منصبه. ولقد ذكرت الضابط بتلك الصلة التي
كانت بيننا، غير ان تذكيره بها قد جاوز به الى الخشونة. اما خشونته هذه فكان معناها
«انك لم تأت الى هنا اليوم الا لتنتهك هذه الصلة باستغلالها» غير اني رغم ما ادركت من
الموقف، شرحت شكائي. وهنا عيل صبره، وقال محتداً — «ان اخاك دساس، واني
لا اريد ان اسمع منك شيئاً فوق ما سمعت. ليس عندي وقت. واذا كان عند اخيك ما يقوله
فما عليه الا ان يلجأ الى المراجع المختصة». وربما كنت استحق هذا الجواب الحاد. غير ان
حب الذات اعمى، فعدت بعد كل هذا الى روايتي اتمها. وهنا وقف صاحب وقال لي «يجب
ان تذهب الآن». «ولكن ارجوك ان تسمع مني». فلم يزد كلامي هذا الا غضباً. فنادى
خادمه وامره ان يدلني على طريق الباب. وكنت لا ازال متردداً عند ما اقبل الخادم، ووضع
يديه فوق كتفي ودفعني خارج الباب
وما كدت استقر في مكاني حتى كتبت مذكرة معناها «انك اهنتني، وتهجمت عليّ من
طريق خادمك. فاذا لم تقم بما يصلح هذا الامر، اضطررت ان ارفع امرى الى القضاء»

ولكن سرعان ما تلقيت منه الجواب على يد حاجبه وقد جاء فيه
« لقد كنت بذيئاً معي . فقد امرتك بالذهاب وانت امتنعت . فلم يكن لي من بد ازاء
امتناعك من ان امر خادمي بان يريك طريق الباب . ولما سألك ان تترك مكنتي لم ترد ان تفعل
ذلك . فما كان لديه من وسيلة اخرى الا ان يستعمل معك من القوة قدراً يكفي لاجراجه .
وانك حر في أن ترفع الأمر الى اية جهة أردت »

عدت الى المنزل ، وفي جيبى هذا الرد ، ذليلاً خافض الرأس ، وقصصت على أخي كل
ما حصل ، خزن . ولكنه لم يكن يدري طريقاً يسليني به عما حدث . وكثيراً ما تحدث عن
هذا الأمر الى اصدقائه من الوكلاء ، لاني لم اكن اعرف الطريق الرسمي لمقاضاة صاحب ،
وحدث ان السر « فيروز شاه مهتا » كان في « راجكوت » في ذلك الوقت ، وقد قدم من بومباي
لمباشرة قضية ما . ولكن كيف السبيل لمحام صغير حديث العهد بالمهنة ان يقابله ويحظى ببلقياه؟
ولكنني ارسلت اليه اوراق قضيتي من طريق الوكيل الذي دعا الى راجكوت وسألته الرأي
في الموضوع . فقال للوكيل « أفهم غاندي ان مثل هذه الأشياء امر عادي هنا . أنه هبط من
الجلاترا قريباً ولا يزال دمه حامياً . وانه لا يعرف الضباط الانجليز . فاذا كان يرجح من مهنته
شيئاً هنا ، واذا كان الزمان يؤاويه بالحاجات ، فقل له ان الاولى به ان يمزق مذكرته وأن يبلع
الاهانة . فانه لن يرجح شيئاً من مقاضاة صاحب ، بل على الضد من ذلك تماماً يرجح كثيراً
ان يكون في ذلك هدم مستقبلي . وعليك ان تعرفه عني ان عليه ان يعرف من الدنيا اكثر
مما عرف حتى الآن »

كان لهذه النصيحة مرارة السم في فمي ، ولكن لم يكن لي مندوحة عن أن أبتلعها ، كما
ابتلعت الاهانة ، ولكنني على كل حال انتفعت بها إذ طأدت نفسي على « ان لا أضعها في مثل
هذا الموضوع الدقيق مرة اخرى ، وان لا احاول ان استغل الصداقة هذا الاستغلال ثانية » .
ومنذ ذلك الوقت لم ارتكب جريمة الحنث بعهدي والرجوع عن تصميمي هذا . غير ان هذه الصدمة
الالهية غيرت مجرى حياتي تغييراً كلياً . ولا شبهة مطلقاً في اني كنت مخطئاً اذ اقدمت على
الذهاب الى القومسيير السياسي . غير أن حنقه وقلة صبره وغضبه ، جماعها كانت لا تتناسب
مع خطئي . ولم يكن في الأمر ما يوجب طردي . لاني كنت سوف لا استغرق من وقته اكثر
من خمس دقائق . ولكن الواقع انه لم يستطع ان يحتمل ان يسمع مني كلاماً في الموضوع .
وكان في مستطاعه ان يطلب مني في أدب ان اذهب . ولكن القوة الغاشمة اسكرته الى درجة
غير كفيلة بالانزان . ولقد علمت فيما بعد ان الصبر أبعد الاشياء عن فضائله

اما اذا عزمت على ان ازاول مهنتي في ذلك المكان فما لاشك فيه ان اكثر قضايائي سوف
تنظر امام محاكمه . وكان مما يخرج عن طريقي أن اتوصل الى ترضيته والتفاهم معه ، كما اني

لم أكن على استعداد لأن أتزلف إليه . ولما كنت قد هددت بأن أقاضيه ، صعب عليّ أن اظل ساكناً . غير أنني سرعان ما بدأت أفهم شيئاً من سياسة هذه المقاطعة . فإن « كاثياوار » ليست إلا كتلة مكوَّنة من ولايات صغيرة . وكانت الدسائس بين الولايات ، والمؤامرات بين الضباط ليرقي كل منهم درجات القوة والسلطان الواسع ، القاعدة العامة في النظام الحكومي . وكان الأمراء تحت رحمة غيرهم . ولم يكن في وسعهم إلا أن يلقوا بسمعهم إلى المتزلفين . ولقد شعرت بأن هذا الجو مشبع بالسموم ، وكيف أبقي بعيداً عن التأثير به ؟ كانت هذه مشكلة بذاتها . ومالبت غير قليل حتى شعرت بأنني مكتئبٌ خائر النفس ولحظ أخي في هذا الأمر . وشعر كلانا بأنني إذا استطعت أن أجد عملاً بعيداً عن هذا المكان ، استطعت أن أفلت من جوال الدسائس والشائيات . ومن غير أن ألجأ إلى وسائل غير شريفة ، لم يكن في وسعي أن اشغل منصباً إدارياً أو قضائياً . ناهيك بمشكلاتي مع القومسير السياسي

كانت « بوربندر » اذ ذاك تحت الإدارة الحكومية ، وكنت هبطتها لاسعي في أنال للامير حقوقاً أوسع من الحقوق التي يتمتع بها . وكذلك كنت أرغب في أن أرى المدير لناقشته في مسألة اجور الاراضي وارتفاع القيمة التي تجبى من المستأجرين غير أنني وجدت أن هذا الضابط المدير ، ولو أنه هندي ، اشنع من صاحب اخلاقاً وأشد زقاً . ولقد فلتت في هذا الأمر فشلاً عظيماً ، حتى لقل خيلاً إلى أن العدل يمنع عن زبائني عمداً وبذلك اعجز عن أن اصل إليه . وكل ما كان في مستطاعي أن اعمله لا يتعدى أن اعرض امري امام القومسير السياسي او الحاكم الذي لم يكن من شأنه إلا أن يرفض النظر في شكواي قائلاً — « ليس من شأننا ان نتدخل في الامر » . اما اذا كان هناك قانون أو نظام يحدد مثل هذه القرارات ، فلا شك في ان يكون لنا شأن . ولكن ماذا يكون العمل ما دامت ارادة صاحب هي القانون ؟ غير أنني شعرت في النهاية انني ساخط مغيظ ورغبت كل الرغبة في ان ابعد عن جو الدسائس جهد ما استطيع

في هذا الموقف كتبت احدى المؤسسات التجارية في « بوربندر » إلى أخي تعرض عليه الآتي : « لنا اعمال في جنوب افريقية . ومؤسسة من اكبر المؤسسات . وقد اشتبكنا في قضية امام المحكمة تبلغ قيمتها اربعين ألفاً من الجنيهات الانجليزية . ومضى على الدعوى زمن طويل وما زال منظورة ، واستخدمنا فيها امهر الوكلاء واشهر المحامين . فاذا سمحت بأن ترسل اخاك إلى جنوب افريقية فانه سوف يفيدنا ويحمي نفسه . وسوف يستطيع ، على ما ترى ، ان يزودنا بنصائح ثمينة ، فضلاً عن انه سيرى بلاداً جديدة وينشئ علاقات مع اشخاص لم يكن يعرفهم » . وبعد مناقشة قبلت العرض من غير اية مساومة واخذت استعد للذهاب إلى جنوب افريقية

اسماعيل مظهر

التفاوت بين المتناهي في الكبر والمتناهي في الصغر
في الطول والوزن والزمن والسرعة والحرارة

مفاتيح الطول

وإذا فرضنا ان المسافة بين القاهرة ولندن تبلغ ٤٢٠٠ كيلو متر في خطٍ مستقيم فقطر
الارض يبلغ ثلاثة اضعافها ، ومحيطها يبلغ تسعة اضعافها . ثم اننا اذا طرنا ٨٧ مرة بين القاهرة
ولندن قطعنا مسافة تقرب من المسافة التي تفصل القمر عن الارض . اما قطر القمر فيبلغ
٣٥٧٠ كيلو مترًا وهي المسافة بين القاهرة ومرسيليا في خطٍ مستقيم . على ان قطر الشمس
اعظم من ذلك كثيرًا . فهو ١٣٨٤ ٠٠٠ كيلومتر . ومتى حاولنا ان نقيس بعد الشمس عن
الارض او بعد ابعاد السيارات عنها ، احتجنا الى ملايين الكيلومترات ، واصبح التمثيل
بالمئات على سطح الارض لا يجدي . فنبتون يبعد عن الشمس اربعة آلاف واربعائة مليون
(٤٤٠٠٠٠٠٠٠٠) كيلو متر والارض تبعد عنها ١٤٩٠٠٠٠٠٠٠ كيلو متر . ويقدر طول
قطر المجموعة الشمسية بعشرة آلاف مليون كيلومتر (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) . فاذا خرجنا

افصر امواج الصوت	١٧	ملمتراً
الملمتر يعدل	الف	ميكرون
اصغر الدقائق التي ترى	٥٠	ميكرونًا
خلايا ذباب الدروسوفيا	٢٥-٧	»
نواة خلية الدروسوفيا	١٥-٥	»
كروموسومات الدروسوفيا	٣-٢	ميكرونات
بكتيريا عنقودية	ميكرونات	
الميكرون يعدل الف ملميكرون	Millimieron	
خلية الدم الحمراء	٨٠٠	ملميكرون
موجة النور الاحمر	٧٧٠	ملميكرونًا
اصغر الدقائق المكرو سكوبية	٣٠٠	ملميكرون
دقيقة غروية كبيرة	١٠٠	»
افصر امواج اشعة وراء البنفسجي	١٣	ملميكرونًا
الجزيئات Molecules	٥-٢	ملميكرونات
الملميكرون يعدل الف ميكروميكرون		
المسافة بين ذرات الكبريت	٩٠٠	ميكروميكرون
الذرات	٦٠٠-١٠٠	»
المسافة بين ذرات الفضة	٤٠٠	»
موجة اشعة اكس اللطيفة	١٣٦	ميكروميكرونًا
مدار الالكترين في ذرة الايدروجين	٥٣	»
موجة اشعة اكس القاسية (النافذة لشدة قصرها)	١٩	»
افصر اشعة غما	ميكروميكرونات	
اطول الاشعة الكونية	٦	الميكروميكرون
افصر الاشعة الكونية	٠٠٤	»
قطر الالكترين	٠٣٨	»
نواة ذرة الذهب	٠٠٠٤	»
نواة ذرة الايدروجين (وهي برونون واحد)	٠٠٠٠٢	»
وقد اطلق الانغستروم على مسافة طولها ١٠٠ ميكروميكرون وعليه يقال ان حجم		
الذرات يتراوح بين انغستروم واحد وستة انغسترومات		

السَّاعِرُ وَالسَّاطَانُ الْجَائِرُ

لايليا أبو ماضي — عن مجلته « السَّامِر »

أمر السلطان بالشاعر يوماً فأتاهُ
في كساءٍ حائل الصبغة وأمر جانباهُ
وحذاءٍ أو شكت تفلت منه إخصاهُ

قال: صف جاهي، ففي وصفك لي للشعر جاه
ولي الروض الذي يعبق بالمسك ثراه
ولي الغابات، والشَّم الرواسي، والمياه
ولي الناس، وبؤس الناس مني والرفاه
ان هذا الكون ملكي، أنا في الكون آله !!

ضحك الشاعر مما سمعتهُ اذناه
وتنمى ان يداجي فعمصته شفتاه
قال — اني لا ارى الامر كما انت تراه
ان ملكي قد طوى ملكك عني ومحاه

القصر .. ينبئ عن مهارة شاعر
هو للألى يدرون كنه جماله
لحق ، ويخبر بعده عنكا
فاذا مضوا فكأنه دكا
ستزول انت ولا يزول جلاله
كالفلك تبقى — ان خلت — فلكا
انا من حواه بعينه وبلبه
ولئن حواك وحزته صككا !

والروض؟ ان الروض صنعة شاعر
وشسى حواشيه وزين ارضه
سمح طروب رائق جزل
بروائع الالوان والظل
لفراشة تحيا له ، ولنحلة
تحيا به ، ولشاعر مثلي
ولبلبل غرد يساجل بلبلًا
غردًا ، وللنسيم والظل
ولديمة تذري عليه دموعها
كما تقيه غوائل المحل
فاذا مضى زمن الربيع اضعتهُ
وأقام في قلبي وفي عقلي

والجيش معقود لواءك فوقه
للخيز طاعته وحسن ولائه
ما دمت تكسوه وتطعمه
هو «لاته الكبرى» و«برهه»
فاذا يجوع بطل عرشك ليلة
فهو الذي بيديه يحطمه
لك منه أسيفه ولكن في غد
لسواك اسيفه واسهمه

أراه سار الى الوغى مهلاً
واذا ترنم هل بغير قصيدة
لولا الذي الشعراء تنظمه
من شاعر مثلي ترنمه

والبحر.. قد ظفرت يداك بدره وحصاه. لكن هل ملكت هديره؟
امرجت أنت مياهه؟ اصبغت أنت رماله؟ اجبلت أنت صخوره؟
هو للدجى يلقي عليه خشوعه والصبح يسكب وهو يضحك نوره
هو للرياح تهزّه وتثيره والشهب تسمع في الظلام زئيره
للطير هائمة به مفتونة لا للذين يروعون طيوره
للشاعر المفتون يخلق لاهياً من موجه حوراً، ويعشق حوره
ولمن يشاهد فيه رمز كيانه ولمن يجيد لغيره تصويره
يا من يصيد الدر من اعماقه اخذت يداك من الجليل حقيره
لا تدعيه فليس يملك ، انه كالروض جهدك ان تشم عبيره

ومررت بالجبل الاشم - فازوى غني محاسنه ، ولست اميرا
ومررت انت فما رأيت صخوره ضحكت ولا رققت لديك حبورا
ولقد نقلت لئمة ما تدعى فتعجبت مما حكيت كثيرا
قلت: صديقك ما يكون؟ اقشما؟ ام ارقما؟ ام ضيفما هيصورا؟
ايحوك مثل العنكبوت بيوته - حوكا؟ - ويبي كالنسور وكورا؟
هل يملأ الاغوار تبراً كالضحى؟ ويرد كالغيث الموات نضيرا؟
ايلف كالليل الاباطح ، والرني والمنزل المعمور ، والمهجورا؟
فأجبتها كلاً ، فقالت سمه في غير خوف «كأننا مغرورا»

فاحتدم السلطان اي احتدام ولاح حب البطش في مقلتيه
وصاح بالجلاد: هات الحسام فاسرع الجلاد يسعى اليه
فقال: دحرج رأس هذا الغلام فرأسه عبء على منكبيه
قد طبع السيف لحز الرقاب وهذه رقبة رثار
اقتله.. واطرح جسمه للكلاب ولتذهب الروح الى النار!

- سمعاً وطوعاً سيدي - وانتضى عضباً يموج الموح في شفرتيه
ولم يكن الا كبرق اضا حتى اطار الرأس عن منكبيه

فسقط الشاعر معرورضا يخدش الارض بكفتا يديه
كأنما يبحث عن رأسه فاستضحك السلطان من سجدته
ثم استوى يهمس في نفسه « ذو جنة » امسى بلا جنته

اجل . هكذا هلك الشاعر كما يهلك الآثم المذنب
فاغص في روضة طائر ولم ينطفيء في السماء كوكب
ولا جزع الشجر الناضر ولا اكتب الجدول المطرب
وكوفي عن قتله القاتل بمال جزيل وخدر اسيل
فقال له خلفه السافل — ألا ليت لي كل يوم قتيل

في ليلة طامسة الانجم تسلك الموت الى القصر
بين حراب الجند والاسهم والاسيف الهندية الحمر
الى سرير الملك الاعظم الى امير البر والبحر !!
ففارق الدنيا ولما تزل فيها خمور واغاريد
فلم يمد حزناً عليه الجبل ولا ذوى في الروض املود

في حومة الموت وظل البلى قد التقى السلطان والشاعر
هذا بلا مجد، وهذا بلا ذل، فلا باغ ولا ثائر
طانت الاممال تلك الحلى واصطحب المقهور والقاهر
لا يجزع الشاعر ان يُقتل ليس وراء القبر سيف ورمح
ولا يبالي ذاك ان يُعذلا سيان عند الميت ذم ومدح

وتوات الاجيال تطرد جيل يغيب وآخر ينفد
اخنت على القصر المنيف فلا الجدران قائمة ولا العُمد
ومشت على الجيش الكثيف فلا خيل مسومة ولا زرد
ذهبت بمن صلحوا ومن فسدوا ومضت بمن تعسوا ومن سعدوا
وبمن اذاب الحب مهجته وبمن تأكل قلبه الحسد
وطوت ملوكاً ما لهم عدد فكأنهم في الارض ما وجدوا
والشاعر المقتول باقية اقواله ، فكأنها الابد
الشيخ يلمس في جوانبها صور الهوى ، والحكمة الولد

الادب وأطواره

الآراء القديمة والحديثة في اشتقاقه

لا تزال لفظة «الادب» مَبْعُثَةً على الجدل ومدعاة الى متباين الاقوال ، فهي من الالفاظ التي لم يسكت عنها « فقه اللغة » ولا مكنتها من موضعها فقهاء العربية فضلاً عن إثباتهم لتاريخها العسير استقصاؤه ، فناس يقولون إنها من مادة «أدب» وآخرون ينكرون أن تكون هذه المادة ناتجة لمثل هذا المعنى البعيد عنها ، وناس يقولون : إن اللفظة جاهلية وآخرون ينفون وجودها في عهد الجاهلية بهذا المعنى ولا شك في أن «المجمع اللغوي الملكي» المبارك سيندول رجاله تحري هذه الأمور الخاصة بهذه اللفظة ، ونحن قد ودنا أن نبسط رأينا في هذه الكلمة وأطوارها ، فالتعاون على التحقيق معجل بالتوفيق ، قال الدكتور طه حسين عن استقصاء المستشرق « نالينو » السلفية (١) لفظ « الادب » ما صورته « فأنه لم يجد هذه المادة في غير اللغة العربية من اللغات السامية ، ولم يجد لها عند العرب مصدر اشتقاق معقول ، فقد قالوا : أدب القوم يأديهم أدباً إذا دعاهم الى الطعام والفرق بين المعنيين واضح فظن الأستاذ أن لفظ الأدب إنما جاء من لفظ « الدأب » بمعنى العادة ، ذلك أنهم جمعوا «الدأب» فقالوا « أدأب » ثم قدموا العين على الفاء فقالوا « آداب » كما فعلوا في « آرام وآبار جمع رُم وبئر » فلما كثر استعمال هذا الجمع غفلوا عما فيه من القلب المكاني وظنوا أن ترتيبه هذا أصلي وأن له مفرداً على نسقه وهو الادب ثم اشتقوا منه وصرفوه تصرف غيره من الاوزان (٢) وانا لآرى هذا الرأي بعيداً عن الحقيقة جداً جداً ونعتمد في استبعادنا إياه على أمور :

(١) أولها : أن المستشرق لم يذكر شيئاً لهذا الاشتقاق من العربية وذلك بوجوده اسم معنى قدمت عينه على فائه في الجمع ثم اشتق منه فعل جديد « أما أن يجد فعلاً مبدلة فؤه بحرف من الحروف فممكن مثل « أخذ وتخذ » و« خدش وكدش » و« شمش وشمخ » و« نزه ولزه » و« ندد به ولدد » و« جاد وكاد » و« نحت ولحت » و« ركزه وعكزه » و« اعتكم وارتمكم » و« طفا وغفا » و« غمص ورمص » و« امتار واغتار » و« بحث وخص » و« نخم وضخم » و« فدغ وشدغ » وما لا يحصى من كثيره ، وانما ذكرنا هذه الافعال لانه كان قد احتج بـ « وقى وتقى » هناك ولكن الاحتجاج بمثله مدحض مردود لان اعظم

(١) السلفية حالة السالف كالانسانية والزوجية من حيث الاشتقاق المطرد في العربية وقد اشتقناها لتدل على معنى « الفيلولوجيا » (٢) ذكرى أبي العلاء المعري ص ١٢٠ واذكر أنه بسط هذا الرأي أيضاً في كتابه الشعر الجاهلي

ثروة العربية من الابدال و«دأب وأدب» ليسا من هذا النوع

(٢) لم يذكر لنا المستشرق مصدر جمع «الدأب» بالتحريك او «الدأب» بتسكين العين على «أدأب» حتى يتحول الى الجمع «آدأب» فان كتب اللغة قد جاء فيها «بئر أيار وأيار» ورثم أرام وأرام» وانما هو قد اتبع القياس والقياس انما يفزع اليه في مثل هذا عند ضرورة الاستعمال دع ان البئر والرثم اسما ذات وأن الدأب اسم معنى

(٣) لم يأت «الدأب» في العربية بمعنى الادب ، فالاول يطلق على العادة والشأن كائنين ما كانا من الحسن والتبجح مع ان الثاني من الاخلاق الكريمة في اول معانيه ، والسلفية تراعى كل المراعاة في هذا المقام وسبيل فعليهما في الاختلاف كسبيلهما ، ففي سورة غافر من القرآن الكريم «وقال الذي آمن يا قومى انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم» فترى ان الدأب لم يظهر القصد به الا بعد ذكر الدائنين مما يدل على عموم لا على خصوص ، وفي سورة آل عمران «ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً واولئك هم وقود النار» كدأب آل فرعون والذين من قبلهم» فمغناه في الآيتين «شأن وحال...» وورد بمعنى الاستمرار في سورة يوسف ونص الآية «قال زرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله...»

وورد «الدأب» في سورة ابراهيم بمعنى «المستمر» قال «وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار» وقال المبرد «وقوله — جل ثناؤه — : كدأب آل فرعون يقول كعادتهم وسنتهم ومثله الدين والدين» وقال ايضا في قول النمر بن تولب العكلي

وذى ابل يسعى ويحسبها له

ما نصه «وقوله : ودؤوب ، يقول : وإلحاح عليه ، تقول : دأبت على الشيء ، قال الشاعر^(١)

دأبت الى ان يقصر الظل بعد ما تقاصر حتى كاد في الآل يصمح^(٢)

قلنا : وقال البعيث بن حريث :

خيال لام السلسبيل ودونها مسيرة شهر للبريد المدتب

قال البغدادي «المدتب من دأب يدأب بالهمز إذا جد وتعب»^(٣) وأرى انه قد شغب معنى «الدأب» باضافته «تعب» الى التفسير فأفاد هذا الفعل عكس مراد الشاعر ، لانه ذكر ان المسافة بينه وبينها مسيرة شهر للبريد المستمر فان كان البريد تعباً كانت المسيرة اطول والمسافة هي هي ويبطل ذكر «المدتب» الدال على السرعة مع طول المسافة ، فلنقتل ان يقول حينذاك «ان المسيرة بينهما تطول شهراً لتعب بغال البريد فلو كانت نشيطة الى السير لقطعت الطريق بسبعة ايام فالمسافة اذن قصيرة» وهذا التناقض في التفسير لم يخطر على بال البغدادي

(١) أدخل الرواة في الكامل «هو الراعي» بعد قوله «الشاعر» (٢) الكامل «١ : ٢٦٥ — ٧ — ٨»

(٣) خزنة الادب «٢ : ٩٢»

فإن ما زاد نقلاً عن الصحاح أو غيره . فالمعنى الاصيل للدأب إنما هو « الاستمرار » وليس بعداً أن أصله من « ذهب يذهب » فكثير ما تبدل الدال في العربية من الذال ويحدث العكس وطالما تبدل الهمزة من الهاء ويكون العكس فالاول مثل « ذهب الشيء أي قطعه وهدبه » و« جذه وجده » و« دج وذج » . وقال الخبل السعدي في الزبرقان بن بدر لعمر ك ان الزبرقان لدأب على الناس يعدونوكه ومجاهله^(١)

٤ - ان العرب لو كان عندها الادب بمعنى الدأب ومشتقاً من المفرد الموهوم لرجعت الى اصل الفعل عند التعدية ولم يكن بها حاجة الى اشتقاق فعل هي في غنى عنه لمخالفته الاقيسة الطبيعية في لغتها ، ولقالت « أدأبه في الامر وأدأبه عليه » بمعنى أدبه تأديباً ، فالفعل « أدأب » مشهور ولكنه لما يؤد معنى « أدب » قال الامام علي في وصف النبي محمد (ص) « ووالى نيك الابعدين وعاند فيك الاقربين وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك واتعبها في الدعاء الى ملتك »^(٢) وقال في اساس البلاغة « وأدأب نفسه واجيره ودأبته وفعل ذلك دأباً »^(٣) ومراده : جعل نفسه واجيره ودأبته في استمرار على العمل ، ومهما يكن الامر فان الادأب لم يرد بمعنى التأديب فلو كان رأي المستشرق صحيحاً لجاء بمعنى واحد او جاء احدهما قريباً من الآخر ولكنه لم يكن ٥ - ان مرادهم بالدأب « السنة والشأن والعمل والحال » إنما هو من المجاز لا من الحقيقة ، لان أصله الاستمرار كما قدمنا فهم لم يشتقوا منه « أدأب » ولا « دأب » تأديباً وتدبئة بمعنى « عود شأناً وحالاً وسنة » حتى يحتج بشبهة ان « التأديب » هو كالأدأب ، فلنا هذا رداً على الدكتور طه حسين في تعليقه برأي الاستاذ فالينو تأييداً لنصه هذا « يؤيد هذا أن العرب قد استعملوا لفظ الأدب في ما يستعملون فيه لفظ الدأب من معنى العادة المتبعة والسنة الموروثة »^(٤) قال الزمخشري في الاساس « ومن المجاز : هذا دأبك أي شأنك ومملك كدأب آل فرعون »^(٥) وقال مجد الدين المبارك بن الاثير « الدأب : العادة والشأن وقد يحرك ، وأصله من دأب في العمل إذا جد وتعب إلا ان العرب حوالت معناه الى العادة والشأن » ثم قال « ومنه حديث البعير... فقال اي الرسول لصاحبه : إنه يشكو الي أنك تجميعه وتدبئه ، أي تكده وتتعبه ، دأب يدأب دأباً ودؤوباً ، وأدأبته أنا ،^(٦) فالأدأب بقي على حقيقته ، قال أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد تقيب البصرة وممن أدرك القرن السابع للهجرة : « وهذا مدأب نفسه في الصلاة والعبادة وهذا مثله » يصف النبي -ص- والامام علياً ، ومن المؤكد أن الحقيقة سابقة للمجاز في نشوء لغات العالم

٦ - ان ذكر المحتج « أدبه » يأدبه بمعنى أقام له مأدبة » يدل على أن أصل « الأدب » هو الدعوة

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٤١ (٢) شرح ابن ابي الحديد لنهج البلاغة (ج ٢ ص ٦٧) (٣) الاساس « ٢ : ٢٦٠ » (٤) حاشية ص ١٢٠ من ذكرى أبي العلاء المعري (٥) الاساس (٦) أيضاً « ٢٦٠ : ١ » (٦) النهاية في غريب الحديث « ٩٠٢ و ١٠ »

الى الطعام والتحقيق انه اعم من ذاك وهو في الأصل «الجمع» مطلقاً ، ففي الأساس «وأدبهم على الأمر : جمعهم عليه ، يأدبهم ، يقال : يادب جيرانك لتشاورهم قال :

وكيف قتالي معشراً يأدبونكم على الحق ان لا تأشبهوه بباطل

وتقول : أدبهم عليه وندبهم اليه ^(١) » وذكر صديقي العلامة الأب انتاس ماري الكرملاني ان «الأدب صفة الأديب الوارد في اللغة اليونانية بنفس اللفظ والمعنى ، فن معاني الأديب عندهم : الحسن الغناء اللذيذ المحادثة والمنادمة والمجالسة المثيرة لهوى جلسائه بالغائه الشاجية وحديثه الريق » وهو رأي له وجاهة وللنفوس فيه هوى لتداخل اللغتين العربية واليونانية في كثير من الكلام وانا على اطرائي لهذا الرأي الحكيم وددت ان ابدي رأيي

في سلفية الادب

إني لأرتئي ان اصل الأدب هو «الهذب» بفتح الذال ومعناه الصفاء والخلوص من العيوب اية كانت ، واصل الهذب « بفتح العين ، يقال «هذب الشجر : قطع منه وتقاها واصلحه ، ومثله «هذب الشيء قطعه » وقد قدمنا كيف انقلبت الذال دالاً او جرى العكس وانك لتجد في العربية «المهذب والمؤدب بمعنى واحد» فالأصل من تهذيب الشجر ، وذكر المرحوم احمد فارس الشدياق في كلامه على ان اكثر افعال العربية تفيد القطع مانصه «وبحجيء التهذيب نحو هذب وشذب ، على تقدير انه قطع عن الشيء كل ما يشينه ^(٢) » امّا رجع هذه الكلمة إلى المحسوسات دون المعنويات فقد قال هو عنه ماهذه صورته «إن اهل اللغة جميعاً قد اجمعا على ان المهذب للرجل الكامل مأخوذ من تهذيب الشجرة ، بناءً على ان الأمور المعنوية او العقلية مأخوذة من الأشياء الحسية وذلك موجود في جميع اللغات ، ضرورة ان الحواس الظاهرة هي التي تتبع الحواس الباطنة على التفكير والتخيل فان من لم ير الأسد مثلاً قط ولم يسمع به ، لم يخطر على باله ان يشبه به رجلاً شجاعاً ، وهذا كما يحكى عن ابن المعتز - رح - من انه كان ينظر الى آنية بيته ويشبه بها ، وتقرير ذلك ان العقل مأخوذ من عقلت البعير ومثله لفظة الحجر اشتقاقاً ومعنى » وهذا من الحقائق والمؤكدات ، ومثل «هذب» هدم وهضم وحطم وحطم وحطم وهضم وهضم (كلها بمعنى هذب ومن اصلها) وصنوه المهموز نحو «هذاه وجزاه وهرأه» وأصلها بحسب نشوء اللغة «المضعف» مثل «هذه وهذه وحتة وجدة وجدة وقده وقطه وحده وخده وخطه وهتته وهسته وهشته وهضته وحكته وهكته» وانما سردنا هذه الأمثال لتظهر سرعة الابدال في العربية فيكون المستبعد معروفاً والمستغرب مأثوفاً أما قلب «الهاء» في «هذب» همزة فن الطرائق المتعالملة المتعارفة في العربية ، قال عثمان

(١) الأساس «٧:١» (٢) سر اللبالب في القلب والابدال ص ١١ قلت ومتلها «الحجبي» من حجا أي معج والنهي «من نهاء»

ابن جني «وأبدلت الهمزة أيضاً من الهاء ، قالوا : آل وأصله أهل^(١)» قلت أنا : إن ابن جني وإن نصّ على ورود هذا الابدال فأنه لم يحسن التمثيل لأن الآل على احتساب «أهل» أصلاً لها ، لم يُبدل فيها إلا من الألف ، والرأي المتفق عليه أن الهمزة والألف متعاقبتان في كثير من الألفاظ فقد قالوا «هيا وأيا» بمعنى وقالوا «هن وأن» و«هبرية وابرية» و«هراق وارق» و«هلا فعلت والآ فعلت» وقال الزمخشري في ابدال الهمزة «وابدالها من الهاء في ماء وامواء قال : وبإدخاله خالصة امواؤها ... وفي : آل فعلت ؟» ثم ذكر «هردت وهرحت وهياك وهما وهن^(٢)» وحدث محمد بن موسى بن أبي مريم صاحب التؤلؤ قال «سمعت أبا^(٣) بن تغلب (وما رأيت أحداً أقرأ منه قط) يقول : إنما الهمز رياضة» وذكر قراءته إلى آخرها ، وعلق في حاشية هذه الصفحة التي نقلنا منها ما صورته «قد فُصل في كتب الصرف أن العرب قد اختلفت في كيفية التكلم بالهمزة فقريش وأكثر أهل الحجاز تخفضها لأنها أثقل حروف الحلق ولها نبرة كبرية تجري مجرى التهويع فنقلت بذلك على اللفظ ، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأهل نبر (أي همز) ولولا أن جبرائيل نزل بالهمزة على النبي — ص — ماهزنا ، وأما باقي العرب كتميم وقيس فتحققها قياساً لها على سائر الحروف ، ونقول أبا^(٤) هذا : إنما الهمز رياضة ، اختار فيه لغة قريش على غيرها»^(٤)

ولنبعث الآن عن نشوء «الهدب» بالتحريك الذي هو أصل الادب ، فهو مصدر مماثل لمصادر «الالوان والتغير» كالزرق والكدر والحوَر ولكن فعله غير مذكور في معاجم اللغة وكثيراً ما يجد المتتبع أمثال هذا في الكتب المذكورة كاللوي والبرح والبركة كالعظمة وكذلك وجود الصفات وضياح أفعالها كالأتراف وهو من في شفته العليا هنة نائمة متوسطة ، ومثل الضعوف والمنبوت والمشووم من «ضُعِفَ وثُبتَ وشُئِمَ» المبنية للمجهول اتباعاً لبابها ، وأصل «هدب» هذب تهديباً بمعنى قطع عندهم ولكنه عندنا من باب «التعديّة والتكثير المعاكسين» فإذا قيل «هدب الشجرة» فمعناه نزع عنها «هدبها» وهو أغصان الأروى المنذلية ونحوها^(٥) «فهو مثل «قداه تقذية» نزع عنه القذى و«جلد البعير» أزال عنه الجلد و«قشّر العود» انزع قشره و«حمله تحليماً» نزع عنه الحلم وقرده» أزال عنه القراد و«مرّضه» أراد دفع المرض عنه و«جنبه الشيء» دفع جنبه عنه و«جبهه» نجّبه» أزال جبهته عن المستقبل له ، وقد غلط الفيروزآبادي في عدّه الفعل الأخير مخالفاً

(١) التصريف الملوكي ص ٥ (٢) الفصل ص ٣٦٢ طبعة مطبعة التقدم ، ٣٦٩ أراد بهردت «أردت» ودهرت «أرحت» وبهاك «أياك» وبها «أما» وبها «ان» الشرطية وذكر غيرهن (٣) هو من السابقين الأولين في اللغة والآداب الاخباري والحديث والفقه والتفسير ، مات سنة «١٤١» وذكر ترجمته ياقوت في معجم الادباء «٣٤١» وفي فهرست كتب الشيعة لآبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وذكر ترجمته أبو العباس أحمد بن علي النجاشي في كتاب الرجال ص ١١ وأبو علي النجفي في كتاب الرجال ص ١٧ (٤) رجال النجاشي المذكور ص ٨ (٥) قال ذو الرمة غيلان بن عقبة
بين النهار وبين الليل من عقد على جوانبه الاسباط والهدب

للقياس، فإن تعدية السلب بالتضعيف وهمز الأول متعارفة في كلام العرب كما قدمنا
ثم قالوا «هذب الشجرة» بمعنى هذبها ثم استعاروه للانسان فقالوا «هذب فلان»
بمعنى قطع من طباعه وأخلاقه كل شائن له، وفي مثل هذا قال النابغة

ولست بمستيق أخاً لاتلثمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

ثم بنوا له فعلاً من أفعال الغرائز والتغير إماعلى وزن «فعل يفعل» كفرح يفرح فرحاً
واماعلى «فعل يفعل» كشرف يشرف شرفاً، ولم ينقل لنا اللغويون إلا مصدره
«الهذب» بالتحريك، فهو مثل اشتقاقهم من «بلغ» أي وصل «بلغ بلاغة» صار بليغاً
ومن «أفصح اللين : ذهبت رغوته» فصّح فلان صار فصيحاً ومن شرف المكان بكسر الراء
«شرف فلان» أي علا شأنه ومن «مجدت الابل» بفتح الجيم «مجد فلان فهو مجيد» ويجوز
أنهم كانوا يستعملون لـ «هذب» الباب الرابع والخامس من الثلاثي المجرّد كقولهم «حمق
وحمق» و«ذئب وذؤب» و«كدر وكدر» و«أنس وأنس» و«بخل وبخل» و«حرمت
الصلاة وحرمت» و«سري وسرو» وسخي وسخو» و«عجف وعجف» و«سمير وسمير» للأشعر
و«خرق وخرق» و«سفه وسفه» ومن ثم قالوا «أدب فلان فهو أديب» دلاً من «هذب»

أجاهلي لفظ الادب ؟

قال الدكتور طه حسين في ص ١٩ من كتاب الأدب الجاهلي «ولكن الشيء الذي لاشك
فيه هو أننا لانعرف نصاً عربياً جاهلياً صحيحاً ورد فيه لفظ الأدب، والشيء الذي لاشك
فيه أيضاً أننا لانعرف أن لفظ الأدب قد ورد في القرآن، وكل مانعرفه هو أن هذه المادة قد
وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيه فليس هو بالحجة القاطعة على أن الذي قد
استعمل هذه المادة، وهذا الحديث هو قوله — ص — : أدبني ربي فأحسن تأديبي،
هذا الحديث لا يثبت حكماً لغوياً إلا إذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك أو كان من الراجح على أقل
تقدير أنه صح بلفظه عن النبي، ولكننا بعيدون عن هذا كله، فنستطيع إذن أن نقول من
غير تردد أن ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ الادب وما يتصرف منه من الافعال
والاسماء قد كان معروفاً أو مستعملاً قبل الاسلام أو إبان ظهوره» اهـ

والدكتور محق في أن حديث الرسول — ص — لا يبين عليه أساس لغوي ولا استشهاد
وقد نقل البغدادي في اول خزانة الأدب اقوال العلماء في هذا الامر ومعظمهم يذهبون
ذلك المذهب فيه، وذكر مثلاً لذلك روايتهم عنه — ص — قوله : ما سكتها بما معك من
القرآن زوجتكها بما معك ... خذها بما معك ... ، وقال ابو سليمان الخطابي وجماعته : ان
لفظ الحديث تناقلته أيدي العجم حتى فشا فيه اللحن وتلعبت به الالسن حتى حرفوا بعضه
عن مواضعه، وما هذه سبيله فلا يحتج بالفاظه المخالفة لان المحدثين لم ينقلوا الحديث لضبط

الفاظه حتى يحتاج بها بل لمعانيه ولهذا أجازوا نقل الحديث بالمعنى، ولهذا تختلف الفاظ الحديث الواحد اختلافاً كثيراً^(١). وقال صديقنا الاستاذ الزيات « عرف الجاهليون ولا ريب هذم الكلمة واستعملوها على التعاقب في معان ثلاثة » ثم قال « ولا عبرة بقول من نفي ذلك مستدلاً بعدم ورودها في الشعر القديم والقرآن الكريم فان ورودها على لسان الرسول (ص) في حديثه للإمام علي (ك) وورودها على السنة الصحابة والتابعين دليل على وجودها في الجاهلية لان الرسول لم يرتجها ارتجالاً وانما استعملها استعمالاً بدليلاً فهم الامام لها دون سؤال ولا مراجعة » قلنا : اما القول الاول فممكن ولكنه لم يؤيده بالرواية اللفظية الصحيحة ، واما القول الثاني فلا أرغفيه له صيانة مني لتحريره وتحقيقه وثبته في قضايا الادب العربي ، وهو بعد صديق كريم قلنا آنفاً ان الادب صنو الهذب وهو في الاصل الخلوص والصفاء ، ولقد ورد الادب في الكلام الجاهلي بخلاف ما زعم الدكتور طه حسين وورد في كلام الامام علي بن ابي طالب — ع — امان ورد في كلامه من الجاهليين فهو اكثم بن صيفي خطيب بني قيس الشهير قال ابو هلال العسكري في الكلام على المثل « ويل للشجي من الخلي » مانصه « المثل لا اكثم بن صيفي ، وذلك انه ذكر له رسول الله — ص — فكتب اليه « باسمك اللهم فأدبني بأدابه ، من العبد الى العبد ، اما بعد فبلغنا ما بلغك الله خبر خير ما اوصله ، ان كنت رأيت فأرنا وان كنت علمت فعلمنا وأشركننا في خيرك » وكان الكتاب مع رجل اسمه « جيش » قالوا ابو هلال « فنبعه مائة من عمرو وحنظلة وخرج الى النبي — ص — فلما كان في بعض الطريق عمد جيش الى رواحلهم فنحروها وشق ما كان معهم من قربة وهرب ، فأجهداكم العطش فمات وأوصى من معه باتباع النبي — ص — وأشهدهم انه اسلم فأنزل الله فيه : ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله^(٢) » فقول « فأدبني بأدابه » لا يحتمل الشك ولا التأويل لورود الأدب جمعاً مع فعل التأديب ، وقال الامام علي — ع — كما في نهج البلاغة « قد دارستم الكتاب وفاتحتم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما محجتم لو كان الاعمى يلحظ أو النائم يستيقظ وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة^(٣) » عني بابن النابغة عمر بن العاص ، وقال يصف رجلاً « قد لبس للحكمة جنبها وأخذها بجميع أدبها^(٤) » وكتب عبد الله بن عامر الى معاوية « ولنعم مؤدب العشيرة أنت وإننا لندرجوك بعد عثمان^(٥) » وقال علي أيضاً « وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا^(٦) » وقال حجر بن عدي الشهيد لعلي « يا أمير المؤمنين تقبل عظمتك وتتأدب بأدبك^(٧) » فالأدب وأفعاله مستفيضة في كلامهم ، أمّا أطوار الأدب فليس لنا من الوقت ما يسهل الكلام عليها ولكن سنفي بالوعد بغداد — مصطفى جواد

(١) المصباح المنير مادة « وسط » (٢) جبهة الامثال ص ٢٠٣ طبعة مجي (٣) شرح ابن أبي الحديد (٤) الشرح « ٥٣٥ : ٢ » (٥) الشرح « ٥٧٣ : ٢ » (٦) « ٥٣٦ : ٢ » (٧) الشرح « ٢١١ : ١ »

بيسان وآثارها

﴿ جغرافيتها ﴾ - بيسان مدينة واقعة في منخفضات سهل إزدراليون أو مرج ابن عامر Esdraelon يسكنها ١٥ ألف نسمة معظمهم إسلام وهي قسبة قضاء يعرف باسمها الآن، قائمة عند الكيلو التاسع والخمسين من خط حيفا - درعا، في الجنوب الشرقي من المرج المذكور وسطحها منخفض ١٣٠ متراً عن سطح البحر. ولا يزورها أحد منا الآن إلا ويحمل معه عند رجوعه منها ذكرى الحر الشديد فيها والبعوض المنتشر فوق مستنقعاتها وهذارغها عن الاعمال الجلية التي قامت بها الحكومة الحالية لتخفيف وطأة الملاريا فيها. غير أنه لا بد له وخصوصاً إذا ما رجع إلى تاريخها الحافل بالحوادث التاريخية إلا أن يقف متحيراً عندما يعرف أنه كان لها شأن خطير في تاريخ فلسطين من قديم الزمان. وبالرغم من هذا كله لم تجرؤ الجمعيات العامة على طلب رخصة للتنقيب عن آثارها إلا بعد أن احتل الانكليز هذه البلاد لأنها كانت ملكاً خاصاً للسلطان عبد الحميد

﴿ الحفريات وبيسان ﴾ وكان أول من نال امتياز التنقيب بعثة متحف جامعة بنسلفانيا بفيلادلفيا سنة ١٩٢١ وكان من العيب أن تقوم البعثة المذكورة بالحفر والتنقيب عن كل آثار العصرين الروماني والبيزنطي في المدينة لأنه عمل شاق جداً وإنما حفرت التل المسمى بتل الحصن Tel El Husn وهو تل يرتفع عن سطح الأرض (١) ٢٥٠ قدماً تقريباً وكذلك المقبرة التي تمتد على الشاطئ الشمالي من نهر جلود Jalud. والاراضي التي تقع حول بيسان خصبة جداً حتى أنها كانت تنتج كتانا اشتهر في العالم القديم

دلت الحفريات الحديثة أن المدينة كانت قائمة من قبل القرن السادس عشر قبل الميلاد، وقد أسفر البحث عن وجود كنيستين وأربعة معابد اثنان منها يرجعان إلى العهد القديم. أولهما (١) بيت عشتاروت (٢) The House of Ashtaroth وثانيهما (٣) معبد دجون (٤) The Temple of Dagon وعثرت البعثة كذلك على أحجار نقش عليها كتابات تختص ببعض ملوك مصر الاقدمين سوف أشير اليهم فيما يأتي

﴿ أسماء بيسان ﴾ واسم المدينة في العبرانية القديمة «بث شان» Bethshar ومعناها «بيت

(١) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في دائرة المعارف الانكليزية. الجزء الثالث وجه ٣٣٣

(٢) راجع صموئيل الاول الاصحاح ٣١ العدد ١٥ (٣) راجع الاخبار ١ الاصحاح ١٠ العدد ١٠



صورة اخذت من الجو لمكان الحفريات في بيسان



المقبرة الشمالية في بيسان

امام صفحة ٣٢٧

مقتطف مارس ١٩٣٣

السلام أو الهدوء» ولكن لما احتلها اليونان غيروا اسمها هذا إلى Scythopolis أي «بيت السيكثيين»^(١) Scythians ولكنها لا تزال تعرف باسمها القديم ولا ندري ما الباعث على ذلك. ويقال أنها كانت تدعى مرة ما باسم Mysa^(٢) وهو الموضع الذي وضع فيه الإله باخوس Bacchus وارضع من عرائس البحر Nymphs ولقد ظهر هذا الاسم على بعض النقود التي وجدت في المدينة

نبتة عن تاريخها * ذكر اسمها بين أسماء المدن التي احتلها تحتمس الثالث^(٣) عند ما احتل سهل ابن عامر سنة ١٤٧٩ ق.م وكانت أيضاً في قبضة المصريين على أيام ستي الأول سنة ١٣١٤ ق.م. وبقيت على هذه الحالة إلى أيام رمسيس الثالث سنة ١١٩٨ ق.م. وقد وجد اسمها أيضاً مذكوراً على أحد دروج البردي Papyrus Asastasi على أيام رمسيس الثاني. واستولى الاسرائيليون على المدينة في أيام الملك داود حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. وكان من نتيجة موقعة جلبوع^(٤) Gilboa المشهورة في التوراة أن علفت جثتا الملك شاول Saul وولده بعد هزيمتهما وقتلها على سور المدينة. ثم احتلها بعد ذلك المصريون على أيام الملك Shesluok سنة ٩٢٦ ق.م وبقيت من ذلك الوقت في أيدي المصريين إلى أن افتتحها الآشوريون في القرن السابع قبل الميلاد

وفي المدة الواقعة فيما بين سنة ٣٠١ ق.م — سنة ١٩٨ ق.م دخلت المدينة في حكم البطالسة ولما جاء الرومان إلى فلسطين احتلوا المدينة سنة ٩٥ ق.م على أيام بومبي Pompey ومن ثم أصبحت أشهر مدينة بين المدن العشرة الرومانية في الشرق الأدنى المعروفة بـ Decapolis وأخذت تنمو وتتقدم فكثرت فيها العمارات والبنائات الكبيرة كالملاعب والملاهي وأصبحت تفوق مدينة القدس تجارة ونفوذاً وسعة وسكاناً. ولما جاء المسلمون فلسطين فتحوها سنة ٦٣٦ ق.م. وفتحها صلاح الدين أيضاً سنة ١١٨٧ ميلادية مع عفرbal أو Fourbelet واغتصبها من أيدي الصليبيين. ويقال أنه لما خسر البيزنطيون موقعة اليرموك المشهورة تراجعوا إلى ما وراء نهر الأردن وذلك بعد أن حصنوا بيسان حتى أنه لما تبعهم العرب^(٥) وجهوا عليهم ماء العيون التي في المدينة ولكن العرب لم يعبأوا بذلك فهجموا عليهم وكان من نتيجة ذلك أن انهزم البيزنطيون شر هزيمة وتعرف هذه الموقعة بموقعة الفحل^(٦) Fahl وهو الاسم العربي لمدينة Pella القديمة وأصبح يُعرف هذا اليوم فيما

(١) وهم قوم نزحوا من الشمال إلى فلسطين حوالي سنة ٦٠٠ ق.م. (٢) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في كتاب The Historical Geography of the Holy Land by. G. A. Smith
وجه ٣٥٧—٣٦٣ (٣) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في دائرة المعارف الانكليزية

(٤) راجع صموئيل الأول الأصحاح ٣١ العدد ١٢

(٥) راجع المقال المكتوب عن بيسان في مجلة The Museum Journal Dec. 1923 الصادرة لي فيلادلفيا بأمريكا (٦) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في The Hist. Geog. Holy Land. أيضاً

بعد في التاريخ الاسلامي « بيوم بيسان »

بيسان ومكانتها الأثرية * دلست الحفريات الحديثة أن تاريخ التل المذكور أي تل الحصن يرجع إلى ما قبل ٣٠٠٠ سنة ق.م. وقد توصل علماء الآثار إلى معرفة هذا من الحفري في بئر بجانب التل والعمود على طبقات بناء مختلفة يرجع تاريخ كل واحدة منها إلى عصر معروف ، ويقع ضمنه معبد المدينة القديم والمدينة الكنعانية القديمة « The Canaanite City » والقلعة المصرية وهي قلعة مبنية من الآجر فيها غرف صغيرة وممرات طويلة . أما حجم اللبنة المبنية منها فتبلغ (١) ٢١ × ١٤ × ٦ بوصات . ووجد في هذه القلعة لوحات من الحجارة خطت عليها نقوش تختصر بكل من سيتي الأول ورعمسيس الثاني وتمثال لرعمسيس الثالث وكل هذه الاحجار (٢) مقطوعة من نوع من الرخام . أما النقش الحجري فللملك سيتي الأول

١ — اللوحة الأولى : دوت عليها أسماء القبائل المتعددة التي خضعت له في غزواته عند دخوله فلسطين والكتابة على هذا الحجر صعبة القراءة جداً وتاريخها غير معين وهي تختلف كثيراً عن بقية النقوش الخطية التي أقامها هذا الملك ولا يمكننا بواسطتها أن نعين السنة التي غزا فيها مدينة بيسان ومتى أقام الحجر المذكور فيها . وعلى الإجمال فهذا النقش يعطينا شرحاً لا بأس به عن غزو سيتي لبعض من الشعوب الآسيوية كشعب Rtnw « رتنو » وهذا هو الاسم المصري للشعب الذي كان يسكن فلسطين في ذلك الوقت

أما في ما يرتبط بالعساكر التي استخدمها هذا الملك في غزوة فلسطين فالبحر يبين أنها كانت « مستأجرة معظمها من الجزائر الإيجية » (Aegean Islands) ومن غرب الأناضول » ٢ — وهناك نقش خطي آخر (Stele No 2) وجدته البعثة الآنف ذكرها وعليه منقوش صورة Seti I أيضاً عند ما كان شاباً متحلياً بالشارة الملكية المصرية « وهي رأس الحية » يُقدم قرباناً إلى الإله هورس « Horus » وعلى هذا الحجر مكتوب قصة تشير إلى أن أهالي بيسان وكذلك أهالي رهوب Rehob قد طلبوا النجدة من الملك المُشار إليه لاعتاقهم ضد أهالي Hanmath الحمة (وهي قرية واقعة على نهر اليرموك فيها ينابيع حارة . راجع الخريطة) وأهالي قرية Pella (وهي قرية أيضاً تقع شرقي بيسان من الجهة الثانية للأردن) ، وكيف أنه عند ما وصل مجدو (٤) Megiddo كان قد أوفد نجدة للمستعجدين

(١) راجع مقال الدكتور Fisher عن بيسان في « مجلة متحف جامعة بنسلفانيا » عدد ديسمبر ١٩٢٣

(٢) ان الشرح المعطى لهذه الاحجار في هذا المقال مأخوذ بغضه من مقال خصوصي عنها للدكتور Albright

أحد اساتذة جامعة جونز هو بكتتر Johns Hopkins

(٣) قرية خربة فيها بعض من الآثار الرومانية واقعة على خط خيفا — درعا وفيها كنيس يهودي قديم الحفر حوله في الصيف الماضي بعثة ارسلت من قبل الجامعة العبرية بالقدس . ويزورها الآن كثيرون من الذين يطلبون الاستشفاء للاستحمام في حماماتها الساخنة (٤) بلدة قديمة واقعة في سهل مرج ابن طاهر كانت ذات شأن كبير في تاريخ فلسطين ويقوم بالحفر فيها الآن بعثة مرسلة من قبل جامعة شيكاغو Chicago

مارس
في كتيبت
وهذه ذه
المنقوشة
وهي
بعض
المنطقة التي
ما هو
الحجرية
وهذا يع
وهي
مودة بل
أما
أنها تفسر
٣
السبب
والألا
الرش في
الشهر
رعمسيس
بجوشة
وما
أسوي
البلدة
هنا يك
وي
ولقد د
سنة ق
الملكية
١)
ما هو مكت



نصب (Stele) ستي الاول
امام صفحة ٣٢٩



نصب رعمسيس الثاني
مقتطف مارس ١٩٣٣

في كتيبتين من كتائب جيشه أحدهما Ra وهذه ذهبت لاحتلال بيسان والثانية Amen وهذه ذهبت لإخضاع أهالي الحمة Hammath وبعد ذكر وقائع أخرى تنتهي الكتابة النقوشة بذكر انتصار ستي الاول (Seti I)

وهذا الحجر هو أهم الاحجار التي وجدت في بيسان من الجهة التاريخية لأنه يشرح لنا بعض الحوادث المدونة على جدران معبد الكرنك في مصر . ومعرفتنا لتاريخ فلسطين في المدة التي تقع فيما بين عصر تل العمارنة وعصر دخول الاسرائيليين إليها يتوقف بعضاً ما على ما هو مكتوب على هذا الحجر . وأول شيء يبهز الإنسان في قراءة هذه المخطوطة الحجرية هو تاريخها المضبوط «السنة الأولى ، الشهر الثالث من الفصل الثالث ، اليوم العاشر» وهذا يعني أن ستي الاول كان قد غزا فلسطين في هذا التاريخ ابتداءً من توليه عرش القراعنة وهذا الحجر يدلنا على أن الحجر الأول للملك نفسه لم ينصب عند ما غزا فلسطين أول مرة بل كان قد نصب عند دخوله إليها في المرة الثانية

أما اسم بيسان فنجد مذكوراً مرتين عليه وتهجئة اسمها باللغة الهيروغليفية تدل أنها نفس المدينة المذكورة في رسائل تل العمارنة «Tel El Amarna letters»

٣ - اللوحة الثالثة (Stele No 3): أما حجر رمسيس الثاني فيقع بجانب الحجرين الأولين لسني الاول وكتابته تُقرأ بسهولة وتتألف من ٢٤ سطراً كلها تنطق بعظمة الملك الموصوف «كأسد بين النعاج» و «كالنسر بين الطيور» و «كالملك الذي يهرب من أمامه الأعداء كقطار الرين في الريح الشديدة» . وهذا الحجر هو أكبر الثلاثة حجماً وتاريخه «السنة التاسعة ، الشهر الرابع من الفصل الثاني ، اليوم الأول» . وقصة ذلك أنه في السنة الثامنة من حكم رمسيس الثاني كانت قد ثارت عليه بعض القبائل الشمالية وأغلبها من الحثيين فجاء وأخضعها بجيوشه وفتح بيسان وأقام في قلعتها المصرية هذا الأثر التاريخي بعد سنة تقريباً

ومكانة هذا النقش الخطي من ناحية التاريخ تقع في السطر التاسع منه حيث يقول أن شعباً أسبويًا^(١) كان قد استخدمه الملك في بناء مدينة Ramses في دلتا النيل Delta وهذه هي البلدة المذكورة في العهد القديم من التوراة في سفر الخروج الاصحاح الأول العدد ١١ . ومن هنا يمكننا أن نرى أن اليهود هم الذين كانوا قد استخدمهم رمسيس الثاني في بناء بلده

ويذكر أيضاً على الحجر أن الملك المذكور كان قد أعد مقبرة جميلة لجنوده في بيسان ولقد دلت نتائج الحفر في هذه المقبرة على أن الأشياء التي وجدت فيها يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة ق . م . وأنها مصرية الصبغة بكل مظاهرها كوجود زهرة اللوتس Lotus والحية الملكية المصرية ويرجح ان العساكر التي دفنت في هذه المقبرة كانت مستأجرة في الجيش المصري

(١) وهذا دليل قاطع يدلنا على ان الاسر الامرائيلية في مصر كانت على أيام هذا الملك يشير الى ذلك ما هو مكتوب في الاصحاح الاول من سفر الخروج العدد ١١ بقوله «فبنوا الفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورمسيس»

وبجانب هذا الحجر وجد تمثال رمسيس نفسه مكسوراً ويظهر على كتفيه شعار ملكي مصري آخر وهو الخرطوش الفرعوني Cartouche

ويقول الدكتور Albright^(١) أن هذه الاحجار الثلاثة هي أهم ما وُجد من الآثار القديمة في فلسطين وسوريا لأنها تدلنا على تاريخ هذه البلاد بوجهة اجمالية

وتدل البيوت المنتشرة حول القاعة المختصة بالسيكيثيين Scythians الآنف ذكرهم أنهم لم يكونوا على شيء عظيم من الحضارة لأن هذه الآثار تنطق بذلك . ولقد بقيت بيسان من أيام هؤلاء القوم على حالة مضعضة الى ان احتلها اليونان فتغيرت من مدينة حرب الى مدينة تجارة وسلام واصبحت تفوق بتاريخها من هذا الوقت مجدها القديم وجبروتها العظيم ودخلت بذلك عهد نهضة جديدة . واول اثر يدل على هذه النهضة في المدينة هو وجود معبد جميل في اعلى نقطة فيها عثر بجانبه على قطعتين من الرخام مكتوب عليها نقوش خطية مع ذكر اسم ديميتريوس Demetrius وبعض من النقود الفضية مكتوب عليهما Ptolemy Soter I الملقب بـ Polyorces ملك مكدونيا من سنة ٢٩٤ — سنة ٢٨٧ ق . م . ولسبب ما لا نعرفه بقي بناء هذا المعبد ناقصاً الى ايام الرومان الذين اكملوه وقاموا بترميمه فيما بعد واعمدته ذات قواعد اتيكية Attic ورؤوس كورنتية وتدل النقوش واكليل الزهر المنقوشة على جدرانها انه كان قد كرس الى الاله باخوس^(٢) Bacchus ولما كان موقع بيسان الجغرافي ممتازاً جعلها الرومان قاعدة مدنهم العشرة Decapolis واصبحت مركزاً تجارياً كبيراً تمر بها القوافل والتجار في طريقهم الى شرقي الاردن

وكان يعيش بجانب العنصرين الروماني واليوناني في المدينة فريق من اليهود كان لهم شأن خطير في تاريخها ففي سنة ٦٥ ق . م . انحازوا الى جانب اخوانهم الوثنيين من سكان المدينة ضد بعض الثوار الذين قاموا في وجه الحكم الروماني في ذلك العصر ولكن هذا الجليل لم ينفعهم لان الوثنيين خافوهم بعد هذه الحادثة بقليل وذبحوا منهم ما يقارب (١٣٠٠٠) نفس . ولما ظهرت النصرانية اصبحت بيسان مركزاً مسيحياً كبيراً وصار يسكنها مطران يترأس عدة كنائس فيها واول كنيسة بنيت فيها كانت في القرن الرابع للميلاد وكان موقعها على رابية وفي جوار هذه الكنيسة من الجهة الشمالية وُجد قبر سانت باتروفيلس St. Patrophulus اول اسقف مسيحي للمدينة . وفي ايام الاضطرابات التي قامت ضد المسيحيين سنة ٣٦١ ميلادية نهبت الكنيسة المذكورة وحُرقت ولكن لما استتب الامر للمسيحيين ثانية بنوها بعد ان غيروا في هندستها الشيء الكثير . ولما دخل المسلمون فلسطين سنة

(١) ويؤيد قول الدكتور Albright كثير من علماء الآثار منهم الدكتور C. S. Fisher وهو الذي وجدها في بيسان سنة ١٩٢١ (٢) وهو اله الحجرة عند اليونان



القسم الاعلى من شاهد الملك رعمسيس الثاني



منظر تل الحصن من الجهة الغربية

مارس ١٩٣٣

٦٣٧ ب. م. حولوها الى جامع فأضافوا اليها بعضاً من النقوش الخطية الكوفية ولكنهم لم يغيروا شيئاً من اصل البناء . وتدل النقوش الكوفية التي وجدت في اماكن مختلفة ان هذا الجامع كان قد سقط وخرّب بواسطة الزلازل إما في سنة ٦٥٨ ب. م. او في سنة ٧١٣ ب. م. ولم تقم له قائمة فيما بعد لأن بعضاً من البيوت العربية للسكن امتدت اليه وتعرف هذا من كتابة كوفية منقوشة على عامود وجد حديثاً والذي كتبها رجل عربي زار المدينة في سنة ٧٨٤ ب. م. والراجح ان بيسان كانت معروفة للسيد المسيح^(١) لان على مقربة منها كانت تقع بيت عبرة وهو الموضع الذي تعمّد فيه وكان لابد له ولتلاميذه ايضاً من اجتيازها عند ما كانوا يمشون بدينهم الجديد في منطقة الجليل

ولم تتوطد دعائم النصرانية في هذه المدينة الا في اواخر القرن الثاني للميلاد فاضطهد مسيحيوها على ايام الامبراطور ديوقليطيانوس (٢٤٥ — ٣١٣ ب. م.) وتضعضت احوالهم ولكن عددهم اخذ يزداد بعد هذا وصار لهم كلمة مسموعة في شؤون الكنيسة وكان لهم ممثل في المجمع الكنائسي الذي عقد في نيقية Nicaea^(٢) سنة ٣٢٥ م. ولقد اصبحت فيما بعد مركزاً عظيماً للرهبنة المسيحية اخرجت رجالاً كانوا اصحاب سطوة في تاريخ الكنيسة الشرقية مثل القديس باسيليوس St. Basil والقديس كيرلس St. Cyril

سبب انحطاط بيسان الآن : — قلنا آنفاً انه في اثناء حصار العرب للمدينة سنة ٦٣٧ ميلادية كان قد اطلق الرومانيون عليهم اقنية الماء التي كانت تقع في غرب المدينة فأحدث ذلك مستنقعات حول المدينة ولما دخلها العرب لم يوجهوا عناية ما الى تخفيف هذه المستنقعات ومن ثم أصبحت المدينة في خطر هو أشد وأعظم فتكاً من الجيوش الجرارة وذلك الخطر هو البعوض ناقل طفيلي الملاريا

وعند ما احتل الصليبيون هذه المدينة ، عرفوا ما لها من الشأن الخطير فبنوا فيها ثكنات عسكرية وكان في هذه الثكنات فرن غير أنه كان من نتيجة الملاريا الملعونة أن ترك هؤلاء المحل وذهبوا الى محل آخر على بضعة أميال من بيسان شمالاً سموه فيما بعد Belvoir ولكنهم بالرغم من هذا كانوا قد تركوا شردمة من عساكرهم في المدينة لم تقو فيما بعد على صد هجمات صلاح الدين سنة ١١٨٧ ميلادية

ومن ذلك الوقت اختفت بيسان بتاريخها العظيم من مسرح التاريخ العام لولا ظهورها بين أونة وأخرى كشبح فقط في تمثيل بعض الادوار الصغيرة في تاريخ فلسطين على هذا المسرح داود . ت . فيشر

(١) راجع مقال آخر مكتوب في مجلة متحف جامعة بنسلفانيا عن بيسان The Museum Journal

XV—XVI (٢) راجع المقال نفسه في The Museum Journal XV—XVI عن بيسان

اللمح الضائع

لحسن كامل الصبر في

يا أغاني الربيع ما أنا إلا مقطوع من قصيدة ضائع لحنه
لم تلد لي الايام من يتولى بعث لحي ، وكيف يزرع شأنه !
أولين الصخور يكتمل الصو ت !؟ محال هذا وكنت اظنه ...
ادركت ذلك الطبيعة في الكو ن ، فأغضت عنه ، فأجل حينه
وتناسته ، والذي تتناسى في شروق الحياة يوشك بينه
من ذبول الآمال ، من غمر اليأس ، وطيف الآلام يشرد ذهنه
من ظلام الطريق ، من شبح الوه س ، وفقد الوجدان يطبق جفنه
يا اغاني الربيع . . . عندك وزن للنشيد الذي تنوسي وزنه ؟
كان يصبو الى سماعك بالأمل س ليصحو من رقدة الموت فنه
فاذا العود لا يردد صوتاً وإذا القلب ليس يسمع أنه
والربيع الجميل في وحشة الاطلال ، ذاو ، فليس يجمل لونه
موحش في الصباح ، في وضح الشمس ، وليل الآلام حين يجنه

الاوركستر

كانت الحانة ضئيلة الانوار وقد رقت فيها انفاس الليل حتى لكان الذين اجتمعوا حول موائد الشرب كلما طال ليلهم ازداد استمتاعهم . الليل والحجر ولذة السهر بعثت في جو الحانة حياة ونشاطاً فاشبهت في لجة الحليمة والسكون ضحكة واضحة اشرق بها ثمر حسناء من بنات الهوى حانة صغيرة ولكن انيقة كأنها لحسن ترتيبها وجدتها صورة في لوحة . لا تكاد تبلغها ضوضاء الطريق لانعزالها في حي هادئ من احياء الافرنج

في تلك الليلة اجتمع حول احدى الموائد في ركن الحانة ثلاثة اشخاص لا يكاد يتبينهم الناظر حتى يحكم بانهم اغرقوا الشباب الغض في لجة الحياة الدنيا غرق الزهر في الآنية . واعربت سلماتهم عن حقبة من العمر يظل فيها المرء اسير اهوائه

وقد وفقت بينهم حياة السهر الى حد ان غاب تباين ملاحظهم الطبيعي تحت ظلال من التناسب العجيب بين صورهم . وغالباً ما تستوي الصور والطباع في الناس فلا يكاد يفترق السكير عن السكير الا في القليل . وكان الاصدقاء الثلاثة يستوون في اشياء كثيرة ، في طباعهم وحديثهم وازيائهم ، وغير هذه الاعجوبة في شأنهم ان كلاً منهم كان يأخذ بسبيل من الحياة البوهيمية يزيد في اتحاده برفيقه كانوا الثريا

ولقد تذكر لفظة « البوهيمية » اقتساراً في هذا الحديث فلا يكون المراد منها ذلك الشذوذ المحتمل الذي يعتري حياة رجل غلبت مواهبه طباعه . فانحرف عن سبيل الناس وحاد عن المألوف في الكثير من معاملاته واساليبه . انما الغرض من البوهيمية في معنى الحياة المصرية تلك الصفات الملحوظة في بعض الوطنيين الذين وفقوا لمزاولة ما نسميه بالفنون الجميلة . فلا تراهم في البقعة اقل استغراقاً وفتوراً منهم في حالة العكوف على اداء الفن . وحتى يلوح ان ذلك الاستغراق سحب مخيمة قد شتمت عنها الفنون نفسها واتخذت من اصواتهم واحاديثهم صورة خاصة ونعمة مؤثرة توحى بان بؤس الحرفة قد اقترن بوجودهم بها

وكان علوي افندي — اكبر الثلاثة سنّاً — قد اجاد الضرب على العود وقد رله ان يكون حليف سهرات وملام يحفظ المعهود والمستجد من الاغاني ويشدو بها ويوقعها وقد

افنى الليل الشطرَ الذين من عمره فامسى كالشبح الناحل. وكأن صوته الجميل نفس متأرج يتصاعد ببطء من عود جاف . كانت براعته في فنه مثلاً لما تبلغه الايام من اختبار الحظ السيء الذي لا يبيح السرور ساعة الا لكي يقضى بالنكد ساعات . وكأن تلك البراعة ضرب من الحيف على حظ الانسان في حياته

وكان من تمادي الايام في سخريتها ان الصناعة نفسها التي كانت ترفع صاحبها الى مكان الملك قد اختلف حظها في زماننا حتى انزوت في اركان الحانات واتخذت من آذان العامة والسكرارى ميزاناً للتقدير والاعجاب. فقضى ان يزوي ذلك المغني البارح في ركن حانة صغيرة لا يزال يرسل في جوها اغانيه كأنها ابتهالات الى السماء ، ان تعينه على الحرفة والا تجعل نصيب الفن الجميل الصبر الجميل

وكانت الخطيئة الكبرى في حياة هذا الفنان — خطيئة الحظ — انه لما بلغ الغاية في صناعته كان ما سلف من ايامه كصفحة وجه الزنجبي لا تنبى ببارقة نور ولم يكن في مادة هذه الحياة عزاء كالذي يتمثله الناس عند ما تصافح وجوههم بهرة الضحى وموج الاشعة على المياه والغصون وعند ما تستحيل الوان الطبيعة وانفاسها الى احلام تبشر بمستقبل هنيء

كل ما اصاب علوي افندي من الحرفة اتفق لصديقه وزميله المعلم شعبان القانونجي . وكان على شاكلته يستعير لنفسه بعض العزاء من اخلاصه لفنه وكانت خلسة انتهزها المعلم شعبان حاول فيها الضرب على « القانون » وهو بعد يزال حرفة النجارة الدقيقة . وما زال يلاين ما عسر من طرائق الفن حتى اجاده وبرع فيه وبلغ السكال ولما ينس عهده في مصنع النجارة ولا غاب عن ذكره تلك الاصيل التي كان يجلس فيها على قوالب الخشب المنجور في جوف المصنع لكي يحفظ الضرب على الآلة معتمداً على طبعه وذوقه . وكان من ثمرة احسانه لفنه مع رقة حاله انه صار زميل « علوي افندي » في « الاوركستر » المتواضع الذي كان يطرب زبائن حانة « الاهرام »

اما كيف تجاوز المعلم شعبان مسافة ما بين حرفة النجارة الدقيقة وفن الضرب على القانون فانها صفقة كنجح الدجى اوضح الوانها كالمراب ينفذ اليه الساري من خلال غيم ثقيل فان ذلك الفنان لما بلغ الغاية من فنه صار لا يستطيع ان يتمثل الدنيا الا بعين خياله . عشي بصره لا من طول اختباره لطرائق الصناعة وفنونها ولكن من طول ما افنى في سبيل النجاح من راحته وهناءته فكان ابداعه في الضرب على الآلة من الخوارق

ولم يكن من الممكن ان يمضي هذان الفنانان العمر دون ان يصيبهما رشاش من ذلك الخضم المصطخب الذي يعنيه الناس بالحياة الدنيا . وهما وان كانت الايام قد فرغت من غدرها بهما

لكنها تخلت لهما عما يشبه الثمالة من ذلك الاتصال العجيب بين العواطف والانغام . وكأن الايام من بعد ان حجبت النور عن احدهما وانكرت لين الحياة عن الثاني حكمت بان فرحة النجاح في الصناعة بالنسبة لجامد لا يرى وذاهل عن الدنيا لا يعي ، لا تختلف في طبيعة الاحساس عن غفوة يترك فيها ذلك الاتصال بين النغم والعاطفة اثرًا يُسَّسَر به قلبا هذين الفنانين واصغر الاشياء اذا لامس منبعه من العظمة عاد شيئاً عظيماً

أمن بعد ان يستحيل الفرع الغضبي الى قتاد تسري فيه الحياة ويعود الى ريعانه ؟ في الطبيعة بعث مستمر ، فلقد يؤتى بالفرع الجاف يطعم به جذع شجرة مخضلة او يغرس في تربة مناسبة فلا يلبث ان ينبت ويصير غصناً غضيضاً كذلك اتفق لعوي افندي وزميله عند ما اخذ كل منهما مجلسه الى جانب السيدة « ليلي » المغنية وصاحبة حانة « الاهرام »

غير ان الهوى حين امتحن قلب « العواد » سلم بان الطبيعة الانسانية عرضة لان تسمي كالشجرة التي قلّمت ولما يُعَدُّ اليها اخضلالها . كأن الهوى فرصة تأجلت حتى تجاوزت في عمر الفنان اوان انتهزها . واذاف الحب حين مس فؤاد القانونجي الاعشى الى قصة الالم الانساني صفحة اخرى كأنها صفحة العمر في مرآة تصوره

بالله: كيف يهتدي الحب الى سبيله من تلك القلوب التي اختار ان تكون الدنيا بحظوظها وملاذها في مستوى اللحظات المجيدة التي تحسُّ فيها كأنها تنتهل من ينبوع الخلد كلما تفجر ذكاؤها كان علوي افندي منذ تخلى عن عمله في ادارة البريد — كان من السعاة — قد آلى على نفسه ان يبذل من حياته حتى يلين له ما عسر من طرائق الصناعة . وخلص من ولعه بالضرب على العود بادىء الامر الى الايمان بالاكذوبة الكبرى المتفق عليها ان مجد الفن محسوب على سعادة الفنان

ولكنه آثر ان تكون لذاذات الشباب فدية لآلهة الفن . وقد روي في الاساطير ان «ابولو» قتل خليله «نارسيس» وهوي داعبه

فلما تأرجت فيه تفحة الفن وصار استاذاً في الصناعة لم يكن نصيبه من لذة الحياة التنصيب الاوفى . وخلفت الايام في طبعه وعواطفه ذلك الاثر الراسخ العميق الذي يدع الانسان امام أجمل الاشياء بلا إعجاب ولامتاع . سلب حبُّ المجد الفنان فضيلة السرور

وكانت عاقبة ليالي السهر والارق الطويلة — حقبة التجارب الاولى للفن — ان درست العاطفة في الفنان لطول اعتزاله وانفراده . كان بلا اسرة . نشأ في إحدى قرى الريف . وكان أبوه اعرابياً من البدو . واهه فلاحه من المنصورة واجتمع في طباعه خشونة الاعرابي وصلفه الى رقة تلك الفلاحة المصرية ودعتها وخلقها الطلق

نشأ وفي فطرته الميل الى الغناء . وكان في صباه يأبى ان تنموه فرص الاستماع في حفلات الغناء خلفت في نفسه ذلك الاثر البسيكولوجي الذي يغذي الآمال ويصقل الملكات فكان لا يترك الشدو او الاستماع الا لكي يحلم بأنه المغني البارع او العواد الماهر . وان صيته قد جاوز حدود وطنه . ويظل يمتحن صوته في مقطوعات واغان كان الذي وهبه الصوت الحسن لم يخف عنه انه سيكون رب الفن في مستقبل ايامه

وتحققت أمنية الفنان من بعد ان رزى بوفاة ابيه . غير ان الارتزاق من الحرفة اذذاك كان كاستطلاع النور من سم الخياط . فلم يطق البقاء في القرية لما سامتته التجربة الامرين وما كان من الممكن ان يعد الفن بالنجاح في جو ذلك الريف الذي لا تطيق خشوته وشظفه الا ان يحسب الفن من ضروب العبث والفراغ واشد ما يتعوذ منه القروي ان يكفيه الله شر الفراغ

وكان من دأب «علوي» افندي اذا اجتمع بصديقيه في الحانة ان يظل معهما في حديث طويل قبل ان تأخذ السيدة « ليلي » في الغناء

يقول عن سالف ايامه في الريف روايات كالذي يؤثر عن حياة ارباب الفنون البوهيميين . يرويها بلهجة كأنها طابع صادق لآلام لم تفارقه . وغالباً ما تكون فاتحة تاريخ الفنان لوحة تقيد فيها خطوط المستقبل بخطوط الماضي . وكان يردد في حديثه دائماً ذكر المرحلة الشاقة التي كانت تفصل بين شاب ريفي من سعاة البريد بلا سند في الحياة والمغني المحترف المتفوق ويدعي علوي افندي في اثناء حديثه انه منقلب على طبعه الذي استحوذ عليه السأم والذهول . ويحاول جهده ان يحاكي الذين افرغت الحمر نشاطهم في قوالب من الحديث الفكاهي الممتع . وكان يتحدث عن معلمه الشيخ الذي نقل عنه صناعة الضرب على العود . وعن ليالي اللهو التي كانا يقياها في الاسواق والمواسم . ويعمل النفس وقتئذ بالنجح ولما تكتمل اداة الفن . وكان يتحدث عن الفن كمن جنى على نفسه

ولا يحاول القانونجي الاعشى ان يبتشكائه الى احد كأنه قد رضي ان يحتسي همومه وهموم غيره في صمت . وهو اذا تصفح ما مضى من زمانه ذكر نفسه وهو فتى في نواحي القرى ومبته تحت الاشجار شريداً بلا مأوى . واذ وفق الى حرفة النجارة الدقيقة فزاوها حيناً وأجادها وتفنن فيها وكان ربما عهد اليه المغنسون بأعوادهم يصاحبها ويحجر كسرها . فلما اراد ان يستبدل النجارة بالضرب على «القانون» كان جزاء احسانه ان منحه الطبيعة الظل بدل النور عشى بصره ولكنه بقي يضرب على الآلة وكأن التواقيع اشعة تسطع في صدره

واغمض الليل اهدابه على الحانة التي تضاحكت فيها الاضواء والكؤوس والانغام . وكانت الاصوات في داخلها كالفرحة يحتبسها القلب الضنين . وجعلت المغنية تشدو بالدور القديم :

يا ليل طل اولا تطل لا بد لي من سهرك
 وكانت نبرات صوتها سيالاً عبثياً مستمداً من دقات القلوب . وكأن الانغام لجة تتبدد
 وتجمع تحت انامل القانونجي . وحين صدر العود حتى امتزج فيه الصوت والعزف كما يكون
 الاتصال في الطبيعة بين الاغاريد والاشعة
 وبقي «علوي» افندي كمن غيبته امواج الموسيقى . اما القانونجي الاعشى فكانت عيناه
 المضمومتان في اتجاه الى الامام كمن يحاول ان يتبين شيئاً لا يراه . وتوسطهما المغنية الفرعاء .
 نطفة من الحسن الباهر غضيضة العود كالزهرة في نيسان
 وكانت تنظر الى المعجبين بها مبتسمة في زهو كأنها تلوح لها صورتها في مرآة
 والحانة الانيقة بحيطانها المدهونة واضوائها الملونة وبابها الزجاجي كمعبد لربة اللذة
 ويظل القلب بلا استعداد للحب الى ان يبلغ الخيال بهذه العاطفة درجة التبلور . فتكون
 شبه بالتموجات الصوتية التي تحدثها الموسيقى . وللآلة الموسيقية مثل اوتار القلب ودقاته
 ومقاصده ولكنها بلا حياة ولا ارادة
 ولم تكون الجوفة كياناً على حدة مستقلاً عن الحانة . فان اهواء الانسان من دأبها ان تستلخص
 السرور من مادة مشتركة كما يستخلص النحل رحيقه من النسيم ومصيصه اليانع . فهي تأبى الا
 ان يكون الغناء مع الحمر والزهر معاً
 ولقد يمتنع على الانسان ادراك الكلام او الكتابة في بعض الحالات المرضية وهو مع ذلك
 يرى ويستمتع ولكن ما يدركه يظل كالنغمة او كالاثر الابيض على الديباجة السوداء
 وكان يحيل للقانونجي الاعشى انه مغمور في لجة من النسيان كلما انشأت المغنية بصوتها
 الرخيم في مخيلته مثلاً معبوداً . وكانت هذه الصورة تصادف في ذهنه استعداداً نفسياً
 لاستعداد الذي تخلقه المشاهدة . او كالتقابلية التي تحدثها رائحة اللبن في صغار الحيوانات والرضع
 وغالباً ما يقنع الانسان بالارجع عن رؤية الزهرة نفسها . تلك كانت حال القانونجي الاعشى
 نحو المغنية الحسنة . كان يحبها ولكنه لا يبصرها . والحب للعين التي لا تبصر صفحة من
 كتاب لا اول له . والقلب يصطنع الحب ما لم يستعن بالنظر . وكان القانونجي يركن في تذوق
 هذه العاطفة الخامسة^(١) الى نظر زميله العواد . رجل ذاهل عن الدنيا كأنه يبصر في سبيل
 محري غير سبيل النظر المؤلف . والذاهل لا يفكر في شيء . اذن فهو لا يبصر شيئاً
 ما كان يدري احد اين مكان النور من ذلك المخلوق . كان مجيداً لم يخطئه حكمه يوماً في فنه .
 لكنه بقي بمجموده متخلفاً عن الدنيا . وعجيب ان يكون هذا الطبع في انسان غارق في مواطن
 الهو . ولو استطاع القانونجي ان يتجسس حال زميله العواد لادرك انه عند حد من الاستغراق

(١) الخامسة اي الناقصة من قوله الذين يخسرون الخ

لا يقبل الاستعانة بنظره في الحكم . وحتى الحواس نفسها لا تكاد تعطينا تفسيراً حقيقياً
للأشياء . والاثـر الذي خلفته الأيام في نظر القانونجي لا يكاد يختلف عن الاثر الذي طمس
حسه وكنم وعيه . وربما تخيل البصير في الظلمة شيئاً لا يبعد ان يطرأ على ذهن الاعشى في
النور . فقد كان بصر القانونجي بالمغنية اشبه باحساس مستمد من زميله العواد

ولو كان من الممكن تجريد الحب من احلامه وخيالاته لأسمينا تلك العاطفة التي استأثرت
بالقانونجي حباً . ولم تكن المغنية على بينة من ذلك الحب . غير ان الغصن حين يمس بالخلف
دائماً على الثرى بعضاً منه او من راحته . ومقدار ما كانت عاطفة الحب تتأجج في قلب
القانونجي لم تكن تجاوبها بغير العطف المجرد

كانت المغنية كأنها قد اظلمت بحمايتها هذين الفنانين . ولم تكن تجهل حالتهما من قبل
وفي سبيل الحب لا يأبى الانسان احياناً ان يكذبه ادراكه . كانت المغنية لحسنها الباهر
كالماسة تأتلق في دجى . او كالزهر النضرة تهتز في آنية من الفضة . ولقد يتألف من بعض
التفاوت في الخلقة جمال خاص يعجب النظر لكن القانونجي كان مجرداً حتى من هذه الصفة .
هذا الى رقة حاله . ولم يكن للحب منفذ ميسور الى قلب المغنية . فان القدر الذي ابى ان
يتساهل في احسان القانونجي لصناعته حتى سلبه بصره شاء ان يقترن حسن المغنية بتلك
التجارب القاسية التي يتكوّن من خلاصتها سلوك المرأة وخطتها في الحياة

فلم تكن مظاهر حبه الساذج تستطيع ان تقاوم حتى مداعبتها الجدية . كانت عواطفه
تخلده وقلبه يزداد خفقاناً عند سماع حديثها . ويبقى وجوهه كأنه عبادة مكتومة لحسنها الممتع
وكما امعنت المغنية في كلامها ونكاتها حاول انكسار القانونجي ان يستند الى استغراق
العواد كما يستند الركن المنهار الى ماهو اوهى منه

وكان وقف الموسيقى يزيد في دقات قلب القانونجي . اذ يتوقع ان يصفح جمال المغنية
رغبة منه لا تبصر

وتظل هذه الدمية كأنها تشرف من عل على هذين الحريفين
والحظوظ تأتلف ائتلاف الطيور الجميلة اما لو كان القانونجي موفقاً لاستغنت به عن
اختيار جليس من بين زبائن الحانة . كان رغم حبه كرميله المستغرق لا يستصعب ان يرى
المغنية تضاحك هذا وتداعب ذاك من اصحابها ، وكانت اذا خطرت في الحانة اشبهت ضمة من
الزهر يترك النسيم من خلفها عطراً

ولا يليق الحظ الاوفى من مجالسة المغنية واقبالها سوى رجل متظرف قد ناهز الستين .
ذو لحية مهذبة وخطها الشيب . واسمرار لطيف اقترن بملامح بارزة
كان يختار مجلسه جانب العواد وزميله حتى اذا ابتدأ الغناء فارقه . لا يني ذلك الرجل يراقب

مارس
المغنية عن ك
قنداح الوس
اليه وتأخذ
كانت
حياة عائلية
ماجد بك
كان القا
مخزني الفن
ويبقى
بجوي نخبة
القانونجي
عاد الم
صاحب المت
من قبل
الفضول
اجاب
ثاني الرياح
—
قال ال
واضا
فابسه
فيل
ها الفراخ
وقد
نبا الوداع
لنوط تجل
ونوع الآ
حين اقتر
جزءه

المغنية عن كسب وهي تخالسه النظر الرقيق . وكان لا يترك النظر اليها الا لكي يعين في احتساء
القداح الوسكي ولا يزال يشرب حتى يسكر ويزداد بريق عينيه . اذ ذاك كانت المغنية تهبط
ليه وتأخذ في حديث طويل معه

كانت بوارد هذا الحديث تنذر في البدء بنية السيدة «ليلي» في اغلاق الحانة واختيار
حياة عائلية هادئة بالاشتراك مع رجل عظيم الخلق مثل ماجد بك وعلى اثر هذه الاشاعة انقطع
ماجد بك فجأة عن المجيء الى الحانة

كان القانونجي لا يفارق «البار» في الهزيع الاخير من الليل الا لكي يجتمع بشرذمة من
مخزفي الغناء والتمثيل في مقهى وطني قائم على منحدر كالكأس المرفوعة بيد الساقية
ويبقى بين هؤلاء ساكناً مستغرقاً كأن مهنته ان يسمع . وفي الحقيقة كان حديثهم
محوي نخبه من نوادر ارباب الفنون وحوادث حياتهم البوهيمية العجيبة . وكانت حياة
القانونجي نفسه كأنها عنصر اشترك في ذلك الحديث

عاد المعلم شعبان ذات ليلة الى المقهى الصغير يحمل «القانون» فلم يكذب يقع عليه نظر
صاحب المقهى حتى بدا عليه الاستغراب اولاً لانه رآه يحمل الآلة الموسيقية . ولم يأت بها
من قبل . ثانياً أنه جاء قبل ميعاده . وعادته ان يأتي المقهى بعد منتصف الليل . وغلب
الفضول صاحب المقهى فسأله — الظاهر انك «مفودس» الليلة يا معلم شعبان !

اجاب القانونجي — انا والله «مانفودس» ابدأ لو واصلت الليل بالنهار في الشغل . ولكن
ثاني الرياح بما لا تشتهي السفن

— ماذا حدث ؟

قال القانونجي بلهجة يغلب عليها التأثر — لقد اغلقت الحانة

واضاف الى ذلك : ولعلك لا ترى بأساً من اقامة حفلة انس في المقهى هذه الليلة

فابتسم صاحب المقهى وقال : يسرني على الاقل ان اسمعك

فيل ان بعض الطيور البحرية اذا فقد الغذاء شق بطنه بمخالبه واستخرج امعاءه والقي
بالفراخه . ويقترب منه بوداعه في آهة ألحمة يصدرها في الجو

وقد كانت توقيعات القانونجي الاعشى في تلك الليلة من قبيل تلك الآهات الالهية . يقترب
نهار الوداع بالالم . ولم يترك دوراً ضربته في الحانة الا ردده . واحتبس الالم في فؤاده حتى بدا
لفرط مجلده في مظهر زميله العواد . ولما تناهى الليل وخلا المكان سمع صاحب المقهى صوت
انواع الآلة الموسيقية على الارض . فحسب ان النعاس قد استولى على القانونجي . غير انه

حين اقترب منه ليوقظه هوى الفنان الميت بين ذراعيه

عبد الحميد سالم

مجلد ٨٢

(٤٤)

جزء ٣

أحمد صديق بك

مدير بلدية الاسكندرية

اعجبت كل الاعجاب بالاسكندرية وبما شاهده فيها من دلائل
الرقى والعمران ووسائل الصحة والتنظيم ولا شك عندى في انها
اجل مدينة على البحر الابيض المتوسط وانه ليسرني ان اعلم
ان الفضل في ذلك حائد الى صديق بك الذي ما فتى يعمل على
تنظيمها وتجميلها ولن يمضي وقت طويل حتى تصبح ذات شهرة
عالمية وتستعيد مجدها القديم محافظ لانكشير

لما بهر الاوروبيون المعاصرون بعظمة المدينة الحديثة ، اهتموا الى شيء وهو ان هذه
المدينة قد ميزتهم على القدماء بملكه النقد والتقدير . فالذين يلاحظون التطور الباهر الذي
اكسب الاسكندرية كل هذا الجمال لا يستطيعون تقدير الجهود الخارقة التي حققت هذه
المعجزة . وحتى اذا استطعنا تقديرها فاننا لاندرى الى من ننسبها فانها تؤلف جهاداً عمرانياً
حقيقياً في سبيل ترقى المدينة التي كانت ثانية عواصم الدنيا بعد روما
ولقد يكون التقدير ثمرة الذوق المذهب . فان محافظ لانكشير حين زار الاسكندرية
اخيراً كانت نتيجة اعجابه الجُم بما شاهده من دلائل الرقى والعمران ووسائل الصحة والتنظيم
وآيات التجميل انه لم يملك غير الاعتراف بفضل هذه الجهود الى صاحب العزة احمد صديق بك
مدير البلدية العام

ولقد كان من حظ الاسكندرية ان ما بذله مدير و البلدية السابقون من الجهود في سبيل
رقىها وعمرانها قد أثمر ثماره الباهرة في عهد صديق بك كما اجتمعت ابهة الدولة الرومانية
وعظمتها وقوتها في عهد اوغسطس قيصر . غير ان المزايا العظيمة التي عرفت بها شخصية
صديق بك وقوة رأيه في الاوقات التي تعرض فيها مسألة تنظيم المدينة واصلاحها وتجميلها
لا يجعل مجالاً للشك في نسبة هذا التقدم الباهر الى ذكاء المدير ومساعدته التي جعلت
الاسكندرية أجمل مدينة على البحر الابيض المتوسط
ولقد نذكر الآن في كثير من الدهشة والاستغراب ما تردد على الألسن عند توليه ادارة

البلدية التي كانت قد رسبت في لجج عميقة من الفوضى والارتباك لم ينظر وقتئذ الى مزاي صديق بك وقوة شخصيته وذكائه ومواهبه وذوقه المثقف وحسن ارادته نحو تحقيق الاصطلاحات التي تحتاج اليها المدينة ، انما قيل لأول وهلة انه بعد شاب لا يملك القوة الكافية للتغلب على الاختلافات ووجوه التناقض التي لابد من حدوثها في دائرة دولية لم يكن قد تسرب اليها شيء من التوفيق ولا التفاهم الحسن . وكانت ثقة صديق بك الشاب بنفسه واعتداده بمواهبه وانه كفاء للمهمة الشاقة التي اختير لها كأنهما حكم فاصل في مسألة من هذا القبيل

وفي الحقيقة انه لم يلبث ان ترك لمرووسيه في غير ضجة ولا اعلان امثلة عليا في النشاط والمثارة على العمل والذكاء . وتجلي ذكاؤه على الاخص في الاحوال الدقيقة التي كان لابد فيها من تأييد مذهب التوفيق بين النزعات المختلفة والمتناقضة التي تصدر عادة من هيئة دولية

وتم ميزة اخرى أجل من كل ماتقدم وهي المدة القصيرة التي استطاع فيها مدير البلدية الشاب ان يكتسب مع ثقة الاهلين اعجاب اولئك الذين ارادوا ان يعترضوا سبيله الى الادارة بزعم انه شاب . وقتئذ تبين ان شباب صديق بك منخورة ومجدة لشخصيته ولجميع الذين رأوا فيه الرجل الصالح لادارة البلدية . وكذلك دلت اعمال صديق بك على انه من اولئك الافذاذ الذين لم تقسدهم حدة الشباب في هذا الوسط الخداع المرتطم في كل انواع اللهو والحماقات . وانه من الذين تنمو فيهم العقول قبل ان تكتمل اجسامهم ، وتشيب ارواحهم وهم لا يزالون في انصر مراحل العمر ، فانت لا تراه الا مسترسلاً في عمله ، متوفراً على شؤونه ، يعمل بدأب وثبات مستعينا بمبادئ النظام والترتيب والارادة الحسنة . وهذه المزايا العملية تتطلب اعصاباً ساكنة ثابتة لا تستفز ، وقلوباً هادئة لا تستطار ، والنظام من الصفات التي لا تنضج الا في الشيوخ والمكتملين في العمر ، لانهم جازوا حدود الشباب ، وهو في الغالب دور القلب والقلق والاضطراب ، لان الاعصاب لا تستطيع ان تسكن الى الهدوء الذي يطلبه النظام ، ولا تحتمل الجود على طريقة خاصة لا تغير فيها ولا تحويل . ولكن الطبيعة — لغرض من اغراضها — لا تخلق قانوناً الا فتحت له باباً لم حاجتها فيه ومحاورتها ، فهي تضع لكل سنة من سننها شذوذاً ، ولكل ناموس صلب من نواميسها عجائب وفروفاً ، لان مبدأ الطبيعة ان تعمل على التحجير والادهاش والاغراب ، لكي يبقى سر الكون ابد الدهر مكتوماً ، ولذلك كان غريباً حقاً ان يكون صديق بك وهو في السن الباكرة الناضرة يجري في عمله بقوة الرجل الذي قطع المراحل الكبيرة من العمر حنكة وتجربة ودرساً لاخلق الحياة واسرارها ، ولكن

القوة الالهية بعد تسير في الخليقة على مبدأ التعويض ، ففي وسط المئات من الشبان الطائشين الخفاف الاحلام المممعين في سبل الله وطرائقه ، تأبى الا ان تضع قلائل من الشبان الصالحين الكبار النفوس المحترمين واجب الحياة ، ومن هنا كان صديق بك وامثاله هم هؤلاء القلائل الذين تريد القوة الالهية ان تعوض بهم عن فساد غيرهم

ويظهر ان اقتران منصب صديق بك بمسائل الاصلاح والصحة والتجميل وهي مسائل انسانية قد وافقت مزاج المدير الشاب فالتضحت مواهبه ودل على قوة رأيه لاسيما عندما يجتهد الجدل في القومسيون فيشارك برأيه للتوفيق او للفصل ، وهو اذ يتكلم لا يندفع في القول بادىء ذي بدء ولا يرفع صوته ، فالكلام بطيء والعبارات مفصلة ، ولكن لا يلبث حتى يملو ويتدفق ثم ينفجر ويتعاضل ، لا يردده سوى ثباته ، ولا تحركه سوى الارادة التي يعبر عنها ، وهو صوت لا سحر في نبراته ، بل يكاد يكون أجش قليلاً ، ولكنه لا يتصنع ولا يترفع ، ولا يداعب الالفاظ ، بل يتجه الى القلوب تواء فيغزوها ، وينفذ الى سويدائها ، وكما علت المناقشات ، وارتفعت الجلبة سحقها هو ببنيانه . وهكذا تظل كلمته هي العليا

وصديق بك رجل هادئ جذاب . تستطيع ان تتبين مواهبه وطباعه من ملاحظه ، وهو دائماً الرجل الذي يعرف حدود مسئوليته ، وتتم حدة نظره على ذكائه وبصيرته وهو اذا حدثك بالفرنسية لا تستطيع ان تفرقه عن ابناء هذه اللغة ، ويجيد الى الفرنسية الانجليزية والالمانية عدا العربية التي نستطيع ان نؤيد انه متين الدباجة فيها حتى انه يفوز باعجابك ويملك على الدهشة كلما تولى تصحيح خطأ المترجمين في الجلسات ويسرك ان تستمع منه التعبير العربي ترجمة لصيغة فرنسية فنية ، وهو بعد المدير الذي يحق له ان يعول على مرؤوسيه ولكنه استطاع بمواهبه ان يكون في كل موقف عنوان الكفاية فلا تقوته كبيرة ولا صغيرة ولم يكن من المستغرب ان تكون روح الارادة والنظام في شخصية صديق بك توازي الفطرة القانونية ، فهو قانوني واداري من الطراز الاول ، لا يعول في شيء من الاعمال الا على رأيه ، وهو بذلك يضرب المثل لكثير من مرؤوسيه الذين تعددت اعمالهم دون ان يتعمدوا التفرد في آرائها او بحثها . من اجل ذلك كان المدير الذي اكتسب اجلال مرؤوسيه بالمثل والقذوة لاجتهاد المركز

وبعد فان كل هذا قليل اذا قورن بالروح السامي الذي اتصف به صديق بك في دائرة التوفيق بين الوطنيين والاجانب من اعضاء القومسيون فقد كان هذا التطور الذي احده سعادة مدير البلدية في زمن قصير وبمهارة لا نظير لها فوزاً مبيناً لمبدأ عمراني وانساني معاً ، هو



احمد صديق بك مدير بلدية الاسكندرية

امام صفحة ٣٤٣

مقتطف مارس ١٩٣٣

مبدأ الترقى . وما كان من الممكن السير بأعمال البلدية وتحقيق الاصلاحات اللازمة للمدينة والنهوض بها دون تحقيق هذا التطور

ولقد أدّى صديق بك هذه المهمة الشاقة المجيدة لخير المدينة والاهلين من كل الاجناس . ولما سادت الصبغة الوطنية ادارة البلدية عهداً ذلك بحق نجاحاً للمبدأ الذي يسترشد به المدير الشاب في اعماله ، مبدأ التوفيق والقضاء على المناقضات واسباب الارتباك . ولما لوحظ صلاحية هذه البزور في تربة البلدية لعهدا الجديد ، وانها تنبت نباتاً حسناً شرع في اصلاح الاحياء الوطنية وكان حظها من عناية صديق بك عظيماً . وحسبنا ان نراقب ما تحقق من هذه الاصلاحات كتعميم المجاري والعيادات الصحية ومستشفيات الولادة والحميات ومساكن العمال وحمامات الفقراء ومطاعمهم . وكأن صديق بك حين تولى ادارة البلدية كان يحمل برنامجاً معيناً او خطة للاصلاح قد وضعها من قبل على ان الذين يعرفون مدير البلدية وانه الرجل الذي لا يكاد يخطئ اذا ارتجل رأيه لا يسمعون بوجود ذلك البرنامج وان صديق بك انما كان منقاداً في كل ما وافق عليه من الاصلاحات الى ارادته الحسنة ورغبته الصادقة في اداء عمل انساني خالده . ولم يكن في كل ما حققه ميالاً الى الضجة او الاعلان بل كان عطفه على الفقراء ، وحبه للجسم للعمل الانساني ، يوازي تواضعه وانه انما عمل لكي يرضي ضميره ويؤدي عناصر المهمة الثقيلة الملقاة على عاتقه . فهو مثل للرجال الذين يشعرون بتبعاتهم

اما آيات التجميل التي تنسب الى عهد صديق بك والتي تحوّل بها شكل المدينة القديمة وازداد رونقها وبهاؤها فلانما تنسب الى ذوق مدير البلدية المثقف المهذب الذي يحمل في ذهنه صوراً شتى من صور العمران ، وما خلقتة المدنية الحديثة من البدائع في تجميل المدن وتهذيب رسوماً ونظمها ، وقد وضع بذلك القاعدة لتجميل عاصمة القطر الثانية . وقد شهد محافظ لانكشير بأنها ستكون ذات شهرة عالمية وتوشك ان تسترد مجدها القديم

وكذلك لم يترك ذكاء صديق بك شيئاً في الادارة التي صبغها بالصبغة الوطنية او المدينة التي جعلها آية في الابداع دون ان يترك مثلاً للتجديد

اما تمثيله البلدية اخيراً في مؤتمر البلديات فقد اضاف مجدداً آخر الى شخصيته الممتازة فقد اعلن عن مصر التي تسير في سبيل الترقى بخطوات الجبارة ، وكان في صوته لدى ذلك المؤتمر تلك النغمة الحبيبة الى قلوب العمرانيين ، والتي تعرب عن الاشتراك والتضامن

نقولاً شكري
لبلوغ المثل الأعلى

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وأسير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الغاية من الزواج

للفيلسوف الاجتماعي الانكليزي هقلوك (١) ليس

ما الغاية الشرعية من الزواج ؟ نحن نعلم ان بعض الرجال يرغبون في الزواج لمجرد الحصول على مسكن رخيص وخدمة طبية منتظمة وان بعض النساء يقبلن على الزواج حتى يجدن من يحمين في الوقت الذي لا يستطعن فيه حماية انفسهن .. هاتان الغايتان — اتفقنا مع قوانين الاخلاق أو تعارضتا — لا نستطيع ان نقول انهما الغرضان الاساسيان من الزواج

وإذا قلنا « الغاية من الزواج » فانما نقصد ما يرمي اليه الرجال والنساء الذين يعيشون عبثة متحضرة ، واذا كتبنا في هذا الموضوع فذلك لاننا نحاول مخلصين ترقية تلك المعيشة المتحضرة والشائع هو ان الغرض الاول من الزواج الحصول على النسل وتربيته الى ان يستطيع رعاية نفسه بنفسه ، وعلى هذا الاساس يشترك الانسان مع الثدييات جميعاً بل ومع معظم الطيور ، فاذا ما تغاضينا عن الغايات الثانوية وجدنا ان هذه الغاية — وهي الحصول على النسل وتربيته — ليست الاولى فقط بل والغاية الوحيدة لجميع الصلات الجنسية في قبيل الثدييات

ولما كانت وظيفة الغريزة هي المحافظة على نفسها وإشباع رغبتها فان الاشباع حيلة من حيل الطبيعة وليس غاية في ذاته ، والا فما هي الوظيفة المفيدة التي تؤديها الغريزة في الاوقات التي لا استطاع الحمل فيها ؟ ودليلنا على ذلك ان الانثى في بعض الحيوانات تمارس الرغبة الجنسية في فصل الاخصاب فقط وان هذه الرغبة تنقطع عند حدوث الاخصاب بينما الامر على الضد عند الذكر الذي لا تحد رغبته الجنسية في تلك المدة القصيرة التي ابتكرتها الطبيعة للانثى حتى

تتيح لها فرصة الحصول على الذكر المناسب في الوقت المناسب ، وعلى هذا فرغبة الذكر في الحصول على الانثى التي لا تزال باقية عند بعض الانواع الانسانية ليست نتيجة الشهوة او الاسراف الشخصي ، وليست نتيجة « الفجور في اشباع الرغبات الجسدية او الشهوات البدنية كما في الوحوش » بل هي عمل من اعمال الطبيعة غرسه لفائدة الانثى حتى تحصل على الغرض الاساسي من الزواج وهو التناسل

وهذه الغاية الاولى نستطيع ان نسميها الغاية الحيوانية ، وهي كما قلنا ليست الغاية الاولى عند بعض البدائيين فحسب بل والغاية الوحيدة ايضاً. وانت تعرف ان فكرة الحب باعمق معانيها لم تنفأ الا في بطن شديد. ومع ان بعض الهمج يستعملون كلمة او كلمات تدل على متعة الحب من الناحية النفسية الخالصة فان بعض السلائل الاوربية لم تفهم هذا المعنى الا مؤخراً ، فشعراء الاغريق القدماء لم يدركوا قيمة الحب في الزواج حتى ان « تيوجنيس Theognes » قابل بين الزواج وتناسل الماشية ، وجاراهم في ذلك الرومان أيام الجمهورية ، وقد اعتبر اولئك وهؤلاء التناسل غاية الزواج وان كل ما عداه شهوة حقيرة يجب الاتمارس بحال ، واذا كان لا بد من ممارستها فان ذلك يكون خارج حدود الزواج ، واتي بعد ذلك قرنان من الزمان احتفظ الناس فيها بكثير من الآراء البدائية وقدسوا فكرة الاغريق والرومان ، ثم جاءت المسيحية وحاولت ان تتوسع في تطبيق هذه الفكرة فخيرت الناس بين العزوبة من جهة والزواج بغية الحصول على النسل فقط من جهة اخرى

ومع هذا فقد نشأت من زمن سحيق في تاريخ الانسان وظيفة جديدة للصلة الجنسية ومازالت تنمو حتى اصبحت احدى الغايات الكبرى للزواج ، وإذا كانت القوة الجنسية الدافعة عند ما تستيقظ في الحيوان — والانسان أحياناً — تأخذ في وصولها الى المخ طريقاً قصيراً وسريعاً فاننا نعلم أن المخ الانساني بملكاته جميعاً قد تطور من جراء الصعاب الكثيرة التي ألقيت في سبيل الحياة الجنسية حتى أن القوة الدافعة الى الحياة الجنسية أصبحت تسير في طريق طويل وعمر قبل أن تصل الى غايتها ، ومعنى هذا أن الجنس Sex أخذ يختلط بالعواطف الراقية والمجهودات النبيلة والمخاطرات السامية في كل مناحي الحياة بل وأخذ يشترك مع الفن والدين حتى اصبحت الغريزة الحيوانية البدائية التي كانت لا تعنى بغير التناسل فاعل الالهام في جميع هذه المجهودات النفسية التي تفخر الحضارة بها

وهذه الغاية كما رأينا محصول جانبي ، وكما ان المحصول الجانبي قد يأتي عليه حين من الدهر يصبح فيه اهم من المحصول الاساسي فكذلك اصبحت هذه الغاية الثانوية اسمى من الغاية الاساسية. ومثل الغريزة الجنسية في ذلك كمثل الكف التي تطورت من الذراع ولم تكن لها من وظيفة سوى الحصول على الحاجيات المادية ولكن الانسان استطاع ان يجعل لها وظائف ثانوية

كالتوقيع على البيئات أو المكان الى غير ذلك من الاعمال التي يعدها البعض اسمى من الوظيفة الاساسية . ولكننا مع هذا لا نستطيع ان نغفل ان الحصول الجاني يصاحب الحصول الاساسي في معظم الاحوال ، ولا نستطيع ان نغفل ان هذه الغاية الجديدة للزواج تسمو على اختها وتضيف اليها عنصراً انسانيّاً مقدساً مما يجعلنا نطلق عليها « الغاية الروحية للزواج » ولسنا نعني بكلمة « روحية » صفات غامضة فيا وراء الطبيعة ، ولكننا نقصد جميع التفاعلات الذهنية والشعورية التي اخذت تظهر وتقوى في التطور الانساني ، ولسنا في حاجة لان نسرده لك عناصر هذه الغاية الروحية للصلات الجنسية لان المفروض ان وراء هذه الغاية كل ما يجعل الحب الجنسي فناً جميلاً فيه من السرور ما فيه . وعليك ان تتناسى تقاليد الجمال التي ورثناها عن القدماء والتي تعمينا عن المعنى الحقيقي للسرور ، والتي لم تكن تبصر غير ما فيه من شر ، واذكر ما قاله رومان رولان « السرور مقدس كالالم » بل واذكر ما قاله جيمس هنتون James Tinton « السرور ابن الله ... انه منبع كثير من القوى ... » وهذا حق لان الطاقة الجنسية يمكن حبسها وتحويلها الى النواحي الفكرية والمعنوية ، ولان السرور ، والسرور الجنسي بنوع خاص اذا احسن استعماله اصبح المحرك والدافع الى كثير من المجهودات السامية هذه الغاية الجديدة تحمل مشكلة العنفة وتأخذ بالحجة اولئك الذين يقولون ان العفة هي الامساك عن الرغبات الجنسية لما بينها وبين الشهوات الحيوانية من صلة ناسين ان الاتحاد الجنسي الذي يقوم على حاجة النفس والجسم معاً يعمل على المحافظة على صحة الكائن الحي وتوازنه ، ناسين ان الاتحاد الذي يقوم على حاجة النفس والجسم معاً يححو الانانية من الفرد ويجعله يدرك ان لذته وسروره في لذة رفيقه وسروره ، ويجعله يدرك المعنى الروحي الذي يقرب بين الاجسام بل وبين الارواح ايضاً ... واليك ما تقوله احدي السيدات في هذا الصدد ^(١) انني اضيع جميع تعاليمي الجنسية للاطفال والشبان على اساس ما في الجنس من جمال وقداسة .. الاتحاد الجنسي هو اقدس ما في الحياة »

واننا لنشفق على أولئك الذين لا يستطيعون تقدير الغاية الروحية للزواج والذين يبرهنون على دعوائهم بما عند الحيوانات الدنيا كأن علينا أن تقلد هذه الحيوانات وأن ننسى أن الطبيعة قد أنقذت ملايين السنين حتى خرجت بالانسان من دائرة الحيوان الضيقة ، ولسنا نشك أن هؤلاء الناس لا يزالون يعيشون في العصر الحيواني وأن عليهم أن يدرسوا اوليات الحب ، وقد رأينا نموذجاً منهم في شخص « قس سذرک » الذي مثل أمام اللجنة القومية التي عقدت منذ أعوام قلائل والتي نيط بها دراسة مسألة نسبة المواليد وما يتفرع عنها فقد صرح هذا الرجل بأن التناسل هو غاية الزواج التي لا غاية وراءها وان كل ما عداها ماهو الا اشباع

الريانات الشخصية الحقيمة ، ولعل أبلغ ردّ هو عدم وجود فرد واحد من أعضاء هذه اللجنة يشاركه فيما ذهب إليه . . .

ولسنا في حاجة لأن نبين لك مقدار الصلة الوثيقة بين هذه الغاية الجديدة للزواج وبين التحكم في النسل اذ من دونه لا يكون لها وجود ، وقد سمعنا من يعارض في هذا التحكم ومن يعتبر الأدوات التي تستعمل في سبيله قبيحة بعيدة عن طبيعة الجمال البعده كله ، على أننا نذكر هؤلاء بأننا لن نستطيع الدخول الى العالم الروحي الا عن طريق العالم المادي ، وقد شبه «فوريل» Forel تلك الأدوات بالنظارات ، فهذه النظارات ليست من الجمال في شيء ولكنها تجعل من يضعها على عينيه قادراً على التغلب على النقص الطبيعي بل وتجعله أقدر على رؤية الأشياء وأكثر شعوراً بما فيها من روعة وجمال وتأخذ بيده الى العالم الروحي لانه من غيرها يجد الحياة كتاباً مغلقاً

وفي الحق أن التحكم في النسل اثار في كثير من مناحي حياتنا الاجتماعية لانه يجد من عدد أفراد الأسرة ويخفف الضغط عليهم ويفيدهم وخصوصاً الأم ، ثم هو يعطي الآباء فرصة التدبر في أمورهم واختيار الوقت المناسب والظرف الملائم لانجاب الذرية ، أضف الى ذلك أنه مفتاح التقدم اليوجني الذي يسمي الى تحسين النوع البشري م عبد الحميد يونس

(١) العفن غذاء ودواء

اذا قدم لك امرؤ لقمة من خبز غشيه العفن الاخضر لتأكلها ، فلا شك ان نفسك تنفر. بيد انك ربما لاتلبث هنيهة حتى تستمرىء قطعة جبن « روكفور » من صنع العفن عينه . أفليس ذلك من المستغربات ؟

وقد اصاب العلماء من عهد قريب اللثام عن حقائق عدة بشأن العفن ، وهو النامية النباتية الغريبة التي تظهر للرأي بمظاهر شتى تعد بالالوف . وما ايقنوا من تلك الحقائق الباهرة حتى جعلوا يستخدمون العفن في توليد مواد نفيسة وذلك بنفقات زهيدة . وهي المواد نفسها التي كانت تصنع بالوسائل الكيماوية وكانت تقتضي نفقة ومشقة

ومن الحقائق التي كشف غوامضها اولئك العلماء الاعلام : ان العفن على تباين انواعه غير سام ولو ان مظهره على الدوام يتم على اضراره الجسيمة . اذ استدلووا من مباحثهم على ان العفن اذا احكم تذليله امكن استخدامه بمثابة عنصر حيوي لتحسين صحة الجنس البشري او زيادة رخائه

والعفن يتخلل كل شيء ، فلامناس من اكله واستنشاقه !! اي انك اذا ايمت شطر
احد مصانع مياه الصودا (كازوزة) لتروي غلستك بقدرح منها فانك انما تشرب بعضاً من قيع
محتوي على حامض ليمونيك وهو من منتجات العفن العامة

وقد تحتوي خميرة العجين على فامية نباتية تشبه العفن الذي يعرفون الخبز العيشم . وان
كنت ممن يستطيعون اكل صنفى الجبن الفرنسى الروكفور والكامبير فانك كلما اكلت شيئاً
منها تناولت انواعاً من العفن عن طيب خاطر . ولقد ثبت طبيياً ان العفن حليف غير منتظر
في علاج المصابين بنقص مقدار الجير في دماهم ، وهو داء يشبه فقر الدم (انيميا)

ولما كان من الضروريات عند نسج بعض الاقشة الرقيقة تشبيح خيوطها باللشا ونحوه من
المواد الكيماوية قصد تقويتها تسهيلاً لعملية النسج والحبك ، تعين على ارباب المصانع استخدام
عدة انواع من العفن لتوليد الانزيمات (خماير ذائبة تتولد في جسم كائن حي وهي مادة غروية
تقرزها الخلايا وتحداث تغيرات كيماوية) لتلتهم تلك المواد الغروية وتهضمها حتى تنقى الاقشة
وتتركها قشبية لكيلا تتأثر مما يجري عليها بعدئذ من عمليات الغسل الشديدة بالآلات

والمعروف ان الانتفاع بالعفن في الاعمال الصناعية والطبية والزراعية هو من المكتشفات
التي تمت بطريق المصادفة . وقد كان لعلماء الزراعة في الولايات المتحدة القدرح الملقى في
وقف التلف الذي كان يطرا على النباتات والاغذية من العفن فصانت بتلك الوسائل ملايين
الجنيهات التي كانت تنفق جزافاً كل سنة لمسكخة العفن . وكان من عهد حديث كيماويان من
موظفي وزارة الزراعة وهما المستر هوراس هريك وأرثيل ماي يمارسان أعمالهما في واشنطن
في تحضير الحامض الطرطريك من انواع العفن ، فوفقا لمعلومات خطيرة لم تكن في الحسبان
اذ قاما بعمل ١٥٠ تجربة في انواع شتى من العفن فاخفقا في ١٤٩ تجربة منها ونجحوا في
التجربة الاخيرة فقط اذ اتيج لهما تحضير الحامض الجلوكونيك الذي ساعد الاطباء في علاج
جلالة ملك الانكليز لما مرض من نحو ثلاث سنوات . وقد كان هذا العقار قبل ذلك نادر الوجود
غالي الثمن . ويتسنى لنا ان ندرك مبلغ خطورة هذا الاكتشاف اذا علمنا ان نفقات تحضير ذلك
الملح النفيس بطريقتيهما من زريعة العفن ، قد خفضت نفقات صنعه من ١٥٠ ريالاً للرطل
في الطريقة القديمة الى نصف ريال فقط للرطل الواحد بالطريقة الجديدة . وتعتبر جلوكونات
الجير التي نحضر من الحامض الجلوكونيك الذي ينتج من العفن بحسب طريقة وزارة الزراعة
الامريكية ملح الجير الفذ الذي يمكن حقنه في عضلات المرضى المصابين بفقر الجير في دماهم
من غير ان يحدث فيهم دمايل وقد يتيسر حقنه ايضاً في مجاري الدم او تناوله بطريق الفم
وقد نشرت وزارة الزراعة في هذا الموضوع تصريحاً فخواه أن أملاح الجير التي نحضر
من العفن لاطعم لها حقيقة . فهي من هذا القبيل تناقض جميع انواع تلك العقاقير

ومن مزايا العفن كثرة انواعه حتى ان الخبراء الذين قضوا أغلب أيام حياتهم يبحثون ويجربون الانتفاع به ، لا يستطيعون حصر اشكاله . والعفن من النباتات الغامضة الدقيقة جداً فلا يسع المرء رؤيتها بالعين المجردة . ويظهر العفن بمظاهر شتى وفي اماكن عدة يعجز الباحث المحقق عن ادراك كنهها

والوان العفن عديدة كالوان قوس قزح ودرجاتها كثيرة . فالعفن الاخضر الذي يفسد خبزك اذا خزنته زمناً طويلاً هو نفسه الذي يستخدمه صانعو الجبن المسمى روكفور اذن يعتبر العفن من الاشياء الغامضة التي ظاهرها يناقض حقيقتها لان صناع الاطعمة ينفقون آلاف الريالات كل سنة في سبيل دفع جوائح العفن التي تعتري مصنوعاتهم الغذائية التي ترسل بالسفن الى الاقطار النائية

ومنهم فريق ينفق ما هو اكثر من ذلك كل سنة في تغذية العفن لكي يولد لهم عاجلاً (بطيف النفقات) المواد التي يحتاجون اليها مما كانوا يحصلون عليه قبلاً على مدى الزمن بلا مساعدة العفن . ومن الغريب ان العفن مع قبح منظره ليس ساماً فقد قرّر الدكتور تشارلس ثوم الموظف في وزارة الزراعة في واشنطن ، وقد قضى سبعاً وعشرين سنة في دراسة العفن ، انه هو وغيره من الباحثين قاطبة لم يعثروا على نوع سام من انواع العفن وتأييداً لذلك ذكر حادثة شاهدها بنفسه وهي ان بعض الجياد علفت بزميز دب فيه الفساد فكانت تستطيه ولم يؤثر في صحتها مطلقاً

ومن العفن ضرب يأكل اللحوم . وقد يلجأ الكيماويون حين يرغبون في تربية زريعات العفن الى تغذيتها بالعصيدة النباتية (مادة غروية تحضر من أعشاب بحرية اسيوية تستعمل في تحضير الزراعات للأعمال البكتيريولوجية) والنشا وغيرها من العناصر الغذائية المألوفة . وقد تغذى بعض أنواع العفن بغيرها من الاصناف فتأكلها بارتياح فتسمن . وتسمى تلك الأنواع بالعفن المفترس

وطالما كانت الوسائل التي يتوصل بها الى وقاية الاطعمة عند نقلها من قطر الى آخر أو خزنها ، مثاراً دائماً لمخافة العفن اذ لم يكن مسدود الاطعمة الثمينة المحفوظة في العلب منذ بضع سنين يعرفون الا القليل من طرق وقايتها من الفساد حتى تصل الى الاسواق في الجهات المزمع نقلها اليها بالبواخر ثم بيعها فيها ، فرأت وزارة الزراعة الامريكية من عهد قريب أن على عائقها ارشاد صنّاع الاطعمة التي يتطرق اليها الفساد الى الوسائل التي تقلل ديبب العفن فيها الى اقل ما يمكن . وتقوم الوقاية بوسائل شتى فقد ظهر في إحدى الحوادث أن صنفاً طريفاً من العفن دب في وسق من البيض عند نقله من باخرة الى اخرى فأصبح مذكراً فتكبد منتج خسائر باهظة من فساد . ثم اخذ الباحثون يبحثون عن اسباب ذلك فتبين لهم أن

ذلك البيض نقل في اقفاص مصنوعة من خشب لم يجفف جيداً فعدل المنتج عن استعمالها واستبدل بها اقفاصاً مصنوعة من أجف أنواع الخشب
وحدث في ابان الحرب العالمية أن مليوناً ونصف مليون من أنخاذ الخنازير المملحة كانت مخزونة في ثغر بلطيمور فتعفن فأمرت الحكومة بتجفيفها عاجلاً فخففت فلم يقو العفن بعدئذٍ على اتلافها

ويرى علماء وزارة الزراعة في امريكا من درسوا أطوار العفن عدة سنين أن التلجات المنزلية ليست وسائل ممانعة من العفن منعاً حاسماً لأن تلك الطفيليات تتكوّن بسهولة عند درجة ٥٠ بمقياس فارنهایت (نحو ١٠° سنتغراد) . ومما لاشك فيه أنه قد اتضح في احدي الحوادث أن شحنة من اللحم البقري نقلت في باخرة فسرت فيها تلك الطفيليات وهي في مكان درجة حرارته ٢٢ فارنهایت أي تحت نقطة التجمد بعشر درجات

اذن التبريد بالتلجات انما يؤخر تكوّن العفن . ومع ذلك فقد ظهر أن زريعات من العفن عاشت مدة خمس وعشرين سنة بالتبريد تحت اشراف وزارة الزراعة الامريكية . وهذا مما يثبت جلياً أن العفن من الاشياء التي ظاهرها يناقض حقيقتها

وكل منا يعرف أن المواد الغذائية التي تدخر في الدار رديحاً من الدهر تتعفن ومع ذلك فكل من شاهد الهلام في أثناء تحضيره ووضع في احقاق (مرتبانات) زجاجية محكمة الاغلاق لابد أن يعجب من سريان العفن فيه وظهوره على قمة الحق وهو محكم الاغلاق . فيجيب العلماء عن ذلك بقولهم «ان طفيليات العفن موجودة في كل مكان فهي في الهواء والغبار وفي كل شيء يمكن ان يلامسه الغذاء فان شئت منع الفساد من التسرب في الهلام او غيره فعليك ان تعقم المرتبان جيداً وتسده سداً محكماً »

ومن الادلة على وجود طفيليات العفن في الهواء على الدوام انه قد حدثت في الولايات المتحدة حادثتان بمرض الربو ظهر بالفحص انهما نشأتا من التأثر بتلك الطفيليات التي تعيش في الجو . وقد وقف على احداث تينك الحادثتين الدكتور هاري برنطون الاستاذ في كلية جهورجتون الطبية فأعلنها الى الجمعية الطبية الاميركية . وكان المصاب في تلك الحادثة شاباً اقامت ست سنوات في دار رطبة عفنة، فقرر الدكتور برنطون ان الغشاء المخاطي في كل من انف المريضة المشار اليها وحلقها قد تأثر بنوع خاص من طفيليات العفن تأثراً شديداً نجم عنه ذلك الداء . ومع ان حوادث الربو التي منشؤها طفيليات العفن لم تزد على اثنتين في اميركا فقد حدثت في اوربا اصابات كثيرة من هذا القبيل . ولكن اطباء اميركا قد فطنوا لذلك المصدر المرضي فخصوه بنفاق عنايتهم عند علاج المصابين بالربو . وقد درس الدكتور برنطون ما لا يقل عن ستة عشر نوعاً من طفيليات العفن في اثناء المباحث التي قام بها في المرضى المصابين بالربو

ابتغاء حشر النقيب عن مصادر اصابتهم

ومما يؤيد ايضاً وجود طفيليات العفن في الهواء دائماً كون المصانع التي تصنع الجبن الكامبير تضع الجبن الطري في حجر التجفيف حيث يجتمع على سطحها العدد اللازم لذلك التجفيف من طفيليات العفن . ومن جهة اخرى فان التناقض الذي يحدث من طفيليات العفن يتبين جلياً من طريقة تحضير الروكفور وذلك لان هذا الصنف يجب حفظه بطفيليات العفن قبيل تجفيفه . وسبب ذلك الاختلاف في التفاعل الكيماوي الذي يحدث من طفيليات العفن أن الروكفور لابد أن يتخلله العفن من كل جانب بينما الكامبير لا يحتاج الا الى لعفن سطحه ، وان طفيليات العفن التي تستخدم في تينك الحالتين تختلف أجناسها بعضها عن بعض . ولذا يختلف مفعولها اختلافاً بيناً

غير أن طريقة تمييز أنواع طفيليات العفن بعضها من بعض التي يتبعها الباحث (اذا تعمسن عليه فصل كل طائفة عن غيرها) لابد أن يخترعها بنفسه . أما في وقتنا هذا فان التمييز يكاد يكون مقصوراً على المقابلة بين الطريقة التي تتبعها كل فصيلة على حدتها في نموها وتوالدها مخالفة بذلك غيرها وكل صنف من اصناف العفن تتولد منه أنواع ممتازة عن غيرها ، والخلايا النباتية كالعفن تنمو نمواً مشابهاً من كل الوجوه لنمو النباتات الكاملة النمو

اما وجود طفيليات العفن في الارض فقد اعترف به العلماء المخصصون وهم يقولون ان كل غرام من التربة يحتوي على عدد يتراوح بين ٥٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ ذرة من العفن . وقد تكون تلك الذرات بمثابة خلايا مفردة دقيقة جداً بحيث لا ترى بالعين المجردة ، او تكون على شكلة مستعمرات كبيرة تبلغ حجم أغلفة إهام الكف . اذن يكاد يكون من المستحيل على الباحث تقدير عدد خلايا العفن التي قد توجد في ذرة واحدة من ذرات التربة

ولذا كانت معضلة العفن من اعوص المسائل العامة لانه بينما يعتبر من اشد اعداء الانسان فانه يعد من وجهة اخرى من أخلص أصدقائه التي تنفعه نفعاً لا يقدر . ومع كون العفن من الاجسام الدقيقة جداً التي لا ترى بالعين المجردة الا ان بعض الطوائف التي تنتمي اليه للبيئة الطعم ومن مظاهرها التعفن الذي يعترى الاقشة فيتلغها ولكنها (الطفيليات) إذا استخدمت لهضم المواد الغروية الكيماوية التي تنشئ بها المنسوجات صانت القماش من التلف وعلى حين كون العفن سبباً لمرض من أشد الامراض ونعني به الربو (الذي يعيق حركة التنفس) زاه مصدراً لعقار ضروري لمقاومة امراض اخرى

ومتى حددت اصناف العفن التي تعد بالالوف تحديداً نهائياً اصبح من الميسور ليس مكافئة العفن نفسه فحسب بل تحويله الى منافع ينتفع بها العالم في وجوه لا يحلم بها اكبر الباحثين في هذا الزمان

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للادمن. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فتحن براء منه كاه. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف. وراعى في الادراج وعنده ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظر ك نظرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الانجاز تفضل على المطولة

اغترط كتاب الزهرة

صديقي محرر المقتطف الاغر

أخذت عن استاذي المفضل المسيو وليم مرسيه W. Marçais الغرام بتصحيح الكتب الادبية، فكان لي من ذلك مُستعة عقلية، تشعذ الذهن، ورهف الذوق، ولا ازال - وسأظل كذلك ما حييت - طالب علم، وما امتدّ بي الزمن الا وشعرت بالرغبة القوية في الدرس، وأرتني الايام اني عرفت من الأدب شيئاً وغابت عني اشياء وموضوع هذه الدراسة هو تصحيح كتاب الزهرة لابن داود الاصفهاني الذي نشره الدكتور لويس نيكول، نقلاً عن النسخة الوحيدة المخطوطة في دار الكتب المصرية. ويسرني في بداية هذا البحث أن اشكر ذلك المستشرق الفاضل مرة ثانية بعد اذ نوهت بفضله في جريدة «البلاغ» يوم ظهر الكتاب

ولنذكر في هذا التمهيد أننا سنعرض لجميع ما يظهر لنا من الاغلاط، لأن هذه هي السنة التي جرى عليها المستشرقون في التصحيح، ولأن من القراء من يحتاج الى التنبيه على الغلط وان كان يسيراً، وسنثبت ما لم نهتد الى كشفه لنمكن القراء من معاونتنا على تصحيح ما لم نهتد الى تصحيحه، فليس المجال مجال تعلم ومباهاة، وانما هو درس ننزهه عما يعرض لطلبة العلم أحياناً من الزهو والخيلاء. والله سبحانه ولي التوفيق. فارجو ان تفسحوا لهذا البحث مجالاً في المقتطف ولكم الشكر

١ - قال ابن داود في ص ٢ « وقد وقفت على ما وصفته من تصارييف الازمان، وخيانة

الاخوان» وضع الناشر ضمة على التاء في (وصفته) والصواب الفتح: لان المؤلف يتهم محبوبه بالتجني، بدليل قوله عقب ذلك: «واعلم - ايدك الله! - ان من عجيب ما تحضره الايام ظالم يتظلم، وغابن يتقدم، ومطاع يستظهر، وغالب يستنصر، ما الذي تنكر - ادام الله نرك، وبسط بالخيرات يدك! - من تغير الزمان وانت من مغيريه، ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه» الخ

٢ - وفي صفحة ٣ قال ابن داود «واعلم - ادام الله تأييدك - أن المرتضين من الاخوان معدومون في هذا الزمان، وانما بقي قوم ينتصفون ولا يُنصفون، ان بسطهم لم يهابوك، وان احشمتهم اغتابوك»

ضبط الناشر كلمة «المرتضين» بكسر الضاد على انها اسم فاعل، والصواب الفتح: لانها اسم مفعول

٣ - وفي الصفحة نفسها قال: «لا يزهي عليك عند حاجتك اليه، ولا يرغب عنك عند رغبتك عنه وحيفك عليه»

ضبط الناشر (يزهي) بالبناء للفاعل، وهي لغة قليلة، والارجح بناؤها للمفعول ٤ - وفي ص ٥ قال ابن داود: ثم ختمتها بذكر الوفاء بعد الوفاة، وبعد ان اتيت على ذكر الوفاء في الحياة. وارى ان تحذف الواو من كلمة (وبعد)

٥ - وفي ص ٧ قال بعض الظرفاء من أبيات

ليس أمر الهوى يدبّرهُ الرأي ولا بالقياس والتفكير
وعبارة (يدبّرهُ الرأي) محرفة، والصواب: «يدبّر بالرأي»

٦ - وفي ص ٨ وقعت هذه العبارة: «خرجت حاجباً فلما مرت بقاء تداعى الناس ألباً وقالوا: أقبلت للصقيل، فنظرت فاذا جارية كأن وجهها سيف صقيل.» الخ وكلمة «ألباً» من (تداعى الناس ألباً) محرفة، والصواب (لمسباً) جمع لمة. بمعنى جماعة، وهي كلمة لانزال مستعملة في لغة التخاطب، ويراها المطالع كثيراً في مؤلفات أهل الأندلس وخاصة في الذخيرة وطوق الحمامة، واهل مصر ينطقونها بالفتح. والفيروزبادي يفسرها بالصاحب أو الاصحاب في السفر، والمعنى ان الناس تنادوا أفواجا لرؤية تلك المرأة الصقيل

٧ - وفي الصفحة عينها قال الشاعر

والعين ملهى في التلاد ولم يقد هوى النفس شيئاً كافتقاد الطرائف
أثبت الناشر (شيئاً) بالنصب. وأوثر أن أقرأ (شيء) بالرفع، وقد وردت مرفوعة في رواية صاحب الحماسة

٨ - وفي ص ٩ قال العدیل

يأخذن زينتهن أحسن ماترى فاذا عططن فهن غير عواطل
واذا ختلن خدودهن اريننا حدق المها وأخذن نبل القاتل
وكلمة (ختلن) في البيت الثاني لها وجه ، فقد تكون الختل بالكسر وهو الكن ،
ورواية الحصري في (زهر الآداب) . واذا خبان خدودهن ... وهي أوضح
٩ - وفي ص ١٠ قال « عمرو بن الأبهيم » أثبت الناشر (الأبهيم) بالباء الموحدة .
والصواب ان يكون بالياء المثناة من تحت ، وقد ورد صواباً في فهرس الاعلام

١٠ - وفي صفحة ١١ قال الشاعر

اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم
رمين فأتقذرت القلوب ولا ترى دمماً ما ترى الا جوى في الحيازيم
الشاهد في البيت الثاني . وأحب أن أقرأ : (فلا ترى) في مكان (ولا ترى) ورواية المبرد
(فلم تجد) وقوله (دمماً ما ترى) محرفة . والصواب : (دمماً مائراً) من مار الدم يمور موراً سال
١١ - وفي هذه الايات

أصد وما الصد الذي تعلمينه عن ابنا الا اتباع العلاقم
والشطر الثاني محرف . والصواب ... عزاء لنا الا ابتلاع العلاقم
ورواية المبرد (شفاء) في مكان (عزاء) وقد آثرنا رواية الحصري لأن (عن ابنا) تحرف
عن (عزاء لنا) لا سيما اذا لاحظنا ان نسخ زهر الآداب حفظتها (عزاء بنا)
١٢ - وفي صفحة ١١ قال عمر بن ابي ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت اقبلت وجوه نهاها الحسن ان تتقنعا
وكلمة (نهاها) لها وجه ، ورواية القالي : (زهاها) وهي اجود
١٣ - وفي صفحة ١٢ قال كثير

اصابك تبيل الحاجبية انها اذا مارمت لا يستبل كليمها
لقد غادرت في القلب مني امانة وللعين عبرات سريع سجومها
اثبت الناشر كلمة (امانة) وذلك تحريف ، والصواب (زمانة) ومن معاني الزمانة الوجد الدخيل
١٤ - وفي ص ١٣ قالت ام حمادة الهمدانية :

اني لا أعجب من قلب يكلفكم وما يرى منكم برا ولا لطفنا
وضع الناشر كسرة تحت اللام من (يكلفكم) والصواب الفتحة على البناء للمفعول

١٥ - وفي ص ١٤ « اخبرنا ابو بكر محمد بن اسحاق الصاعاني »
اثبت الناشر (الصاعاني) بالعين المهملة ، والصواب ان تكون بالعين المعجمة ، نسبة الى

(صفانيان) كما نصر ياقوت في الجزء الخامس من معجم البلدان

١٦- وفي ص ١٥ قال ابن داود (فانه اذا كان كذلك كانا صاحبا المولدين مطبوعين على مودة كل واحد منهما لصاحبه). وعبارة (كانا صاحبا المولدين مطبوعين) تمر في لغة ضعيفة والارجح افراد الفعل

١٧- وفي صفحة ١٧ قال ابن داود: «ومع فساد الفكر تكون العدامة ونقصان العقل ورجاء ما لا يكون». وكلمة «العدامة» بالعين المهملة لها وجه، وربما كان الافضل ان تقرأ «الفدامة» بالفاء

١٨- وفي ص ٢٠ قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

تغلغل حب عتمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

اثبت الناشر (عتمة) بالثاء المثناة من فوق، والصواب (عتمة) بالثاء المثناة. وقد وردت كذلك في ديوان الحماسة

١٩- وفي صفحة ٢١ قال ابن داود:

سأعرض نفسي بمئة وشامة على كل ثاو في البلاد شاخص

ينبغي ان تقرأ «وشاخص» ليستقيم المعنى والوزن

٢٠- وفي الابيات نفسها قال:

امثلي يخون العهد عن غير حادث وما بي اذا زبى بحتف معافص

وعبارة «ما بي اذا زبى» طمست طمساً شنيعاً. والصواب «رمانى اذا ربى»

٢١- وفي ص ٢٢ قال يزيد بن الطثرية:

أعيب الذي أهوى وأطري جوارياً رين لها فضلاً عليهن بيتنا

وكلمة (الذي) محرفة، والصواب (التي) وهذا واضح

٢٢- وفي ص ٢٣ قال عمارة بن عقيل

ورمى الهوى منا القلوب بأسهم رمي الحكمة مقاتل الأعداء

ومن العجائب قتله لكرامنا وشدادنا بمكائد الضعفاء

اثبت الناشر «مكائد» مهموزة، والصواب «مكايد» لأن الياء في «مكيدة» أصلية

لازائدة، ومثلها معيشة ومعاش

٢٣- وفي ص ٢٤ قال الحسين بن مطر

اذا ما صرفت القلب في غير حبها اذا حبها من دونه يتعرض

وكلمة «اذا» محرفة والصواب: «أتى»

٢٤- وفي ص ٢٥ قال ابن داود: وان كان لم يدخل في الهوى مختاراً وانما وقع به

انظر اراً فقط اخطأ اذ سمي ما هو موجود في طبعه مفارق لنفسه باسم البلوى التي تعرض

له وتنصرف عنه. وكلمة «مفارق» محرفة، والصواب «مقارن»

٢٥ — وقال في الصفحة عنها تعليقاً على قول ابن مطير

خُبِكَ بلوى غير أن لا يسرني وإن كان بلوى أنني لك مبغض
«وإما إخباره بأنه لا يُسرَّ بأن يكون مبغضاً لها فكلام لو سكت عنه كان أولى . أو أن
يكفه أنه مبتلى عند نفسه بهواها حتى يريد مع ذلك أن يكون مبغضاً مائلاً إلى سواها»
وعبارة : «أو أن يكفه» محرفة ، وصوابها : «أو ما يكفيه»

٢٦ — وفي ص ٢٦ قال أحد الشعراء

ابن الذي بعداني ظل مفتخراً هل كنت إلا مليكاً جار إذ قدرا
لولا الهوى لتحاربنا على قدر وإن افق لك يوماً ما فسوف ترى
وعبارة : «ان الذي» محرفة . والصواب : «ياذا الذي» وقد شدد الناشر الدال من
(قدر) وهي غلطة مطبعية

٣٧ — وفي ص ٢٨ أنشد المجنون

عجبت لذاك عروة كيف أضحى أحاديثنا لقوم بعد قوم
وعبارة : «عجبت لذاك عروة» فيها تحريف ، والصواب : «عجبت لذكر عروة» وفي زين الأسواق
عجبت لعروة العذري أُمسى أحاديثاً لقوم بعد قوم
وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ذا أُموت كل يوم

٢٨ — وفي ص ٢٩ قال ابن داود : « فإذا كان النظر الصاحي إلى الصورة التي يستحسنها
طرفه مؤكداً للمنظور إليه المحبة في قلبه كان نظر المحب بعد تمكن المحبة له أحرى أن يغلبه على
لبه ، ويزيده كرباً على كربه » . وكلمة «النظر الصاحي» محرفة ، وصوابها : «نظر الصاحي»
ليقابل قوله بعد ذلك : «نظر المحب»

٢٩ — وفي ص ٣٠ قال الحسين بن الضحاک

وأتاني مفحّم بغرته قلت له إذ خلوت محتشماً
تحب بالله من يخصك بالحب فما قال لا ولا نعماً
وارجح أن كلمة : «وأتاني» أصلها : «وابأي» وكانت في المخطوط «وابأي» فلم
يفطن الناشر إلى الحذف المحذوف

٣٠ — وفي ص ٣١ قال علي بن الجهم :

ولما بدت بين الوشاة كأنها عناق وداع يشتهي وهو يقتل
أيسر من الدنيا فقلت لصاحبي لأن عجبت للموت أوحى وأعجل
جعل الناشر اللام حرف جر في كلمة «للموت» فوضع تحتها كسرة والصواب نطقها بالفتح
٣١ — وفي ص ٣٢ قال مسلم بن الوليد :

أراها فاطوي للنصيح عداوة وأحمد عقي ما جنى النظر الشزر
فلا سيما العذال فيها ملامهم ألت إذا لاموا أبيت ولي عذر
وكلمة « فلا سيما » ممسوخة ، والصواب : « فلا يسيء »

٣٢ — وفي ص ٣٢ قال ابن داود :

متى ياشفاء السقم سقمى منقضى إذا ما دواء كان للداء ممرضى
فبهات ما هذا على ذا يقلع أجل ولا، ولكن مدة العمر تنقضى
ترك الناشر كلمة « يقلع » من غير شكل : لأنه ارتاب فيها ، ولو تأمل لرأى الصواب :
« بمقلع » اسم فاعل من أقلعت عنه احتمى تركته

٣٣ — وفي ص ٣٤ قال الشاعر

تسلت عن ذكر الحبيب بغيره وملت اليه بالمودة والذكر
فا زادني الا اشتياقاً وحرقة اليه ولم املك سلوتي ولا صبري
وما الحب الا فرحة ان نكلتها باخرى قرنت الضر منك الى الضر
وكلمة « فرحة » بالفاء صوابها « قرحة » بالقاف. وكلمة « نكلتها » باللام صوابها « نكاتها »
بالمزة ، من نكأ القرحة قشرها قبل ان تبرأ
٣٤ — وفي صفحة ٣٥ قال الراعي :

بني ولوسي قد سئمتنا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معا
وكلمة « ولوسي » ممسوخة ، والصواب « وابش » واصل البيت في رواية الاغانى (ص ١٧١
ج ٢٠ طبع سامي)

بني وابش انا هوينا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معا
٣٥ — وفي الصفحة عينها قال ابو صخر الهذلي :

واني لا آتيها وفي النفس هجرها بياتا لاخرى الدهر ما طلع الفجر
و (بياتا) بالياء لها وجه ، ورواية القالي « بتاتا » بالتاء ، وهي اجود

٣٦ — وفي ص ٣٧ قال ابن داود : « قد تمنع الحب هيبة المحبوب من النيل الذي هو
الطف من الشكوى محلا في القلوب » ... و « اللطف » صوابه « الطف »

٣٧ — وقال في ص ٣٨ : « اذ لو كان الهوى قد استوفى منه حقه ، وتناهى به الى غاية بعده ،
لما كان اللقاء يزيد شيئا ولا ينقصه » وعبارة : (الى غاية بعده) صوابها : (الى ما لا غاية بعده)

٣٨ — وفي الصفحة نفسها قال : « وقد مدح الله تبارك وتعالى قوماً فقال (الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً) فلم يعجبهم تعالى بأن كان ذكره
بمضرتهم مظهرآ عليهم ما لم يمكن قبل موجوداً منهم »

وكلمة «لم يمكن» صوابها : «لم يكن» و «منهم» قد تكون محرفة عن «فيهم»
٣٩- وفي ص ٤٠ قال الحسين بن الضحاك :

ايا من طرفه ، سحر ويا من ريقه خمر تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر
وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر فان عنفني الناس في وجهك لي عذر
وقد اخبرني الدكتور نيكل انه استعان في تصحيح الكتاب بالشاعر ابراهيم طوقان
ليساعده على ضبط الشعر خاصة، اذ كان الناشر ليس من المتفوقين في علم العروض، فليت ابراهيم
طوقان عرف ان هذا الشعر لا يقرأ الا هكذا :

ايا من طرفه سحر ويا من ريقه خمر
تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر
وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر
فان عنفني الناس في وجهك لي عذر

٤٠- وفي ص ٤١ قال ابو صخر الهذلي

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفرج ما ألقى من إلهم
ما في الحياة اذا هيبت لنا خير ولا للعيش من طعم
ترك الناشر كلمة «هيبت» بلا شكل . وتلك طريقته فيما يرتاب فيه من الكلمات ، ومن
المحتمل أن يكون الأصل «ضننت» من الضن وهو البخل

٤١- وفي ص ٤٢ قال ابن الدمينه يخاطب امامه

وأنت التي أحفظت قومي فكاهم بعيد الرضا داني الصدود كتوم
و «كتوم» لها وجه ، ورواية ابي تمام «كظيم»

٤٢- وفي ص ٤٨ قال اعرابي

وليس خليلي بالمرجى ولا الذي اذا غبت عنه كان عوناً على الدهر
ولكن خليلي من يصون مودتي ويحفظني ان كان من دون البحر
كلمة «المرجى» بالراء وردت في الموشى «بالمزجي» بازاي المعجمة ، وصديقنا الاديب
محمود شاكر يقترح ان تقرأ «بالمزجي» وكلمة دون في البيت الثاني وردت في الموشى «دوني»
بفتحة على الياء وبها يستقيم الوزن

٤٣- وفي ص ٤٥ قال العباس بن الأحنف

واذا بدا سر اللبيب فانه لم يبد الا وهو مغلوب

وعبارة : «وهو» ينكسر بها البيت ، والذي أحفظه «والفتى مغلوب»

٤٤- وفي ص ٥٦ قال احمد بن أبي طاهر

مالي أقرب منك نفسي جاهدا واراك مني جاهدا تتباعد
قدمت دون أخيك من هودونه وعَسِدَتْ عندوه هو منك يعاند
وكلمة «منك» تبدولي محرفة عن «فيك»

٤٥ - وفي ص ٥٧ قال ابن داود: «هؤلاء كلهم ومن جرى مجراهم انما يتضاجرون على
خلافهم لنقلهم اياهم عن عاداتهم». وكلمة «لنقلهم» بالثاء المثلثة صوابها: «لنقلهم» بالنون
٤٦ - وفي ص ٥٨ قال بعض الأعراب

هجرتك اياما بذى العمر انني على هجر أيامي بذى العمر نادم
واني وذاك الهجر لو تعلمينه كاذبة عن طفلها وهي رائم
و «العمر» بالعين المهملة صوابه «العمر» بالغين المعجمة ، و «ماذية» صوابها «عاذبة»
وفد ورد البيتان صحيحين في ديوان الحماسة

٤٧ - وفي ص ٦٠ قال ابن داود: «فهؤلاء الذين قد ساء بهم الدهر بصحابهم فاستطابوا
للقام على حالهم». وكلمة «الذين» من زيادة الناسخ فليحذفها القارئ
٤٨ - وفي ص ٦١ قال أبو تمام

وفائن الألفاظ واخذ معتدل القامة والتقد
صيرني عبداً له حسنه والطرف قد صيرره عبدي
و «الطرف» بالطاء المهملة وصوابه «الظرف» بالظاء ، يريد الشاعر ان يقول ان خفة
روحه جذبت محبوبه اليه

٤٩ - وفي ص ٦٣ قال احد الشعراء

وقصيرة الأيام ود جليسا لو نال مجلسها بفقد حميم
صفراء من بقر الجواء كأنما حفن الحياة بها وداء سقيم
والبيت الثاني عجزه محرف . وصوابه كما في الحماسة

صفراء من بقر الجواء كأنما ترك الحياة بها رداع سقيم
٥٠ - وفي ص ٦٤ قال العرجي

لقيت به سرّاً ينظرن موعدي وقدماً وفت مني لهن المواعد
وعبارة «سرّاً ينظرن» محرفة ، ولعل الصواب . «سرّاً تنظرن»
٥١ - وفي الصفحة ذاتها قال أحد الشعراء

ومجلس لذة لم نقو فيه على شكوى ولا عذر الذنوب
و «عذر» صوابه : «عدّ»

زكي مبارك

رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الأميركية

مكتبة المقتطف

ضحى الاسلام

تأليف « احمد امين » الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية — أخرجته لجنة الترجمة والتأليف والنشر بمصر من اجل الكتب العربية التي أخرجت للناس في هذا العام كتاب « ضحى الاسلام » ، وصل به صاحبه الاستاذ « احمد امين » ما كان بدأ في كتابه « فجر الاسلام » ، وبه نفع المؤلف غلة شتى بها أدياء هذا العصر زمناً طويلاً . ويحسب الي أن الاستاذ « احمد امين » رجل قد أوتي من الصبر والجسّد والمثابرة وقوة العزم ونشاط الفكرة نصيباً وافياً سابق به المجتهدين من اهل عصره حتى سبقهم وأربى عليهم . وعامة الناس لا يعرفون ماذا يلقي الباحث في التاريخ العربي والادب العربي من عناء وعنت يبلغان منه الجُهد . فالباحث إن لم يوت مثل ما أوتي هذا الرجل انقلب الى نفسه بأخس النصيبين وأوكس الحاجتين . ذلك بأن التاريخ العربي خاصة قد انفرد دون ما دون من تواريخ الامم الخالية بالنقص في ناحيتين : اولاهما ، انظار آثار جاهلية الجزيرة العربية في اليمن والعراق والحجاز والشام وحُفُوت أخبارها وقلة ما دون منها على تشتهه في كتب الادب وكتب التاريخ ، والاخرى ، اعتماد المؤرخ العربي على الرواية فلم يعن بالتعليق عليها وتوضيح ما غمض من اسرارها . ونعتقد انهم كانوا يستطيعون ذلك لو تعمده ، وقد تبين هذا لنا بما نراه لهم من القول في ترجيح رواية على رواية اذا التبس الامر . وثالثة لا ذنب للتاريخ ولا للمؤرخ فيها ، تلك هي ضياع اكثر الكتب العربية التي ألقت في عصر الرشيد والمأمون او عصر تدوين العلم . وابتلينا نحن من بعد ذلك بيلتين : اولاهما أن لم ينتدب احد من اهل هذه اللغة الى التنقيب عن آثار هذه الامة العربية التي طويت في ارضها بين يمنها وشامها وحجازها وعراقها ومصرها ومغربها وما سوى ذلك ، والاخرى ، أن لم يخف احد إلى دراسة كتب العرب ولم شتاتها واستخراج ما خفي من اساليب الغرب واحوالها وعاداتها في الاجتماع والادب واللغة حتى جاء في هذا العصر أصحاب الالسننة الاعجمية من دول اوربا بأقوالهم في تاريخنا وأدبنا وديننا بالكلام الجيد تارة ، والفهم الملتوي والتعليل الفاسد تارة اخرى

فأنت حين ترى « احمد امين » يبتدر صادقاً الى هذا التاريخ فيتقلب فيما بقي من دارسات

ملأه فيها وصلنا من كتبه ما شاء الله ان يتقلب ثم يخرج فيقص عليك من اخباره وقد نفّس عنها غبار القرون وأحداها ، وما إن ترى من اهل هذه اللغة الا نائماً او متيقظاً كأنهم او صاحب مكيدة مخدوعاً عن رأيه وقلبه ، والا اعجمي اللسان والقلب يلتوي فهمه ولا يستقيم غرضه يتعرض لتاريخ هذه الامة فيصيب ويخطئ ، ويظهر فضلاً ويدس مكيدة... أنت حين ترى هذا وترى ما في دراسة التاريخ العربي والادب من عناء وعنت لا يتأتى لك بعد إلا ان تحمده وتشكره ما أسدى الى امته من جميل . هذا وقد وضع المؤلف كتابه في أربعة ابواب في كل باب فصول ، وفي الجزء الذي بين ايدينا الباب الاول منه : في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي من (سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ) واجتزأ منها بما له اثر قوي في العلم والفن . والباب الثاني : في الثقافات المختلفة دينية وغير دينية . وأرصد باب « الحركات العلمية » وباب « المذاهب الدينية » ليجعلهما من نصيب الجزء الثاني الذي وعد بتقديمه الى القراء قبل ان يفرغوا من قراءة هذا الجزء . فوفاء بحق هذا الكتاب الجيد نبذل جهدنا في الكلام عنه والتعرض لما فيه موجزين ان شاء الله وبالله التوفيق

نحرر القول في الاحوال الاجتماعية والعلم والفن واثرا احدها في الآخر من أعسر ما يتعرض له الكتاب فان الجليل من أحدها له من التأثير مثل الذي لحقيره ، وان من صغير احوال المجتمع لما يزيد في العلم والفن او ينقص منهما ، وان من حقير العلم والفن لما يزيد في احوال المجتمع او ينقص منها اذ تتراقد هذه الثلاثة . حتى اذا ما اردت ان تعرف ايها الذي اثر تأثيراً قوياً أو ضعيفاً وايها الذي تأثر التوى عليك المسلك ووقعت في الحيرة واضطربت اضطراب من ضل به دليله . فن اجل ذلك ما ينكسر كثير من المؤلفين عن تناول هذا الا في الندرة . وغاية ما يمكن المؤلف فيعمل ليتلافى هذا النقص وخاصة في التاريخ العربي ان يسقط اخبار الحياة الاجتماعية من قصيدة لشاعر او كلمة لخطيب او وصف او قصة فيؤلف بينها ثم يمنحها من خياله وفكره ما يتمم به النقص الذي وقع فيها ويضع عليها من زينتها ما يظن انها كانت تتجمل به ثم يعرضها لك بعد عرضاً خلاً باً رائعاً حتى لتحس وانت تقرأ ما كتب انك قد انتقلت من عصرك الذي انت فيه الى عصر مثل هذا العصر العباسي الذي تناول « ضحى الاسلام » ، وانك تعيش في جو من الحياة العباسية فيها سحرها وجمالها ولها روحها وجمالها ويرتق اليك المؤلف خلال ذلك بما يحقق من علاقة هذا الاجتماع بالعلم والفن وابن أركل في صاحبه غير تاركك فتنسى انك تعيش في ديار الدولة العباسية . فاذا أراد ان يحقق القول في موضوع بعينه كالرقيق مثلاً افرد له خاصة ما يخرج فيه رأيه بأدلة وبراهينه وحججه وما ينتهي اليه من اخباره زينتها وصحيفها

ونحن نعتقد ان المؤلف قد قصر في هذا الباب على جلاله ما كتب فيه . وان القيد الذي

وضعه من الاجزاء بما له اثر قوي . . . في العلم والفن من الحياة الاجتماعية قد اضع
 بهجة هذا الباب . وقد كان يستطيع ان يحتفظ بشرطه هذا مع شيء من التوسع في صفة
 بعض بلاد الدولة العباسية وأهمها بغداد حتى يحس القارى وكأنه ارتحل فوافى بغداد
 يرى من اطرافها الاسوار والقباب العالية على ابوابها بينها الابراج عليها حراسها
 وحجابه في ازيائهم وملابسهم . والتماثيل على رؤوسها تلوح وتلمع ، حتى اذا دخل بغداد
 رأى القصور بين البساتين والانهار فاذا دخلها رأى الدهاليز والمعمرات والمخترقات والصحون
 فيها الصور الفاتنة على اعمدة الرخام ، والمجالس فيها الفرش الجميلة والابسطة المطرزة بالالوان
 الغريبة ، والشعر المنقوش على اطرافها واوساطها . ورأى صور الفيلة والخيول والجمال والسباع
 والطير على ستور الديباج المذهبة . ورأى الخليفة في ابهته وجلاله ومن يحيط به من حاشيته
 من اجناس الامم في اللباس العجيب . ورأى العلماء والشعراء والحجاب تروح وتغدو ، ورأى
 زي القضاء وزي الشرطة وزي الكتاب وزي الوزراء وزي الاعراب من الشعراء وهم ينشدون
 مدحهم في صوت البدوي الجافي مع حلاوة المخرج وحسن الاداء . ورأى شعراء الحضرة يمدحون
 بالشعر فيه الغزل وفيه الحكمة وفيه السياسة والتحريض والدعوة الى التوفيق او التنبيه
 الى الدسيسة . ورأى الجدل في مجلس الخلافة بين العلماء من فقهاء ونحويين ولغويين ورأى
 اولياء العهد في ملاعبهم ومجالس علمهم . والندماء في لباس الشراب والمغنين في الاقنية
 الخراسانية بأيديهم المزاهر والاعواد ومن كل آلات الطرب بينهم القيان الجميلات والاماء
 الادبيات والشراب يدور به الولدان والفتيات بزينةن وحسنةن فاذا خرج الى البساتين رأى
 الافراس المطهمة عليها الذهب والفضة في ايدي الشاكريين (السواس) عليهم البزة الجميلة
 ثم رأى حير الوحش (حديقة الحيوانات) تخرج الوحوش منها تقرب الناس وتاكل من
 ايديهم ، والفيلة المزينة بالديباج والوشي مع اصحابها من فيالة السند ، والسباع بأيدي السباعين
 في رؤوسها واعناقها السلاسل والاغلال ، ورأى البرك من الماء فيها مجالس للخليفة بالوانها
 وصورها وجمالها واخرى من الرصاص القلعي تتوهج في شعاع الشمس كالفضة المجلوة والنخيل
 من حولها ملبسا بالشبه المذهب وأشجار الاترج عليها الزينة تنفح عطرها وشذاها . والاشجار
 المصنوعة من الذهب عليها عصافير الفضة تحركها الريح فيخيل اليك من حسناتها اشجار
 حية . وتخرج الى اسواق بغداد يفوح طيبها ومسكها ومندها وبخورها وصندلها ويتلا
 الذهب والفضة في نواحيها وأرجائها والنساء والقيان والمغنيات والشباب والشيخ والفقر والغنى
 وأهل التصوف ومن كل امة وجنس من رومها وغربها وفرسها وسودانها وحبشها وظرف
 اهل بغداد واحاديث مجانها وخلعائها وتنادر ظرفائها والاعرابي في صوفه والحضري في خزم
 وحريره والنعال السبئية بأصواتها وألوانها ويسمع من وراء الجدران الحان الجواني وهن
 يتغنين في بيوتهن ويضربن بالدف والعود والمزهر والناي ، وليل بغداد والسمر والغناء والموسيقى

والمساجد والأذان وأصوات التكبير ودوي قراء القرآن في جوانبها ومواعظ الوعاظ وبكاء الناس من هول يوم القيامة وأهل الحديث والمعتزلة والفقهاء والأمروء بالمعروف والناهون عن المنكر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولا يفرغ منه . والذي ذكرنا هو من احوال الاجتماع في بلاد الدولة العباسية وقد اثرت في العلم والفن وأرفها العلم والفن فلو ان المؤلف عرضه عرضاً خلافاً فاتناً لما ترك من بعده مقالا لقائل

ومثل هذا العرض لا بد فيه من تضافر امرين . الاول : كثرة المادة التي يريد ان يبني عليها المؤلف كتابه ، وتهيتها قبل البدء ، ومعرفة المواضع التي يجب ان يكون فيها التحقيق العلمي وما هو بسبيله من اثبات اثر الاجتماع في العلم والفن او أثرها فيه بحيث لا يفسد جفاء التحقيق جمال الوضع وحسن الوصف . والثاني : قلم سيال عفيف متزن يمد خيال واسع محيط وفكر متوقد لا يخبو كالشعلة من النار كلما احتطب لها ازدادت توهجاً واشتعالاً حتى رسل الكلمات في تيار جارف من القوة والرغبة ليحطم بذلك ما بين القارئ وبين العصر الذي يدرسه من أسوار وحوائل . وقد تهيأ الامر الاول للاستاذ « احمد امين » كما دلنا على ذلك كتابه ، اما الآخر فكان في به شيخ محنك قد حطمت السن يضع الكلمة بعدها الكلمة في هدوء ووقار . لانه لا يخرجها الا بعد ان يزنها في الميزان المهيأ من تجاربه وما لقي من احداث دهره فن اجل ذلك ماتجده كثير الاستعانة بما ليس للقارئ به حاجة كقوله في المواضع الكثيرة « في عصرنا الذي نورخه » فكانه يخشى ان يكون قارئه قد نسي انه يقول ما يقول عن العصر العباسي

وبعد فهذا اهم ما نقوله عن الكتاب من جهة وضعه وعرضه وبقيت اشياء قد عرضت لنا حين القراءة على ضيق الوقت والتباسنا بالعجلة وهذا حين نحقق ما عرض لنا من ذلك

١ - نقل المؤلف من رسائل الجاحظ في ص ١١ قوله « من ذلك : أن أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات ، والأغوار . واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات وبنات الحبشيات » ووضع نقطة الفصل بعد « الأغوار » ثم يدل على أنها معطوفة على « الهنديات وبنات الهنديات » وعلق على الأغوار بقوله « العورة بالضم : بلدة عند باب هراة ، وبلاهاة ، ناحية بالعجم » والصواب « والأغوار واليمن أشهى النساء عندهم ... الخ » يعني أهل تهامة والحجاز واليمن « قال الأزهرى : الغور : تهامة وما يلي اليمن . وقال الباهلي : كل ما انحدر سبيله مغرباً عن تهامة فهو غور » وأهل الأغوار واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات لكثرة ورودهن عليهم لقرب الحبشة منهم . وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه في تفضيلهن على غيرهن أن « هن أئني أرحاماً » أو كما قيل

٢ - ذكر المؤلف في معرض الكلام عن خطأ الأعراب وكذبهم في اللغة ص ٣٠٠
 «أكاذيب الأعراب» وعنى بها ما يختلقونه في اللغة وذكر أن أبا العباس المبرّد عقد باباً في كتابه
 الكامل سماه «أكاذيب الأعراب» والصواب أن الباب الذي عقده أبو العباس في الكامل هو
 «تكاذيب الأعراب» ج ١ ص ٣٥٦ وعنى به ما يترسّدون فيه من الكلام وما يختلقونه من
 الاوهام كالذي قال أبو عبيدة في قول الراجز

«أهدموا بيتك لا أباً لكاً وأنا أمشي الذألي حوالكا»

هذا يقوله الضب الحسّس (وهو ولد الضب حين يخرج من بيضته) أيام كانت الأشياء
 تتكلم... وكالذي نقله صاحب «ضحى الاسلام» في ص ٣٠٧ عن كتاب الكامل نفسه من قوله
 «تكاذب أعرابيان.... الخ»

٣ - قال المؤلف في ص ٣٠١ «وألّف ابن خالويه كتاباً سماه «ليس في كلام العرب» بين فيه
 ألفاظاً تستعمل ولم يصحّ سماعها من العرب» وليس الأمر كذلك فالكتاب بين أيدينا وقد
 طبع سنة ١٣٢٧ هـ بمطبعة السعادة. ذكر فيه ابن خالويه ما شدّ عن القاعدة من كلام العرب
 وابتدأ كل فقرة بقوله «ليس في كلام العرب» وبها سُمّي الكتاب. وذلك كقوله مثلاً في
 ص ٥ «ليس في كلام العرب، أفعل فهو فاعل إلاّ اعشبت الأرض فهي عاشب، وأورس
 الرمث فهو وارس، وأيفع الغلام فهو يافع، وأبقت الأرض فهي باقل، وأغضى الرجل
 فهو غاض، وأحلّ البلد فهو ماحل». ولدار الكتب في فهرستها خطأ أكبر من هذا فقد
 وصفوا هذا الكتاب بقولهم «هو كتاب في الكلمات التي دخلت على العربية من الفارسية
 وغيرها وليست منها»...!! وليس في الكتاب كلمة فارسية ولا (ملطية)

٤ - في ص ٣٩٥ تحريف في آية من كتاب الله وقعت هكذا: ألم تر إلى الأبل كيف
 خلقت. والآية من سورة الغاشية «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ»
 ٥ - قال المؤلف في ص ٨٣ «وقد كانت المملكة البيزنطية تحرّم على من ليس نصرانياً
 أن يملك رقيقاً نصرانياً، ولكن المسلمين أباحوا...!! لليهود والنصارى أن يملكوا
 الارقاء ولو كانوا مسلمين». ولاندرى كيف كان ذلك وكيف يكون؟ وأي دليل وقع للمؤلف
 على هذا القول؟ والله تعالى يقول في سورة المائدة «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
 الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
 فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» وكيف يبيح المسلمون ذلك، ومن
 الذي أباحه؟؟

٦ - من أهم مآثر المؤلف مما له أكبر الأثر في العلم والفن والاجتماع أيضاً كثرة
 الورق في بغداد حين اتوا به من الصين وغيرها وكانت له تجارة واسعة جداً في العصر العباسي،

فقد انتشر الوراقون في بغداد وكثرت عندهم الكتب وكثر النساخ والكتّاب وسهل على الناس ان يقرأوا الكتب بالكراء من دكاكين الوراقين . ولقد احدث ذلك من النهضة في العلوم والفنون اكثر مما احدث الرقيق وغيرهم في بلاد الدولة العباسية . ولعل المؤلف آخره الى حين القول في الحركات العلمية « فهو به اشبه » او كما يقول . هذا ، والكتاب لا يزال بموضع العناية فان اتسع الوقت لنا في تحقيق ما رأينا فيه عدنا اليه والله المستعان .

محمود محمد شاكر

المراحل

سياحات في ظواهر الحياة وبواطنها

بقلم ميخائيل نعيمة — ١٤٤ صحيفة من قطع المقتطف — طبع بمطبعة صادر بيروت — ويطلب من المؤلف رأساً في بسكتنا (لبنان) ومن المكاتب المعروفة ، وسعره ٧٥ غرشاً سورياً

تخرج المطابع العربية عشرات الكتب يومياً ، ومن هذه العشرات ما قد يكون لكتاب واحد ، ثم تكرر الايام فيتناسى القراء تلك الكتب ويتجاهلون مؤلفيها فينسج النسيان عليهم حجاباً كثيفاً

غير اني لا اعجب الاً من مؤلف يخرج كتاباً واحداً فلا يذكر اسم الكتاب حتى يكون اسم المؤلف مقدمته ، او يذكر اسم المؤلف فلا يكون عنوان الكتاب الاً لقبه

ذلك هو ميخائيل نعيمة مؤلف الغربال ، ما اذكره الاً واذكر الرأي السديد ، والفكر الجلي ، والمعنى الحي ، والاسلوب القوي ، والقلب النابض بالحياة ، والنظرة المتطلعة الى الحقيقة المجردة من وراء الحجب الكشيفة . وهو في كتابه الثاني « المراحل » ابعثر مرمي ، وأخذ بصيرة ، فهو يتغلغل فيه الى لباب الحياة فيستخلص الحكمة منها كما هو في مقالات : « ثلاثة وجوه » و « الى الجندي المجهول » و « حبتان من القمح » و « المزابيل » و « موعظة الغراب » وغيرها . وفي مقاله « الفوضى الادبية » ردّ قوي على الجامدين بإزاء نظام الحياة الذين يرون الفوضى في ان يكتب الناس بأساليب غير ما القوا ، وأن يعبروا عن عواطفهم في قوالب غير قوالبهم « ولو فكروا لفقهوا ان ما يدعونه « فوضى » ليس الاً نتيجة لازمة لعلل كثيرة سبقها وانه مظهر من مظاهر النظام السرمدي الشامل . وانه ، وان يكن خروجاً على انظمتهم ليس خروجاً على ذلك النظام الذي لا متمرّد عليه ولا عاص»

ولميخائيل نعيمة زعّة الى الروحانيات يبدو أثرها قوياً في مخاطبته الوجوه الثلاثة : وجه بوذا ، ووجه لاوتسو ، ووجه يسوع . فاسمع صداها في نفسي وهو يناجي الوجه الاول قائلاً : « غوثاً ما بوذا ! ياساكن الزفانا ! الابيئت لي انا المسمّر بالارض ، والحامل من همومها قل بحورها وجبالها ألا بيئت لي كيف اقف على العتبة الفاصلة بين الهم والحقيقة كما وقفت

انت على عتبة مخدع زوجك وأم بكرك وقد نامت تحت لحاف من الازهار ، وبكرك وبكرها ملتصق بصدراها ، ومن دون ان تدنو منها قلت : هوذا رباط جديد قوي يجب ان اقلك منه كذلك . وأدبرت وجهك الى الليل ورحت هائماً في الآجام تطلب الطريق الى النرفانا وعطشه الى «الذات العالمية» في مناجاته هذه هو شوقه الى طريق لاوتسو ، الى «الطاو» إذ يناجيه : «إيه لاوتسو ! يا تقيض الناس ومعلم الناس ، ألا ازرع في نفسي الطاعة الطامحة ، الحاقدة الناقصة ، المستهزئة المستنكفة ، العاتية المستعبدة ، الصاعدة الهابطة في زبد امواج الرغائب والمنى ، ألا ازرع فيها حبة من بذار قناعتك ، وحبة من بذار محبتك ، وحبة من بذار حريتك ، وحبة من بذار وداعتك ، وحبة من بذار تساهلك ، وحبة من بذار سلامك وحبة من بذار طمانينتك !!»

ويرى الاستاذ نعيمه انه اذا كان في العالم فساد «فالفساد ليس الا في اعتقاد الناس أنهم فاسدون وأن في الكون ما هو معوج وفي قدرتهم تقويمه»

واسمعه في اعماق نفسي ينشد «الآب» وهو يناجي وجه يسوع هاتفاً : « ايها القائل : ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فانهم يحبون ان يصلوا قائمين في المجمع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس ... » علمني كيفما نخت في اذني اصوات هؤلاء المرائين ، وأسمع صوتك قائلاً : « حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً » فأفهم اني إن شئت العودة الى «الآب» فعلي أن أضع الآب في قلبي أو قلبي في الآب »

وهذه النزعة العلوية التي تنزعها روح أديبنا هي التي تجعله يرى الفرق بين الشرق والغرب « منحصراً في نقطة واحدة جوهرية وهي ان الشرق يستسلم لقوة أكبر منه فلا يحاربها ، والغرب يعتد بقوته ويحارب بها كل قوة » « وان الشرق اقرب من الحقيقة بإيمانه من الغرب بفكره وعلمه وبرهانه ... » وفي نظره « أن القائل من كل قلبه : «ولا غالب الا الله» لا يحكم وأكثرها نينة روحية من القائل : «ولا غالب إلا أنا» ويرى ان الغرب أحوج الى مدرسة الشرق من الشرق الى مدرسة الغرب

لهذه النزعة وهذه الروح الوثابة الى نشدان الذات العالمية مع بؤده ، والطاو مع لاوتسو والآب مع يسوع زى ميخائيل نعيمة حاملاً قلبه متطلعاً الى النور البهي الذي يرى روحه آفاق إشعاعه ليعود مسرعاً من نيويورك ذلك «التنين المتعدد بين نهري نهرين ، الفاغرة ليشرب البحر ويبتلع البر دون أن يرتوي يوماً أو يشبع » يعود مسرعاً الى صنين ليستلقي «في الأصيل على صخرة دهرية بيضاء فيها نواتي مسننة كالخراب تتخللها منبسطات ماسية ككف العذراء ، من (ورائه) صخور تتعالى الى السماء وتطرح (عليه) سترًا من الظل ناعماً كالحبة مؤنساً كالرجاء طابقاً بالسلام والطمانينة كالأيمان .»

وكأني أناجيه وهو مؤول وجهه عن نيويورك الى بسكنتا (لبنان) بما فاجى به لا وتسو:
 «أحب وجهك الكالح — وجه المعلم لا يفهمه تلاميذه» ، وأحب وجهك الشاحب — وجه
 العاشق لا وصول له الى معشوقه ، وأحب وجهك الحائر — وجه من وجد الطريق فخامره
 منك بمقدارته على قطعه . غير اني أحب أكثر من ذلك بما لا يقاس وجهك الذي أدركته عن
 الجندي على حدود ولاية «تشو» وصوبته نحو الأفق البعيد فكأني بولاية «تشو» عالم
 الحس والشهوات . وكأني بك حين تحطيت حدودها تحطيت حدود هذا العالم تاركاً خلفك
 ربوات من الديدان البشرية تدأب التهار والليل في حفر الأرض كأنها تتحصن في حفرها
 من الموت والعتاك ، وما حفرها إلا قبور لها ، وكأني بالأفق الذي أدركت اليه وجهك
 ملكوت الطاو . وكأني بوجهك إذ ذاك شعلة من نور الطاو فلا أثر لحرقه فيه أو للوعة .
 أولحن أو لفرح . أو لأمنية أو لشهوة . أو لخير أو لشر . وكأني بروحك القدوسة تسير
 حتى الساعة في سبيلها الثبير القويم الذي لاحداً لطوله ، ولا قياس لعرضه وفي سيرها محبتها
 فنهنيثاً لك !»
 حسن كامل الصيرفي

من الارز الى الزوفا^(١)

بحث في اساطير النبات في فلسطين
 بقلم المسز كروفوت والمسز بلدنسبرجر

هو كتاب بالانكليزية بقلم السيدتين الفاضلتين المسز كروفوت والمسز بلدنسبرجر فيه مباحث
 جليلة في نباتات فلسطين وما جاء فيها من اساطير العامة من اهل البلاد وما قال فيها القدماء .
 والكتاب مبوَّب احسن تبويب فقيه فصل في السنة الزراعية وآخر في الخبواب والغبوب والغبوب
 والزيتون وآخر في الاطعمة البرية منها البقول اي الخضراوات واحرار البقول اي ما يؤكل
 منها نيئاً والجذور والقطاني كالحصص والقول والجلبان والبيقية والعدس والبازلا
 فمن البقول البرية الخسبازي والبقعيت ولشان الثور واللوب والعكوب . ومن احرار
 البقول اي ما يؤكل منها نيئاً الخرفيش وخرفيش الحمير والخويرة والقطف والحمص
 والحمصيص والخرشوف البري والطرخشقون اي سلطة الزهبات والمهندبة والخس البري
 والقرصنة . ومن الجذور النمسير والبلبوس وثوم العرب
 وفيه فصل في الوقود منها البلان والريم والصوفان . وفصل في النباتات التي اسمائها
 غريبة او وارد في امثالهم منها عين البس والخطمي وسراج القول والخلينة وشعر العجايز وهو
 الكشوث وابرة العجوز وقرنبيط الدجاج والصبير والخروع والحدق والعشعر والحنظل

(1) From Cedar to Hyssop. A Study in the Folklore of Plants in Palestine by
 Grace M. Crowfoot and Louise Baldensberger London: The Sheldon Press.

ثم الازهار الطيبة الريح كالخندقوى والورد والحناء والنباتات الشائعة في عمل الاصباغ كالنيلة والنفوة وفي عمل الصابون كعرق الحلاوة والقلبي

وفصل في النباتات الطيبة ويرد منها الزوفا اي الزعتر والمرمية اي القصبين والزعتر الفارسي والجعندة والشيبة والمحمم والزقوم والقرطم والكزبرة والكثون والشمر والشاهترج وعرق السوس والطيون وهو الطباق والبابونج والخرمّل والمصطكى والصنوبر والقضاب والرجلة وهي البقلة الحقاء والخامشة والشذاب اي الفيجن والسّمّاق والمثنان والقراس والرشاد وغيرها . وفصل في الاشجار المقدسة منها الارز والبسوط والميس والمان والسيدر والطرفاء والخرّوب والنباتات السحرية منها الفسّاح او بيض الجن وكف العذراء وزهرة البراة ويتخلل كل ذلك اشعار عامية وحكايات وامثال . مع وصف النباتات وصفاً دقيقاً . والكتاب مزين بصور النباتات بقلم المسز كروفوت والصور كلها حسنة جداً . ولما كان هذا الكتاب النفيس يتعذر وصفه ونقده باسطر قليلة رأينا ان نورد له فصلاً خاصاً في الجزء القادم من المقتطف بقلم العلامة الفريق امين باشا المعولف

محمد — حياته ومعتقده

Tor Andrae, Mohammed. Sein Leben und sein Glaube. Göttingen, Vandenhoeck u. Ruprecht, 1932, 160 S. 8o.

اكثر المشتغلين بدرس السيرة النبوية في الغرب كانوا — ولا يزالون — من اللاهوتيين وهو أمر يقتضيه التخصص واقسام التعليم ودرجاته عندهم . اذ أن الموضوع بطبيعته اقرب الى قسم اللاهوت منه الى سائر الاقسام . وقد تطور هذا الموضوع بتطور علم اللاهوت . صار اليوم علم النفس وعلم مقابلة الاديان من المواد الضرورية في قسم اللاهوت بالجامعات الكبرى وظهر أثر ذلك في درس السيرة النبوية . والكتاب الذي نحن بصدده خير مثال لذلك . صاحبه استاذ بجامعة انصلا بالسويد ومستشرق معروف يعد من الاختصاصيين في « حياة محمد » ظهر له سنة ١٩١٧ كتاب بعنوان « محمد كما ترى أمّته وتعتقد » وآخر سنة ١٩٢٥ بعنوان « منشأ الإسلام والمسيحية » وكلاهما باللغة الالمانية وله غير ذلك رسائل ومقالات تتصل بالموضوع نشرت في مجلات علمية مختلفة

وهذا كتابه الاخير ظهر منذ بضعة اشهر وهو يحتوي على مقدمة ومبعة فصول هي: — (١) بلاد العرب عند ظهور الإسلام (٢) من الطفولة الى نزول الوحي (٣) رسالة محمد الدينية (٤) في الوحي (٥) الخصومة مع القرشيين (٦) حاكم المدينة (٧) شخصية محمد وللكتاب ميزات كثيرة منها: —

(١) شدة الاحتياط في قبول النتائج المبينة على الابحاث اللغوية (ص ٢٠ و ٣٤) وهي

ميزة يُقدَّرُها كل من له الملم بأساليب قدماء المستشرقين (٢) اعتبار القرآن المصدرَ الرئيسي للسيرة النبوية ويظهر ذلك في كل فصول الكتاب (٣) ان الكاتب يعتبر الاسلام «قوة روحية وبذرة حية لا مجموعة تعاليم ونظام من الشعائر الدينية فحسب» (ص ٨) وان تلك القوة الروحية هي ايمان محمد الشخصي (ص ٨) فهو لا يخوض في مسأله «الابتكار» وحظ الاسلام منه الخ والفضل في ذلك لعلم مقابلة الاديان

في الفصل الثالث تظهر مقدرة الاستاذ كلاهوتي عصري ومستشرق ممتاز خصوصاً عند بحثه في مسألة القضاء والقدر واثباته انها — كعقيدة دينية — ليست بضعف وعبودية بل قوة وحرية . والفصل الرابع والسابع يعدان آية في دقة البحث وتحري الانصاف والبراعة في تطبيق نظريات علم النفس الحديث

ط . خميري

بجامعة همبورج — المانيا

رسالة تاريخية

عن مستشفى الاسكندرية الاميري — وضعها الدكتور عبد الرحمن عمر مديره مسبقاً
طبعت بمطبعة التعاون بمصر

«أفت نفسي بعد ان اسندت الي إدارة مستشفى الاسكندرية الاميري الى ان اعرف شيئاً من تاريخه وحفزي لذلك ما وجدت في انحاء من مظاهر أثرية قديمة كاعمدة كاملة وغير كاملة من الجرانيت او الرخام ومن مباني في جوف الارض ، ثم ما وجدت فيه من مظاهر حريرية تدل على ان المنطقة التي هو فيها كانت على ما يظهر جزءاً من منطقة دفاعية ، يدل على ذلك بقايا مدفع وبعض من القذائف الحديدية القمعية الشكل في بعض جهات المستشفى ثم بناؤه فوق هضبة عالية بها ما يشبه الطوابي»

بهذا العبارات المشوقة صدر الدكتور عبد الرحمن عمر بك هذه الرسالة التاريخية النفيسة . ولا ريب في ان التصدي لهذا البحث التاريخي عمل شاق لطبيب يمارس صناعته ويتولى ادارة مستشفى وفي كفه ارواح معلقة في الميزان بين الحياة والموت . ولكن المؤلف اجاد البحث التاريخي اجادته للعمل الانساني الذي توفر عليه وانقطع له

ويؤخذ من بحثه ان المستشفى أسس سنة ١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠ م واغلب ظنه ان اللوحة التي دون عليها هذا التاريخ منقولة عن لوحة سابقة فقدت . ولجأ الى دار المحفوظات المصرية بالقلعة فخر على وثيقة تشتمل على الامر الصادر من محمد علي الى بلال اغا في مارس سنة ١٨٢٧ م ببناء المستشفى . ثم جشم المؤلف نفسه مؤونة البحث عن حي « بين السواقي باسكندرية القديمة » المذكور في الوثيقة المشار اليها فلجأ الى قسم المساحة المحلي بالاسكندرية وبحث مع رجاله في الخرائط ، ثم الى المعمرين من الرجال فاخبره احدثهم وقد كان مكارياً في سنة ١٨٨٢ وعمره الآن

تسعون سنة ، « ان المستشفى الاميري كان مبنيًا بجوار جامع المنير في منطقة بين السواقي بالقرب من جامع الناضوري وكان يعرف بمستشفى المحمودية » . ثم حقق ذلك مع مدير مصلحة المساحة فراجعا خريطة الفلكي الموضوعة سنة ١٨٦٦ فعثرا فيها على شارع باب الاسبتالية بجوار جامع المنير — الذي ذكره المكارى — ووجدوا بناءً مربعاً لم يشكنا في انه بناء المستشفى وهو مشغول الآن بمدرسة الفرنسي سكان والدير المتصل بها

على هذا الخط من التحقيق اتى المؤلف الفاضل على ذكر تقدم المستشفى في خلال مائة سنة من الخدمة العامة . وذكر مديره ونشر التقارير التي وضعوها وما اشتملت عليه من البيانات الوافية عن المرضى الذين عولجوا فيه وامراضهم وعملاتهم علم الطبيعة

الجزء الثالث في الضوء — تأليف محمد هاشم النصيح — استاذ علمي الطبيعة والكيمياء في مدرستي التجهيز ودار المعلمين بدمشق

كتاب مدرسي حافل بتفصيل شؤون الضوء بالتجارب والحسابات الرياضية . فهو لا يصلح للقارئ العام الذي يريد ان يلم بمخوص هذه الظاهرة العجيبة — الضوء — وبالأراء في طبيعتها من نيوتن الى بلانك وكطن وبما لها من صلة بفلسفة الكون الطبيعية والمذاهب الحديثة كنظريتي النسبية و « الكم » او « المقدار » Quantum

والظاهر ان المؤلف عني فقط بتفصيل احكام الضوء المشهورة كالانعكاس والانكسار ، وصنع المرايا وتكوين الاشباح عليها وبناء المجاهر (المكروسكوبات) والنظارات التلسكوبية (التلسكوبات) ولكن لم يوجه التفاته الى التطور الحديث في نظر العلم الى الضوء . فليس ثمة كلام في فصول الكتاب يتناول تشتت الضوء او تفرقه (scattering) ولا الحل الطيفي (spectrum analysis) واستعمال ما يشهد في الطيف من حيود الخطوط المظلمة لمعرفة عناصر النجوم او اتجاهها وسرعته ، ولا النظرية الحديثة في ان النور ليست دقائق فقط كالدقائق التي قال بها نيوتن ولا امواجاً كالامواج التي ذهب اليها هوجينس وغيره ، بل هو ينطلق في مقادير دقيقة Quanta تسير سيراً موجياً . ثم اننا لم نجد فيه ذكراً للطريقة التي قيست بها سرعة الضوء وعلاقة ذلك بعملية ميكافن مورلي التي بنيت على نتائج نظرية النسبية . وكل هذه مباحث لا يمكن ان يكون كتاب حديث في الضوء كاملاً من دونها

ثم ان المؤلف استعمل الفاظاً كنا نفضل انه يجاري فيها الشائع بين كتاب العلم . فقد استعمل الابتلاع absorption بدلاً من الامتصاص وشبه الظل بدلاً من الظليل والطولاني والعرضاني بدلاً من الطولي والعرضي ونوتون بدلاً من نيوتن وهو لفظ اسمه كما يتلفظ به اهل بلاده والجسم الزجاجي في العين بدلاً من الرطوبة الزجاجية والمخلط (وله وجه) المائي بدلاً من الرطوبة المائية وغاليله بدلاً من غاليليو

في الصيف

عند ما رأيت الغلاف المتواضع الذي اصطنعه الدكتور طه حسين لكتابه « في الصيف » لم أقدر لهذا الكتاب خطراً أكبر من انه احد المباديل التي قد يتفضل بها المشهورون من الكتاب ولا يتخرجون الظهور بها على الناس اعتماداً على ما لهم من شهرة واسعة وصوت بعيد . وعلى هذا التقدير وان شئت قل على هذا الظن كبست الشهوة الحادة التي كانت تحفزني للاطلاع عليه وكانت احدي زياراتي للاستاذ محرر المقتطف فنظرت فاذا بي اجد هذا الكتاب على مكتبه ولست ادري كيف تناولته ولا كيف فتحتة ولا في اي صفحاته نظرت وقتئذ واذا كراي نعمت هذا كله في رغبة وشوق ولذة لا اعرف لها مائى

لا احب ان اقول اني لمحت في هذا الكتاب قوة سحرية جبارة لان القدر الذي قرأته حينئذ كان يسيراً لايسوغ لي هذا الحكم . ولكن الى اية جاذبية خارجية اعزو هذه الجرأة التي اخرجتني على عادتي فطلبت بنفسي من الاستاذ محرر المقتطف ان يسمح لي بقراءة هذا الكتاب ثم بالكتابة عنه اذا سمحت الظروف ؟ آه لقد اهدتني

سمعت او قرأت لا اذكر تماماً ان لكل انسان ملكاً يرد غيبته ويظهر ان الملك الموكل برد غيبة الدكتور خبيث جداً او انه يقظ الاحساس جداً فهو لم يرضه من انسان كائناً من كان ان يحتمر اي شيء لصاحبه ولو كان غلاف كتاب

فلم يكن من الخبيث الا ان احتال حتى وضع الكتاب في يدي والا ان زين لي قراءة صفحة من وسطه خيل اليّ فيها كل ما يتخيله المسحور واذا بي ارتدّ بكل تواضع الى قراءة هذا الكتاب من اوله واذا بي اكد اقف عند كل جملة مستحسن او موبخاً نفسي على التقدير الظالم الذي اسلفته لهذا الكتاب اول يوم وقعت عيني عليه

الحق ان كتاب « في الصيف » لا عيب فيه الا تواضع مظهره فقد كان جديراً بمثله ان يظهر في ورق أغلى مما ظهر به وان يقمش في جلدة ارسقراطية لائقة بمثله ولكن هذا شيء مستدرك ولعلنا نراه في طبعته الثانية المرجوة قريباً ان شاء الله . اما اسلوبه واتجاهاته الفنية فناهيك بأسلوب في يقول الاستاذ العقاد في نقده انه يشبه او يقارن بالرسائل القريرية . اما انا فقد ارى ولكن بكل تواضع انه اقرب شهاً الى اسلوب انا تول فرانس في رواية جريمة « سلفستر بوفار » وسواء اصح رأي العقاد ام صح الرأي الثاني ام صح الرأيان واكبر الظن انهما الاثنان صحيحان فان اللغة العربية جديرة ان تهنا بهذا النوع من الادب الحي وان الدكتور طه جدير ان يباهى بأسلوبه الذي يلتقي فيه جمال اسلوب شاعر الالمان وكاتب فرنسا العظيم . وبعد ذلك فهو باق خالد بطابعه المستقل المعروف بانه اسلوب طه حسين

تاريخ مصر السياسي الحديث

تأليف محمد رفعت — جزآن — الثمن ١٥ غرش — المطبعة الرحمانية

عند ما عهد صاحب الجلالة الملك فؤاد الى المؤرخ الكبير «غبريال هانوتو» بوضع تاريخ مصر سأل المؤرخون المصريون هل المؤرخون الغربيون واقفون الوقوف الوافي على دلائل قضايا الشرق ودقائقها ، واذا كانوا مطلعين أيعدلون في الحكم على شعوبه وينصفون التاريخ ، وبعضهم في احكامهم يأخذ باعتبارات يفتعلها تأييداً « لغرض لم يبق على احد خفياً »

على انه مهما يكن من شيء فان في مؤرخي الغرب أمناء لا يدمجون العلم بالسياسة . وعلى كل فان مؤرخي الغرب ابرع في نبش مكنونات التاريخ وتصفح مطويات الوثائق لو فرتها في خزائن الحكومات الاوروبية في حين ان خزائن الحكومات الشرقية خالية من معظمها وهو اهمال يعود الى اسباب حجة منها فوضى الادارة في الحكومات الشرقية على عهد الفتوحات . ومنها عدم اصدار كتب رسمية في الحوادث الكبيرة على ما جرت به العادة عند الغربيين . يدلك على وجاهة هذا القول ان المصادر التي استقى منها المؤلف تكاد تكون كلها اجنبية (فرنسية وانجليزية) وقاما اعتمد على مرجع مصري او عربي محض . ومن دواعي اغتباطنا ان بعض كتّاب مصر تنبه الى لزوم العناية بتدوين تاريخ بلاده ولا يضيرهم ان يعتمد بعضهم الى الترجمة والنقل فالتاريخ واحد لا يتجزأ الا من حيث تفهم الكاتب له ووجهة نظره فيه

وقد رأى حضرة الاستاذ محمد رفعت ان يدلى دلوه في الدلاء فيعرض عن الملا تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة فكان موفقاً في الواسطة وفي الغاية توفيقاً يعود الى تنزهه عن الهوى والى تأثره بالحقائق دون العواطف واخيراً الى كونه — على ما يبدو لي — غير متلون بلون سياسي — الوطنية شيء والسياسة شيء آخر — يستهويه عن الحق الى الباطل وعن الامانة الى التغرض . يأخذ العلماء على المؤرخين العرب في قديم الزمان خلو مؤلفاتهم من الطريقة العلمية اما الاستاذ محمد رفعت فقد جمع الى الطريقة العلمية الاسلوب التدريسي — وكتابه وضع للتدريس — فجاء خالياً من المطولات والتفاصيل ولكنه يحتوي اسماء المصادر التي استقى منها الكاتب للرجوع اليها عند الحاجة

يشرح المؤلف في الفصل الاول من كتابه الحالة السياسية والاقتصادية والصناعية في مصر قبل الحملة الفرنسية ثم يصف هذه الحملة واسبابها ونتائجها ثم نهضة محمد علي واصلاحاته الداخلية ثم يعرض للمسألة الشرقية التي ما زال المؤرخون مختلفين فيها لانهم مختلفون في تفسير الشرق وحدوده ثم ينتقل الى تحليل اتفاق الدول ضد محمد علي والى التحدث عن الازمة السياسية في سنة ١٨٤٠ اذ نشبت الثورة في الشام واذا اتفق الجميع على ضرب محمد علي ضربة مؤلة واذا دخلت المسألة المصرية في دورها الحافل بالحوادث العنيفة . وفي هذا الدور وصلت الدول

بعد بحث وتبادل آراء دام سنة الى انه يجب الاستعداد لخوض غمار الحرب لاجل استتباب السلم في انحاء الدولة العلية . وفي الجزء الثاني يصف المؤرخ مصر كما وجدها اسماعيل ومصر التي اوجدها اسماعيل ويتناول قناة السويس وامتداد دولة مصر ومنشأ الديون وتحكم اصحابها مما هو جدير بالمطالعة في هذا الوقت الذي تقف الدول فيه موقفاً صارماً وتقاضي مصر امام المحاكم المختلطة وأخيراً يصل المؤلف الى الثورة العربية ونتائجها ثم ينتهي الى تدخل انكلترا وحرب الاحتلال وفي الكتاب ملاحق تاريخية ذات شأن كالمحقق المختص بمحمد علي والخلافة وقد نشر المؤلف مضمونه في المقتطف (راجع عدد نوفمبر ١٩٢٣) ويذكر المؤلف ان جامعة الامم فكرة اخترعت في عقول ممثلي الدول في سنة ١٨٤٠ ولكنها لم تخرج الى الوجود لخلافات قامت بينهم فاقضى لتأليفها قيام حرب طاحنة قلبت وجه العالم رأساً على عقب

والذي يلاحظه القارئ ان المؤلف عمد في الانشاء الى اسلوب السهل الممتنع لانه يكتب موضوعاً علمياً وكتاباً تدريسياً على انه لا ركافة في لغته وان كانت تخلو من البيان الفني . وانك لتلمس في بعض فصول الكتاب تناقلاً في التعبير فتدرك ان قامه العربي لم يستظهر على الصيغة الفرنجية التي ترجمها الكاتب وقد تكون منقولة - ولا حرج في ذلك - عن الوثائق الاصلية وكثيراً ما تصاغ فصول هذه الوثائق بعبارات متقلقلة مبهة وبانشاء مرتجف مترجرج وخلاصة القول ان المؤلف لم يقتصر على ايراد الحوادث والوقائع بل تخطاها الى ذكر الاسباب والسببات فاعان ذهن الطالب على تفهم كنه المسائل والنفوذ الى داخلها ومن دونها تبقى دراسة التاريخ فارغة من اللباب والمادة

توفيق وهبه

القلائد الجوهرية

ديوان من الشعر الجزل نظمته السيدة انيسة حصاب في مناقب جلالة الملك فؤاد ورفعته الى السدة الملكية مخطوطاً ابدع خطاً ومجلداً انفس تجليد . وقد صنعت من صفحاته المخطوطة كيشيات طبعت على ورق صقيل ويحيط بكل صفحة اطار مذهب وصدرت بصورة صاحب الجلالة الملك تليها صورة صاحب السمو الامير فاروق بصورة سموه مع صاحبات السمو شقيقاته بصورة سموه مطلاً من عربة القطار الملكي بصورة صاحب الجلالة مع سمو ولي العهد بصورة ساكن الجنان المغفور له الخديوي اسماعيل بصورة المغفور له ابراهيم باشا بصورة محمد علي باشا مؤسس الاسرة المالكة . وقد طبع الكتاب اتقن طبع بمطبعة شندل بمصر

الحاسن الخطية

اوسفر الفن والحكمة: وهي مجموعة نفيسة من صور وخواطر فنية حكيمة صوفية مخطوطة خطاً بديعاً - ثلث ورقعة وفارسي - بقلم الخطاط المعروف محمد مرتضى . فنشئ على همة حضرته ونوجه اليها الانظار راجين لمجموعته الفنية الرواج والانتشار عند محبي الفن والحكمة

باب الاخبار العلمية

آثار الرجم في الارض

صرح الاستاذ ملتن Melton وشريفر Schriever امام مجمع تقدم العلوم الاميريكي انهما كشفوا في الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة الاميركية منخفضات تدل على انها نشأت من اصطدام بعض الرجم بالارض . ويذكر قراء المقتطف ان في ولاية اريزونا الاميركية غوراً يعرف بغور الشيطان نشأ من سقوط رجمة كبيرة غارت في الارض فأحدثت منخفضاً مستديراً قطره ٣٢٢٠ قدماً وعمقه ٥٧٠ قدماً . وقد ظهر بالبحث ان عمقه الاصلي قبلاً غطت الاتربة الساقية قعره كان ١١٥٠ قدماً . اما الجرم السماوي الذي وقع هناك ومزق ما وقع عليه من الطبقات الصخرية وأحدث هذا الغور الواسع العميق فبلغ الارض بسرعة تزيد على سرعة رصاص البنادق خمسين ضعفاً فكسر الصخور الصلبة وسحق الهشة فانتشرت الكسر والسحق حول الغور في ارض مساحتها ٧٥ ميلاً مربعاً . ولم يكتف بذلك بل زحزح طبقات الصخور المجاورة فارتفعت من جهة وانخفضت من جهة اخرى . والجسم الذي غار في الارض اشد صلابة من الفولاذ فكيف يستخرج وكيف يكسر والقنابل

لا تفعل به بل ترتد عنه ارتداد الحص عن الصخر وبقدر قطره بثلاثمائة قدم وثقله بليون طن وفي سنة ١٩٢١ اكتشف غور مماثل لغور الشيطان على مقربة من مدينة اورل بولاية تكساس الاميركية . فاذا قطره ٥٠٠ قدم وفيه كتلة من الحديد النيزكي . ثم ان طائفة من هذه الاغوار وجدت في جزيرة اوزل Oesel ببحر البلطيق قطر اكبرها ٧٠٠ قدم . وفي سنة ١٩٣١ كشف عالمان من علماء جامعة ادلايد باستراليا في منخفض باستراليا الوسطى يدعى « كأس الشيطان » ١٣ غوراً في منطقة لا تزيد مساحتها على نصف ميل مربع تتباين اقطارها من ١٠ اقدام الى ٢٢٠ قدماً ويظن انها نشأت من اصطدام الرجم بالارض ، وعلى مقربة منها قطع من الحديد النيزكي منشورة على سطح الارض . وقد عثر المستر فلي في خلال رحلته الاخيرة في جنوب بلاد العرب على غورين يظن انهما نشأ بفعل الرجم والاحاديث البدوية المتناقلة تقول ان في مكان هذين الغورين كانت مدينة دمرت بنار من السماء . وفي افغانستان بآسيا وشيلي باميركا الجنوبية اغوار من هذا القبيل

كهرب موجب ؟!

نالا الدكتور بلاكت Dr. P. S. M. Blackett
احد معاوني اللورد رذرفورد رسالة على
جماعة من اكبر علماء الانكليز في الجمعية
الملكية البريطانية بسط فيها أدلته على وجود
كهرب موجب Positive Electron وقد كان
العلماء حتى الآن يقولون أن ليس ثمة شيء
من هذا القبيل . فوقع هذا النبأ على العلماء
الاجتمعين موقع الاستغراب والدهشة

ويقول اللورد رذرفورد ان هذا الاكتشاف
من اخطر المكتشفات التي كشفت في هذا القرن
الحافل بالعجائب العلمية . والظاهر انه كان
قد اتفق مع الدكتور بلاكت على انباء الجمعية
الملكية به بصفته مديراً لعمل كافندش
الطبيعي ، فتعذر عليه الحضور ، فاعان
الدكتور بلاكت نتائجه بنفسه . وختم رسالته
بقوله ، « اذا قلبت هذه الحقائق الجديدة
نظريات العلماء فعلى العلماء ان يحوّلوا نظرياتهم
او ينقحوها . لقد قمنا بما عنيينا من البحث عن
هذه الدقائق ووجدناها . فعليهم الباقي »

ننقل هذا عن احدى الجرائد الاسبوعية
ونحن ننتظر ورود المجلات العلمية لتزيد علماء هذا
الاكتشاف العظيم ، اذا صح بتأييد العلماء له ،
وما قد يكون له من اثر في العلم النظري والعمل
سكان العالم بعد ثلاثة قرون

بقدر عدد سكان الارض الآن
ب ١٨٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة وذلك بحسب تقدير
الدكتور ولتر ولكسكس استاذ الاقتصاد
والاحصاء بجامعة كورنل الاميركية . ونصف

سكان الارض يقطنون آسيا ففيها نحو
٩٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة وتليها اوربا وعدد
سكانها ٤٧٨ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة مع ان مساحتها
٣٨٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في حين ان مساحة
آسيا ١٦٧٠٠ ٠٠٠ ميل مربع وبلي ذلك اميركا
الشمالية فسكانها ١٦٢ مليوناً وأفريقيا وسكانها
١٤٠ مليوناً فأمركا الجنوبية وسكانها ٧٧ مليوناً
فاستراليا والجزائر حولها وسكانها تسعة ملايين
ويؤخذ من تقدير الدكتور ولكسكس انه
يتعذر الحصول على احصاءات يعتمد عليها
قبل القرن السابع عشر . لذلك بدأ مباحثه
من سنة ١٦٥٠ وحينئذ كان الكتاب مختلفين
في تقدير سكان الارض فطائفة قالت انهم
يبلغون ٣٢٠ مليون نسمة واخرى انهم يبلغون
١٠٠٠ مليون . اما الدكتور ولكسكس فيقدرهم
ب ٦٥٠ مليوناً . فلما كان منتصف القرن الثامن
عشر بلغ سكان الكرة الارضية ٦٦٠ مليوناً
وفي مستهل القرن التاسع عشر ٨٣٦ مليوناً
وفي منتصفه ١٠٩٨ مليوناً وفي مستهل القرن
العشرين ١٥٥١ مليوناً . ومن العثرات في سبيل
الباحث تقدير سكان الصين . فالدكتور ولكسكس
يقدرهم بنحو ٣٤٢ مليوناً وجمعية الامم (سنة
١٩٢٩) قدرتهم ب ٤٥٨ مليوناً وبينهما فرق كبير
وقد كان متوسط زيادة السكان قبل مستهل
القرن العشرين كبيراً جداً ، كما يتبين من مقابلة
الارقام المتقدمة ثم قلّ بعده . ويرى هذا
الباحث انه اذا ظلّ متوسط الزيادة ما هو
عليه الآن بلغ عدد سكان الارض بعد ثلاثة
قرون اربعة اضعاف ما هو الآن اي نحو سبعة
آلاف مليون نسمة

الزجاج في جسم الانسان

مات رجل في الثلاثين من عمره في احد
مستشفيات بروكلن بنيويورك فشرحت جثته
بعد وفاته فوجد في صدره شظيتان من
الزجاج طول احدهما اربع بوصات ونصف
بوصة وعرضها بوصة وسماكتها نصف بوصة
والاخرى طولها بوصة ونصف بوصة وعرضها
بوصة وسماكتها نصف بوصة . ولدى البحث
ثبت انه لما كان في الثامنة عشرة من عمره
حصلت له حادثة قذف في اثنائها من نافذة
زجاجية فاخترقت هاتان الشظيتان صدره ولبثتا
فيه فعاش اثنتي عشرة سنة . وهو من الغرائب
زيت السلمون وزيت كبد الحوت

لما عرف ان زيت كبد الحوت (زيت
السماك) مفيد في تغذية الجسم لاحتوائه على
فيتامين (د) جعل العلماء يبحثون عن زيت سمك
آخر يكون اطيب مذاقا من زيت كبد الحوت .
وكان معروفا ان زيت السلمون Salmon
يحتوي على الفيتامين المذكور ولكن فعله في
منع الكساح اضعف من فعل زيت كبد الحوت .
ولكن جماعة من الباحثين الاميركيين وعلى
رأسهم الدكتور تول اثبتت انه اذا حضر
زيت السلمون كما يجب جاء فعلا كزيت كبد
الحوت من ناحية محتوياته الفيتامينية ، يضاف
الى ذلك انه يمكن تحضيره من تقايا صناعة
حفظ سمك السلمون (وضعه في علبة) وانه
طيب المذاق في افواه الصغار فلا ينفرون منه
نفورهم من سابقه

عين كهربائية لفرز البيض

في البيوتات التجارية الكبيرة التي تتناول
تصدير الحاصلات الزراعية يشتغل خيرون
مهمتهم فرز البيض الجيد من البيض الفاسد
وهم لطول خبرتهم وصدق فرائضهم يستطيعون
القيام بعملهم بمجرد النظر الى البيضة او روزها
في ايديهم . ولكن احد المستنطين صنع
آلة جديدة آيتها عين كهربائية (او بطرية
كهرنورية Photo-electric) تفرز البيض
فرزا اسرع وأدق من فرز الخبراء . ومما يروى
عنها ان احد الخبراء كان قد حكم على طائفة
من البيض بأنها فاسدة فلما مرت في الآلة
المذكورة فرزتها على انها جيدة فكسرت وثبت
ان الآلة كانت على صواب

عالم يحضر عيد المئوي

من اندر الحوادث في تاريخ العلم ان
يحضر عالم عيد المئوي . ولكن اكاديمية
الطب الفرنسية احتفلت في اواخر السنة الماضية
ببلوغ الدكتور الكسندر جانيو Guenio
الجراح وطبيب امراض النساء ورئيس الاكاديمية
السابق سن المائة . جلس الدكتور جانيو يصغي
الى الخطب التي اعدت لهذا الاحتفال ، والبسمة
لا تفارق ثغره ، فلما جاء دوره وقف منتصب
القامة وتكلم غفو الخاطر . ثم جلس وقرا
رسالة علمية كان قد اعددها ، تخللتها نكات
وملاح طرب لها الحاضرون . ومن اغرب
ما يروى انه لما ولد سنة ١٨٣٢ كتب والده
الى صديق كتابا ختمه بقوله : ان ابني ، مثل

لتحويل الحديد الى هيموغلوبين ، فالحديد العضوي والحديد غير العضوي يحتاجان الى النحاس في ذلك

اما الانيميا التي تعالج باضافة الحديد والنحاس ليست الانيميا الخبيثة التي تعالج الآن بالكبد النية او خلاصتها بل هي انيميا سببها فقد الدم او سوء التغذية . وقد استخرج الاستاذ رخصة بتحضير عقار يشتمل على الحديد والنحاس بالنسبة المطلوبة عناصر الشمس

ألقى الاستاذ هنري نورس رسل استاذ الفلك في جامعة برنستن خطبة في المعهد السمثصوني قال فيه ان علماء الفلك الطبيعي مدينون كثيراً لآلة الحل الطيفي (السبكتروسكوب) ففي منتصف القرن الماضي ابدى الفيلسوف اوغست كونت ريبته الشديدة في امكان الكشف عن العناصر التي تتألف منها الشمس ولكن البحث السبكتروسكوبي الحديث اثبت ان ستة من العناصر الارضية وهي الصوديوم والمغنيزيوم والسليكون والبوتاسيوم والكسيوم والحديد - تكون ٩٥ في المائة من الابخرة الفلزية في الشمس وان ستة عناصر اخرى تكون تسعة اعشار الباقي . والظاهر ان نسبة الفلزات في الشمس الى كتلتها هو كنسبة الفلزات في الارض الى كتلتها . ومما قاله ان في « الفوتوسفير » وهو طبقة الشمس الخارجية اوجوها المتأجج نحو ٥٠٠ مليون طن من البلاطين

كل المعاصر لن يبلغ عتياً من العمر . اننا لانعلم ما يخبئه له الزمن في ثناياه ، ولكننا نستطيع ان نقول واثقين بأنه لن يعمر حتى المائة

اثر النحاس في شفاء الانيميا

اثبت الدكتور الفهينيم Elvehjem والدكتور شرمان Sherman من اساتذة جامعة سنكسن ان للنحاس اثر في علاج الانيميا . فن نحو اربع سنوات اشترك مع الاستاذ هارت في اثبات انه لا بد من قدر يسير من النحاس والحديد للاحتفاظ بمقدار سوي من الهيموغلوبين في الدم وهو المادة الحمراء في الدم التي تحتوي على حديد وتمكنه من نقل الاوكسجين من الرئتين الى أعضاء الجسم . حتى الحديد غير العضوي اذا اضيف اليه قليل من النحاس يصبح ذا اثر في زيادة الهيموغلوبين

اما كيف يفعل النحاس هذا الفعل فقد كشف عنه الآن

اذا اخذت طائفة من الجرذان وقد قل الهيموغلوبين في دمها واضيف قليل من الحديد الى غذائها خزن الحديد في الكبد والطحال ولم تظهر اية زيادة في مقدار الهيموغلوبين . ولكن اذا اضيف الى الغذاء قليل من النحاس خرج بعض الحديد المخزون في الكبد والطحال وتحوّل الى هيموغلوبين . فاذا اضيف الحديد والنحاس معاً تكون الهيموغلوبين اولاً وما يفيض من الحديد يخزن في الكبد . وعليه فالنحاس ضروري

الجزء الثالث من المجلد الثاني والثمانين

صفحة

٢٥١ الازمة الاقتصادية العالمية

٢٦٣ بعد مائة سنة

الحب : لادل
الاقتصاد : لتشايس
المواصلات : لاميلى ارهت
الاسرة : لرسل
العلم : لهكسلي
التعليم : لولز

٢٧٢ جون غالزوردي (مصورة)

٢٧٥ ايها الاشباح (قصيدة) . لعلي محمود طه المهندس

٢٧٧ كيف نفهم التطور . للاستاذ السر ارثر طمسن (مصورة)

٢٨٤ معرض المذاهب السياسية . للدكتور عبد الرحمن شهبندر

٢٨٨ شذوذ الاعضاء في الانسان . للدكتور عبده رزق

٢٩١ حاجتنا اللغوية الى مجمع يوثق به . للسيد محب الدين الخطيب

٢٩٨ الاستاذ سايس وقدم العمران (مصورة)

٣٠٢ مهاتما غاندي . لاسماعيل مظهر

٣١١ غرائب المقاييس الطبيعية

٣١٦ الشاعر والسلطان الجائر (قصيدة) . لايليا ابو ماضي

٣١٩ الادب واطواره . لمصطفى جواد

٣٢٦ بيسان وآثارها . لداود ت. فيشر (مصورة)

٣٣٢ اللحن الضائع (قصيدة) . لحسن كامل الصيرفي

٣٣٣ الاوركستر (قصة مصرية) . لعبد الحميد سالم

٣٤٠ احمد صديق بك . لنقولاً شكري (مصورة)

٣٤٤ باب شؤون المرأة وتدير المنزل * الغاية من الزواج . لهفلوك الس . العفن غذاء

ودواء . لعوض جندي

٣٥٢ باب المراسلة والمناظرة * اغلاط كتاب الزهرة . لركي مبارك

٣٦٠ مكتبة المقتطف * ضحى الاسلام — لمحمود محمد شاكر . المراحل — لحسن كامل الصيرفي .

من الارز الى الزوفا . محمد حياته ومعتقد — لطاهر خميري . رسالة تاريخية . علم الطبيعة .

في الصيف . تاريخ مصر السيامي الحديث — لتوفيق وهبه . اقلام الموهبة . الحان الحفلة

٣٧٤ باب الاخبار العلمية * وفيه ٩ بند

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي غنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالقنطرة بـمصر

صندوق بوسنة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

- | | |
|---|--|
| ١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فري) | ٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية) |
| ٥ خواطين جبار (الاستاذ الجبل) | ٧٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة) |
| ٥ التعليم والصحة | ٣٥ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى) |
| ١٥ الحب والزواج (للاستاذ تقولا حداد) | ٧٠ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية) |
| ١٥ ذكرا وانثى خلقهم » » » | ٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس |
| ٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران » » » | ٣٥ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس |
| ١٥ اسرار الحياة الزوجية » » » | ٣٥ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط |
| ٢٥ المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور فخري) | ١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط |
| ٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها » » » | ٧٠ سقراط سبزو عربي انكليزي (باللفظ) |
| ١٥ الزينة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي) | ٥٠ سقراط سبزو انكليزي عربي (باللفظ) |
| ١٠ تاييس » » » | ١٠ سقراط انكليزي عربي وبالعكس |
| ٥ مكاييد الحب في قصور الملوك (اسمد خليل داغر) | ١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول) |
| ١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة) | ١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ) |
| ١٠ مسارع الازدهار (٣٥ قصة كبيرة مصورة) | ١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكلي بك) |
| ٢٢ رواية احوال الاستبداد ، مصورة | ١٠ عشرة ايام في السودان » » » |
| ١٠ رواية فانتة المهدي ، او استعادة السودان | ١٢ مراجعات في الادب والفنون ، للاستاذ عباس المقاص |
| ٨ رواية الانتقام المذب (اسمد خليل داغر) | ٩٥ روح الاشتراكية (اموستاف لوبون) وترجمة |
| ٥ فقر وعفاف (للاستاذ احمد رافت) | (الاستاذ محمد زعيت) |
| ١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله) | ١٥ روح السياسة » » » |
| ١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة | ١٢ الآراء والمعتقدات » » » |
| ٧٥ رواية روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده) | ١٠ اصول الحقوق الدستورية » » » |
| ٢٥ رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء » » » | ٢٠ الحضارة المصرية (اغوستاف لوبون) |
| ٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء » » » | ٤ مقدمة الحضارات الاولى » » » |
| ٢٠ رواية الملكة ايزابو ، ٤ اجزاء » » » | ١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد) |
| ٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن » » » | ١٥ ماني السبيل في مذهب النشوء والارتقاء |
| ٣٠ رواية عشاق فينيسا ، جزآن » » » | ١٠ اليوم والفد (الاستاذ سلامة موسى) |
| ١٦ رواية كاييتان ، جزآن » » » | ١٠ مختارات سلامة موسى |
| ١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن » » » | ٨ نظرية التطور واصل الانسان » » » |
| ١٢ رواية للمبرج ، جزآن » » » | ٢٠ انا تول فرانس في مبادئه (الامير شكيب ارسلان) |
| ١٠ رواية فارس الملك » » » | ١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر) |
| ١٠ رواية ضحايا الانتقام » » » | ١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله) |
| ٥ رواية المتنكرة الحسنة » » » | ١٢ حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني) |
| ٥ رواية مروضه الاسود » » » | ١٠ قبض الربيع » » » » » » » |
| ٥ رواية شهداء الاخلاص » » » | ٨ نسائم وزواجر شعر منثور مصور |
| ٨ رواية المرأة المغترسة » » » | ١٠ رسائل غرام جديدة (للاستاذ سام عبد الواحد) |
| ١٦ رواية دار المعجائب جزآن (تقولا رزق الله) | ١٠ الغربال في الادب المصري (للاستاذ مختار جميل نعمه) |
| ١٠ فرنسوا الاول » » » | ٥ حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان) |

مكتبة العرب

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة بمصر

من اكبر المكاتب واوسعها نطاقاً حاوية على جميع الكتب النادرة من الكتب المطبوعة
في جميع الاقطار ولها قائمة مطولة ترسلها مجاناً وايضاً قائمة بالكتب الخطية النادرة وتطبع
وتشارك المؤلفين في طبع مؤلفاتهم ولها معاملات مع اكبر مكاتب اوربا واميركا والشرق
الاقصى والادنى وتلي جميع طلبات المهاجرين بأسرع ما يمكن

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما تلي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر
باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم وبشترك في
تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل
وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة ثقافية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس